غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٦٤ - جمادى الآخرة ١٤١٩هـ - أكتوبر ١٩٩٨م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 264 - OCT. 1998

الذاتية عند شعراء الوجدان

معاناة الجامعيين في البلدان المتقدمة

الاستشراق: الوجه الآخر

المقالة العلمية: أهميتها ومنهج كتابتها

خليل الرحمن مدينة الأنبياء

الهداية شرح بداية المبتدي

لعلي بن أبي بكر عبدالجليل، المرغيناني (ت٥٩٣هـ).

وهي وهو كتاب في الفقه الحنفي، حرّر فيه المؤلف أقوال الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، وبيّن أدلّتهمَ في المسائل الفقهية، ويروى أن صاحب الكتاب مكث في تأليفه ثلاث عشرة سنة، وكان في هذه المدة صائماً لا يفطر، وكان يجتهد ألاّ يطلع على صومه أحد، فكان لحسن نيته وزهده أثر في قبول كتابه بين الناس.

كتب على ورق مشرقي بخط نسخي سنة ٦٩٥هـ على يد محمد بن شتر بن عبدالله. عليه كثير من الحواشي والشروح والتعليقات، كتبت أحياناً بين سطور المتن، وفي أغلب الأحيان في الهوامش، وكتبت بشكل مائل إلى أعلى أو إلى أسفل أو مقلوبة، وهكذا ..

رؤوس الفقرات والأبواب والفصول كتبت بالحبر الأحمر. كما وضعت خطوط سوداء تحت بعض الكلمات، عليه تصحيحات ومقابلة بالأصل. أما الجلد فهو مجلد بورق مقوى كعبه وحوافه من الجلد البني الغامق.

يقع المخطوط في ٢١٣ ورقة، ومسطرته ٢٣ سطراً، ومقاسه ٢٥٫٣-١٧٫٢سم.



والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٣١٨.

إعداد : إبراهيم باجس عبدالمجيد

فى العدد القادم

- مصادر دراسة السيرة النبوية
- تعريب التعليم الجامعي
- التاريخ غير المكتوب للإنسان

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

إن محاولة إبداء الرأي في عدد من أعداد «الفيصل» أمر بالغ الصعوبة، لأنه ليس في الإمكان الإحاطة بكل ما فيه من مقالات وزوايا تستحق الوقوف عندها، وإجمالاً إذا أردت استعراض العدد (٢٦٣)، فإن الاحتفاء باليوم الوطني يمثل أهم ملامحه، فقد جاءت إطلالة رئيس التحرير رابطة بين ما تقوم به المملكة العربية السعودية من جهود لخدمة الأقليات والجاليات العربية والإسلامية في العالم والبعد التاريخي لتلك الجهود، من خلال الانعطاف على ما قدمه الملك عبدالعزيز من أياد لخدمة الفكر وتوكيد الهوية، كما أن مواقف الملك عبدالعزيز التي سجلها العدد تعطي صورة واضحة لجوانب متميزة من شخصيته - يرحمه الله -، وجاء عرض الأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل لكتاب الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ «لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية» ليزيد تلك الصورة وضوحاً، وما كانت قصيدة «ضياء في سماء الشرق» للشاعر السيد الصديق حافظ إلا تصويراً للقيم والمبادئ التي تأسس عليها هذا الكيان الكبير. ومن أهم المقالات التي استوقفتني في هذا العدد مقالة د. صلاح يحياوي «الطاقة الذرية بين راحة الإنسان وشقائه» التي تؤكد أهمية القيم والمبادئ للعلم حتى يصبح نافعًا للإنسان.

ومن أهم ما يميز «الفيصل» اهتماماتها بالتربية، وقد جمعت في هذا العدد بين القديم والمعاصر، فنجد مقالة الزبير مهداد «البعد التربوي لآراء ابن رشد الفلسفية»، وعرضًا لكتاب «الطفل والمدرسة» في «نافذة على ثقافة العالم». ولمس العدد قضية لها أهميتها القصوى، وهي التي تتصل بالحقوق الفكرية، وأهم ما في الموضوع تلك الموازنة بين «حقوق المؤلف في الإسلام والفكر المعاصر»، ومثل هذا الموضوع يستحق إفراد ملف شامل ضمن الملفات المتخصصة التي تعدها «الفيصل». ولا شك أن التنوع في المقالات طابع يميز «الفيصل» التي نتمنى لها مزيد التقدم والازدهار.

د. أنور جمال علي

الرياض

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ - ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨، رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيه - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

فخر لا يدانيه فخر

إن الانتماء إلى الوطن مفخرة كل مواطن غيور، وعندما يكون هذا الوطن هو المملكة العربية السعودية، فإن هذا الفخر لا يدانيه فخر، فمن أرض هذا الوطن انطلقت الرسالة الإسلامية، وعمت أنوارها أرجاء المعمورة. وإذا كانت كل دولة من دول العالم تحتفل بما تسميه «العيد الوطني»، فإن المملكة العربية السعودية تمسكًا بقيم الإسلام وتعاليمه لا عيد لها إلا عيدي الأضحى والفطر، وهي إذ تحتفل بتأسيسها على يد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله -، فإنها تسمي يوم قيام هذا الكيان العظيم اليوم الوطني. وهو يوم يحمل كثيراً من المعاني والمضامين، علينا أن نتمثلها ونتمعن فيها، لتكون لنا زاداً لإعلاء البناء والمضي قدمًا نحو غاياتنا بخطى راسخة.

وإن ما تم في السنوات التي تلت التأسيس من إنجازات حضارية عظيمة ليمثل فخراً لنا جميعًا، ومن دلالاته التي لا تخفى قدرة الإنسان على أرض هذا الوطن على العطاء غير المحدود.

ومهما حاولت الأقلام أن تصف ما تحقق من أمن ورخاء على يد الملك عبدالعزيز وأبنائه البررة، فإنها تظل عاجزة، لأنه أكبر من كل وصف، وما هو إلا دليل على التكاتف بين الراعي والرعية في سبيل إعلاء كلمة الحق والدين على أرض انطلقت منها أعظم الرسالات إلى الناس كافة.

شوكت بن علي آل علي

الرياض ١١٦٢٣ ص.ب ٩٠٥١٦

أضواء على كارثة الألفية الثالثة

لقد عودتنا مجلة «الفيصل» خوض غمار القضايا الكبرى وسبر أغوارها وفتح مغاليقها. وحقيقة كثير من الموضوعات الغامضة أمكن فهمها من خلال التناول المتعمق الواضح في الفيصل، وبخاصة الموضوعات العلمية والاقتصادية. وتأسيسًا على هذا المبدأ أشير إلى قضية مهمة، وأظن أنها ليست غائبة عنكم، ولابد أن تكون ضمن خططكم في التغطية والتناول، وهي القضية المسماة «الكارثة الحاسوبية» أو مشكلة الألفية الثالثة، وما يقال عن انهيارات متتالية ستحدث نتيجة عدم قبول برامج الحاسوب الحالية لعام (٢٠٠٠) هكذا. لقد كثر الحديث عن هذا الموضوع في الآونة الأخيرة، ولكنه دائمًا حديث قصير، أو مبتور، أو فيه إسهاب لدرجة التعقيد وخلط الأمور، وكما اتجه بعضهم في تناولهم لهذا الموضوع ناحية الإثارة، بالتركيز على المشكلات التي ستنجم عن عدم التوصل إلى حلول ناجزة، ومنها سقوط الطائرات، وتوقف الأجهزة داخل وحدات العناية بالمستشفيات، وغير ذلك. هل نطمح في أن نرى في مجلتنا الأثيرة «الفيصل» موضوعًا مركزًا يغطي مجمل جوانب هذه القضية، بما يزيح عن أذهان كثيرين اللبس في تعريف هذه المشكلة، والإمكانات المتاحة لها، والنتائج المترتبة على الإخفاق ... نتطلع إلى ذلك.

سامح زيدان عبدالغفور

جدة - حي الشرفية

قطوف الفيصل

أصبحت «الفيصل» زاداً شهريًا أنتظره بشوق، وبدأت مراسلتها معلقة على ما يرد في بعض الأبواب من مقالات وموضوعات، واقرؤها قراءة المدقق، لأنها تضم موضوعات غاية في الأهمية والروعة، وكُتّابها من ذوي المستويات العالية، والباع الطويل في الكتابة والتحليل الموضوعيين، فمن الإطلالة، إلى الكتاب المحقق، والاكتشاف العلمي، والقصيدة الجميلة التي تدرس بعناية، وملف «الحركةالثقافية» والعالم قريتي، ومنتدى «الفيصل» الذي يضوع عبيرها من خلال الشخصيات المهمة التي تستضيفونها، حتى نصل إلى «على موعد» الصفحة الأخيرة، لننتظر قطوف العدد الجديد. وفقكم الله.

محمد أحمد سعد

ص.ب ١٠٦١ - جرش ٢٦١١٠

الأردن.

دائرة معارف الجوائز

من خلال متابعتي لملف الحركة الثقافية في مجلة الفيصل، وما يرد فيها من أخبار لاحظت كثرة الجوائز المخصصة في مجالات أدبية وثقافية وعلمية، وبالوقوف على تفاصيل تلك الجوائز يتضح ما ترمي إليه من أهداف نبيلة في خدمة المعرفة عمومًا، كما تتّضح كثرة الغيورين على حقول الثقافة والعلوم في عالمنا العربي، وهو أمر قد لا تكشفه النظرة العابرة. ولذلك فإنني اقترح عليكم في «مجلة الفيصل» أو على أي أحد لديه الإمكانات والمصادر أن يتفضل على قراء العربية برصد لتلك الجوائز ومؤسسيها، وتعريف موجز بكل جائزة. وإذا تعذر ذلك فلتفردوا مساحة في باب «دائرة المعارف» لهذا الغرض، وإنني لعلى ثقة من الخدمة التي ستسدونها بذلك لقطاع عريض من القرّاء.

سامح هاشم الشريف - عمان - الأردن

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

غسيل الأموال والإرهاب

ما أوردتموه في العدد «٢٦١» في باب «العالم قريتي»، بعنوان «غسيل الأموال القذرة: دمار الاقتصاد وخراب الذمم»، أستطيع القول: إن هذا الموضوع كان جرعة متكاملة حول هذه القضية المثيرة للجدل، فـ «غسيل الأموال» قد حقن عروق الاقتصاد العالمي بأموال منتنة، تغلغلت في مجالات عديدة من حياة الناس. وأعتقد أن هذه العمليات أشد خطرًا من الإرهاب، الذي يقض مضجع المجتمع البشري، وتنادت الدول لمكافحته، ومرد خطورة عمليات «غسيل الأموال» أنها تمارس من وراء ستار، وتسري في الاقتصاد وفي أوصال المجتمعات نافثة سمومها، هي من جهة تغذي الإرهاب، أو هي أحيانًا منشأ الإرهاب، والمافيا خير مثال على ذلك. ومن هنا فإن المجتمعات مدعوة لشن حرب لا هوادة فيها على ممارسي غسيل الأموال القذرة، وفضحهم، وإن كان من الصعوبة بمكان الوصول إلى الأسماء الحقيقية التي تدير هذه العمليات، وذلك لقدرتهم على الاختفاء وراء مناصبهم أو وراء السلطان، أو استخدام أموالهم للتأثير في الصحافة ترغيبًا أو ترهيبًا. وعلى الرغم من ذلك فإن الصحافة المسؤولة، مثل «الفيصل» تسعى لتسليط الأضواء الكاشفة على هذه النقاط السوداء. والله معكم.

زكريا عبدالفتاح رزق
شركة المحالج
بورتسودان - السودان

فخر العروبة والإسلام

بداية أود أن أسجل إعجابي الشديد بمجلة الفيصل الغراء. فلقد كانت منذ أن سطعت في سماء عالمنا العربي هدفًا منشودًا ينال منه كل محب لها وشغوف، ولقد كان لي شرف اقتنائها وملازمتها منذ أعدادها الأولى، فكانت نعم الصديق ونعم الرفيق - وكم كنت أود ألا يفوتني عدد منها، ولكنها الظروف والمشاغل أحيانًا التي تجعل الصلة تنقطع بيننا على مضض، ثم ما تلبث أن تعود، فأجدها أكثر إشراقًا وأكثر تألقًا - وتمضي الأيام، ويزداد الإعجاب، ويتشبث كل منا بصاحبه. وكثيرًا ما كنت أسأل نفسي لماذا لا أشارك إخواني القراء تعليقاتهم وملاحظاتهم البناءة؟ ولكن هيهات وأنى يكون لي ذلك؟ وأظل متابعًا كمن يشاهد مباراة يعرف قوانين اللعبة جيدًا، ولكنه إذا نزل إلى الساحة لا يحرك ساكنا. وتبقى الفيصل العملاق صرحًا شامخًا ترنو له أعناق الأدباء والفصحاء تواضعًا واستحسانًا فهي ولا ريب فخر للعروبة والإسلام؛ فقد أينعت وترعرعت وأصبحت درة تتيه فخرًا على أقرانها حسنًا وبهاءً، وقمرًا يشار إليه بالبنان.

وفق الله القائمين على أمورها وأصلح بالهم؛ اللهم آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لطفي عواد علي
مصر - محافظة الشرقية - بلبيس - إدارة بلبيس التعليمية

نصرة اللغة العربية

يطيب لي أن أبعث لكم هذه الرسالة لأعبّر لكم عن شكري وتقديري لكم ولجميع القائمين على المجلة، نظير ما تقدمونه من جهود مضنية في سبيل خدمة هذا الدين وخدمة اللغة العربية، فلكم كلّ الشكر والعرفان، ومهما تحدثت أو تحدث غيري فلن نوفيكم حقكم، ولكنني أسأل الله أن يُديمكم حماة للغة العربية وآدابها.

وأتساءل: لماذا لا توجد في مجلة الفيصل زاوية صحية المقصد منها تلقي أسئلة القراء، ومن ثمَّ الإجابة عنها من قبل أحد الأطباء المختصين.

وختامًا، أسأل الله لكم التوفيق والتسديد، وأن يكلل جهودكم ومساعيكم الحميدة، وأن يوفقكم لكلّ ما فيه خير هذا الدين، وخير اللغة العربية وأبنائها. ودمتم بحفظ الله ورعايته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صفية بنت صلاح بن مساعد
قسم اللغة العربية - جامعة الملك عبدالعزيز

ثوب قشيب

تحية تقدير وإعزاز لسعادتكم ولجميع العاملين معكم في صرحكم الثقافي والفكري العربي الشامخ، وفقكم الله وثبت على الحق خطاكم.

طالعتنا مجلة الفيصل بعددها الصادر في غرة ربيع الأول ١٤١٩هـ - يوليو ١٩٩٨م العدد رقم ٢٦١ بثوبها القشيب وكتابها الرائع الفخم والمعنون «جائزة الملك فيصل العالمية ودلالاتها الحضارية» ومطويتها الرائعة التي تحكي نبذة مختصرة عن تاريخ بدايتها ومراحل تطويرها وتجديدها، أما محتويات المجلة فإن كلماتي وسطوري تعجز عن التعبير عن جدتها وما فيها من ابتكار وفكر متطور.

جمال إسماعيل إبراهيم
شارع القمر من شارع المدنية المنورة
الأقصر - مصر.

تعريف بالبلاد الإسلامية

أنا من قراء مجلة الفيصل الغراء المواظبين على قراءتها منذ سنوات لما فيها من مادة ثقافية متنوعة يستفيد منها كل القراء. ويسرني أن أقدم لمجلتنا الرائدة اقتراحًا بإيجاد باب جديد يمكن أن يسمى «ماذا تعرف عن البلاد الإسلامية؟» وهو يعنى بتعريف البلاد الإسلامية تاريخيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، وقد يختار له مسمى آخر. فأرجو لمجلتنا المزيد من التقدم لتحقيق أماني أمتنا الإسلامية التي أجهدها التخلف واختلاف الرأي، والله المستعان.

عبدالخالق الشيخ عثمان عمر - ص.ب ١٢٠٠٨ - الخرطوم - الرمز البريدي ١١١١١.

بإذن الله -، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

كلمة مع

إطلالة



ليس هناك أصعب على المرء من الحديث عن النفس، لأنه حديث محفوف بالمخاطر، فالله سبحانه وتعالى يصف النفس بأنها أمارة بالسوء، ويبين أن الإنسان خُلق ضعيفًا وهلوعًا، وكان عجولا، وكفورًا، مما يُخشى معه أن يأخذه الزهو فينسب إلى نفسه كل فضيلة وإنجاز، ويغفل ما للآخرين من أياد بيضاء كانت عونًا في تحقيق ما يراه إنجازًا ونجاحًا، ولكن قد يدفع دفعًا إلى تناول شيء من تجربته، لا لذكر محاسن النفس، ولا لتزكيتها، وإيراد مآثرها، وإنما استجابة لما تقتضيه قيم الوفاء لأولئك الذين كانوا سببًا في بلوغ النجاح، مهما كان حجمه.

ولقد ترددت كثيرًا في أن أكتب كلمة في حق أولئك الذين أعانوني على تحمل مسؤولياتي أمينًا عامًا لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على مدى ما يقارب العقدين من الزمان، وممارسًا لمسؤوليات إدارة دار الفيصل الثقافية ورئيسًا لتحرير مجلة الفيصل لأكثر من سبع سنوات، وذلك خوفًا من ألا أستطيع إيفاءهم حقهم، لما أشعر به من عجز عن التعبير عن حقيقة مشاعري تجاه أولئك الذين منحوني الفرصة والثقة لتحمل هذه المسؤوليات الكبيرة، وأعانوني على أدائها، أو أولئك الذين شدوا من أزري، وتحملوا معي عبء البحث عن الدقة في إنجاز ما تقتضيه تلك المسؤوليات من عمل. فكم كانت

تلك الثقة التي منحني إياها القائمون على مؤسسة الملك فيصل الخيرية لتولي مسؤولية مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وهو لا يزال في طور التأسيس، غالية وكبيرة، فلم أكن أتصور أن أخوض مثل هذه التجربة المتسمة بالتميز والجدة لشخص مثلي، كان قد تجاوز الثلاثين عامًا، إذ كنت قد أعددت نفسي بعد الانتهاء من دراساتي العليا في الولايات المتحدة الأمريكية أن أنخرط في سلك التعليم الجامعي، وقد قضيت بالفعل عامًا أكاديميًا حافلاً في جامعة أم القرى، اعتذرت خلاله عن عروض للعمل في جهات مختلفة، ولكن ما كان لي أن اعتذر عن هذا العمل الرائع الذي تضطلع به هذه المؤسسة المرموقة، لرغبتي في أن أخدم بلادي من خلال عمل متميز، فقدر الله تعالى لي أن أخوض هذه التجربة التي تتجاوز ما كنت أملكه من تجربة عملية آنذاك. وكان عليّ أن أوطن نفسي على خوضها، عملاً بقول العرب «اكذب النفس إذا حدثتها»، وذلك حتى تستطيع الثبات عند الأمر الجليل حتى تتخطاه، وما كان ليجدي ذلك لولا الرجاء في توفيق الله تعالى، ثم الدعم والتشجيع غير المحدودين من أولئك الذين حمّلوني تلك المسؤولية الكبيرة، والإيمان بالدور الذي يمكن أن يضطلع به المركز في خدمة الحضارة الإسلامية، ودعم البحوث والدراسات والنشاطات الثقافية والعلمية، وخدمة الباحثين بتهيئة مصادر المعلومات لهم بطرق حديثة ـ فتلك المصادر تمثل عقبة كؤودًا أمام حركة البحث العلمي في عالمنا العربي ـ وما ولّدته تلك الثقة في النفس من عزم وإصرار، فكان ذلك كله عونًا وزادًا لتخطي الصعوبات والمعوّقات التي هي سمة رئيسة لكل بداية في أي مجال من مجالات الحياة.

ولم تكن لتستقيم الخطى لولا العثرات، التي كانت دائمًا مجالاً لاختبار معادن الرجال، وقدرتهم على قبول التحديات وتجاوز كل ما يعوق بلوغ الطموحات.

وكانت روح الفريق التي تسري بين العاملين في المركز عاملاً مهمًا في شحذ الهمم، وتقوية العزائم، مما جعل المشكلات والشدائد التي لا يخلو منها أي عمل، ـ فما بالك بالعمل البحثي والفكري ـ تبدو دائمًا أصغر من حجمها الطبيعي.

وقد تكبد العاملون في المركز صعوبات البدايات، وبذلوا كثيرًا من الجهد المضني في سبيل التطوير المستمر، بإنكار الذات، وبإحساس من تجمعهم روح الأسرة الواحدة.

وكان شعور الجميع دائمًا بقرب القائمين على مؤسسة الملك فيصل الخيرية منهم، وتحفيزهم لهم من دوافع الاستمرار في العمل والإنجاز مع توخي الانضباط والدقة، فأصحاب السمو الملكي أعضاء مجلس الأمناء يعملون على الارتقاء دومًا بمستوى الأداء في المؤسسة، برعاية وتوجيه كريمين من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل رئيس المجلس.

وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل مدير عام المؤسسة ـ على الرغم من شواغله ـ حريص على معايشة كل خطوة من خطوات المركز، يباركها ويشجعها ويدعمها بكل أنواع الدعم، فيغدق علينا ـ جميعًا ـ من معين تجاربه وخبراته ومواهبه المتعددة بتعامله الراقي، وعطفه، وتواضعه الجم، وبحرص العالم بمنابت القصيص.

وامتلك صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة المركز آلة الرياسة التي هي سعة الصدر، فوسع الجميع برحابة صدره، وجم تواضعه، وأسرني بدرر أخلاقه، فاستحق، ككل من يزرع المعروف، أن يحصد الشكر؛ فمن خلال رئاسته المباشرة لشؤون المركز، كان لا يألو جهدًا في البحث عن الجدة والتفرد في كل عمل يتصدى له المركز، لقناعته أن طاقة التجدد لا تنضب، وأن الأشياء لا تبدو صعبة إلا حين نحجم عنها.

وما كان ليتحقق أي نجاح من دون تفاعل الإخوة الباحثين ورواد المركز الذين ما بخلوا يومًا بآرائهم وملاحظاتهم، مما كان له الأثر في كل تطوير وتجديد.

عجزي عن التعبير

وجاءت تجربة العمل في دار الفيصل الثقافية، ومجلة الفيصل ـ اللتين أهداهما سمو الأمير خالد الفيصل للمؤسسة، بعد تأسيسهما خدمة للعلم والفكر والثقافة ـ إضافة لمسؤوليات المركز لتشكل تحديًا جديدًا، مما استوجب العمل مرة أخرى بالمثل القائل: «اكذب النفس إذا حدثتها».

وكان أهم ما يشغلني القيام بتطوير شامل في التحرير والإخراج لإكساب المجلة شخصيتها المتميزة بعد سنوات من الثبات، ولست هنا في باب الحديث عن إنجاز حققته إبان رئاستي لتحرير المجلة، بقدر ما أحاول رد جميل أولئك الذين طوقوني بمعروفهم من رؤسائي وزملائي وإخواني من القراء والكتاب الأفاضل.

وكان الهم الأكبر أن يتفاعل القراء مع المضامين التي تطرحها المجلة فيما تنشره من مقالات تتنوع في مادتها، وفي جنسيات كتّابها الذين ينتشرون على امتداد عالمنا العربي والإسلامي، بل يتجاوزونه ـ كذلك ـ إلى العالم بأسره.

وكان الحرص على أن تلامس تلك المضامين فكر القراء وتستنفرهم وتحفزهم إلى الكتابة إبداعًا ونقدًا وتعليقًا إغناء للحوار المفيد في إطار أن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية، وترسيخًا لقيمه المستمدة من إرثنا الحضاري، لذا كان التوسع في الأبواب والزوايا التي أتاحت لهم فرص التعبير عن أنفسهم بكل صدق وصراحة، وجعلتهم يتحاورون على بعد المسافات التي تفصل بينهم، إلى حد أن أصبح كثيرون منهم يفتحون صدورهم للبوح بمشكلاتهم ومعاناتهم الشخصية، مما كان سببًا في الحرج في بعض الأحيان، لأن المرء، مهما حاول أن يلبي طلبات القراء الشخصية، يبدو عاجزًا، إلا أن الكلمة الطيبة تبقى سلوى لكثيرين منهم.

وما كان تفاعل القراء مع القضايا التي تطرحها المجلة إلا دليلاً على وجود فئات واسعة في العالم العربي والإسلامي لا تزال وفية للكلمة المكتوبة الجادة حين تعبر بصدق عن الواقع، وهذه الفئات مهمومة بقضايا أمتها المصيرية، ولا تخدعها الكلمات المنمقة والصور الأخاذة التي لا تريد إلا الإبهار وإثارة الدهشة وصرف الأذهان عن الأمور الحيوية التي لها أثرها في واقع الأمة ومستقبلها. ولا أدل على ذلك من سيل الخطابات التي ترد إلى المجلة من أرجاء العالم العربي والإسلامي، ومن جهات بعيدة في هذا العالم، لا يمكن لإنسان أن يتخيل أن فيها من يهتم بمطالعة مجلة تصدر بالعربية. وكم هو مؤثر ـ حقًا ـ تلقي خطابات تفوح منها نسائم الصدق والإخلاص ومشاعر الانتماء للدين والأمة، من أناس تكشف أساليبهم وخطوط كتاباتهم مدى ما يكابدونه من مشاق في التعبير عن أنفسهم بالعربية، مع أن في وسعهم الكتابة بإحدى اللغات الأجنبية الشائعة كالإنجليزية والفرنسية، ولكن الحرص على لغة القرآن الكريم يجعلهم يستمتعون بمعاناتهم في التعبير بالعربية: اللسان المبين للرسالة الخاتمة.

وما كان لكثير من الأفكار أن ترى النور لولا جهود إخوة أفاضل استوعبوها وتحمسوا لها، فكانوا خير عون على تنفيذها وفق ما خُطط لها، فلم يتوانوا في بذل الجهد والتفاني في العمل، مع الحرص على تفادي ما يبرزه التطبيق من سلبيات من خلال التقويم المستمر، مما يجعلني عاجزًا عن تقديم ما يستحقونه من شكر بقدر ما سهروا وأخلصوا للعمل.

وسأظل أذكر بالخير الإخوة الزملاء في المؤسسة بكل فروعها الذين ربطتني بهم علاقات قوامها الإخلاص والمحبة لهذه المؤسسة، وعلى رأسهم أمينها العام سمو الأمير الشاب بندر بن خالد بن سعود الذي عُرف بدماثة خلقه وطيب معشره.

وستظل هذه السنوات الطويلة التي قضيتها أمينًا عامًا لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وقائمًا بمسؤوليات إدارة دار الفيصل الثقافية ورئيسًا لتحرير مجلتها محفورة في الذاكرة بكل ما فيها من معاناة ونجاح، وبكل ما تهيأ لي خلالها من فرص لتعرف أناس أفاضل من الأدباء والمفكرين والعلماء والكتاب على امتداد العالم.

ولن تسقط من الذاكرة ذكرى يوم من أيام تلك السنوات الطويلة، لأن مايربطني بكل الذين عملوا معي يتجاوز الإطار الضيق الذي تفرضه علاقات العمل إلى إطار واسع من الروابط الأخوية المتينة، التي جعلتنا نعيش شعور الأسرة الواحدة طوال تلك السنوات، وما أصعب أن يفارق الإنسان أسرته. ولكن السلوى أن علاقتي مع المؤسسة بكل فروعها ستظل قائمة دومًا، لأنها علاقة في أشرف الساحات، ألا وهي ساحة العلم.

ومما يسعدني أن اختير للقيام بهذه المسؤوليات رجل عرف بكرم أخلاقه وسعة علمه وطول تجربته، فليس هناك من لا يعرف هذه الصفات والخصال الكريمة وغيرها عن أخي وصديقي الأستاذ الدكتور يحيى الساعاتي الذي كان نعم العون لي خلال تعاونه مع المركز، فهو ليس غريبًا عنه، وإنما تبقى جهوده العلمية المخلصة محل تقديري وتقدير زملائي، وإنني أثق في أنه ـ بتوفيق الله ـ سوف يحقق لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ولدار الفيصل الثقافية، ومجلتها كثيرًا من الآمال التي بقيت في الصدر، وسيدفع العمل فيها إلى ساحات أرحب، وهذا ما آمله وأتمناه له إن شاء الله.

كان شعور الجميع دائمًا بقرب القائمين على مؤسسة الملك فيصل الخيرية منهم، وتحفيزهم لهم من دوافع الاستمرار في العمل والإنجاز مع توخي الانضباط والدقة

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الخليل مدينة تتحدى القهر!!



أحداث التاريخ تعطي للمدن أهميتها، حتى يمكن تحديد أهمية المدينة وموقعها بين مدن العالم بقياس ما شهدته من أحداث كانت لها أثرها البالغ في تاريخ الإنسانية.

ومدينة الخليل واحدة من أعرق مدن العالم، إذ يرجع تاريخها إلى عام ٥٥٠٠ ق.م، وكان بناؤها على يد العرب الكنعانيين، وتوالت عليها الأحداث إلى أن فتحها العرب المسلمون عام ١٥هـ/٦٣٦م، وقد كانت هذه المدينة دائمًا مطمعًا الغزاة، لما لها من أهمية تاريخية وموقع ممتاز، ولما تتمتع به من خيرات كثيرة. واشتهر كثير من أبناء الخليل في مجالات الحياة المختلفة، وفي ظل الاحتلال الإسرائيلي شهدت هذه المدينة أحداثًا جسامًا، ما تزال صامدة وثابتة، على الرغم من صنوف الظلم والعدوان، وتسطر كل يوم صفحات في سجل البطولات. خليل محمود الصمادي كتب عن هذه المدينة مستعرضًا أهم الأحداث التي مرت بها.

طالع ص٨٤.

أدب القصة البوليسية: لماذا الاختلاف حوله!



يخلط كثيرون بين القصة البوليسية والروايات المثيرة، وقصص الجريمة والجاسوسية، وقصص الأسرار، ومرد ذلك وجود تشابه بين القصة البوليسية، وتلك الأنواع المختلفة من القصص.

ويظل الاختلاف قائمًا بين الأدباء والنقاد على وضع تعريف محدد للقصة البوليسية، ودارت مناقشات مستفيضة حول الطول المناسب للقصة البوليسية وشكلها وقواعد كتابتها.

ميسون عبدالرحمن النحلاوي استعرضت تاريخ هذا النوع من الأدب، معرفة بأهم رموزه في العالم.

طالع ص٥٥.

القيادة بالعصا: بداية عصر السيارات الذكية



«القيادة بالعصا» ثورة تقنية جديدة في عالم السيارات، فلم تعد هناك حاجة إلى المقود وعمود القيادة والدواسات، مما يجعل السائق حرًا في تحريك رجليه كيف يشاء، لأن عصر السيارات الذكية قد بدأ، فهي تعتمد على الحاسوب في مختلف عناصر التشغيل وأنظمته. ولا تقبل هذه السيارات الذكية أوامر قائدها من دون أن تتفحصها، ومعرفة مدى سلامتها، كما أن مهمة القيادة يمكن أن يتبادلها السائق ومرافقه. عن عصر السيارات الذكية أعد قسم التحرير موضوعًا ملونًا يبين أبعاد الثورة في أساليب صنع السيارات وطرائق قيادتها.

طالع ص١٥

أدب وفكر

العلم والإعلام

لغة

تربية واجتماع

تراث وتاريخ

من كتاب العدد



د. أبو بكر خالد سعد الله

ـ من مواليد الجزائر، ١٩٤٩م.

ـ حاصل على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة نيس الفرنسية ١٩٧٦م.

ـ عمل مدرسًا بكلية الهندسة المعمارية بالجزائر (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣م)، وجامعة العلوم والتكنولوجيا (١٩٧٧ ـ ١٩٨٠م)، ثم بالمدرسة العليا للأساتذة (قسم الرياضيات) منذ عام ١٩٨٠م، ولا يزال يعمل بها، وعمل مترجمًا في إحدى الصحف الأسبوعية بالجزائر (١٩٦٩ـ ١٩٧٠م).

ـ مسجل في «مشاهير العلم والهندسة» WHO'S WHO IN SCIENCE AND ENGINEERING، وفي سجل مشاهير العالم WHO'S WHO IN THE WORLD.

ـ له أبحاث ودراسات وكتب عديدة في مجال تخصصه، إضافة إلى ترجمة العديد من المقالات والكتب.



مصطفى بن عمر بو هلال

ـ من مواليد مساكن، تونس، ١٩٣٩م.

ـ تخرج في معهد ابن خلدون للتعليم الزيتوني، تخصص علوم إسلامية وتربية.

ـ عمل معلمًا ومدير مدرسة لمدة ٣٥ عامًا، وهو متقاعد الآن.

ـ عضو في عدد من اللجان العلمية والثقافية.

ـ له مقالات وقصص منشورة في الصحافة المحلية والعربية.



أمين سليمان سيدو

ـ من مواليد الجزيرة السورية، ١٩٥٦م.

ـ دكتوراه في علم المكتبات والمعلومات من جامعة كازاخستان الوطنية المسماة بالفارابي عام ١٩٩٦م.

ـ يعمل مديرًا لإدارة الإبداع النظامي بمكتبة الملك فهد الوطنية.

ـ شارك في عدد من اللجان الفنية في المكتبات، وشارك في وضع استشارات فنية مكتبية لهيئات حكومية في المملكة العربية السعودية.

ـ له مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية المتخصصة، ومشاركات عديدة في الصحافة المحلية.



جاسم محمد أحمد الصحيح

ـ من مواليد قرية الجفر، الأحساء، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٤هـ.

ـ حاصل على بكالوريوس هندسة ميكانيكية، جامعة بورتلاند بولاية أركون الأمريكية، ١٤١٠هـ، ويعمل بشركة أرامكو.

ـ له ديوان شعر مطبوع بعنوان: «ظلّي خليفتي عليكم»، وديوانان مخطوطان الأول بعنوان «حمائم تكنس العتمة»، والثاني «خميرة الغضب».

ميسون عبدالرحمن النحلاوي

ـ من مواليد سورية، ١٩٦٣م.

ـ حاصلة على بكالوريوس في الأدب الإنجليزي، جامعة دمشق، ١٩٨٥م، ودبلوم صحافة بالمراسلة من Transworld tutorial collage، ودبلوم في أصول التدريس، جامعة دمشق ١٩٩٣م.

ـ من الأعمال التي قامت بترجمتها:

«كزبرة الثعلب القرمزية» Scarlet Pempirnal، للكاتبة بارونس أورسيزي Baroness Orezy، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، دار الفكر ـ سورية، «جوهرة القمر» The Moon Stone للكاتب الإنجليزي ويلكي كولنز Wilkie Collins الطبعة الأولى ١٩٩٣م، دار المعاجم، سورية، نيكولاس نيكلبي Nicholas Nickleby، لتشارلز ديكنز Charles Dickens الطبعة الأولى ١٩٩٥م، دار المعاجم، سورية، السهم الأسود Black Arrow لستيفنسون R.L. STEVENSON تحت الطبع، دار المعاجم.



علاج الجنين قبل الولادة

لفرينتش أندرسون من جامعة سادثيرن كاليفورنيا في لوس أنجلوس اقتراحان لهيئة حكومية أمريكية لنقل المورثات المعالجة إلى الأجنة البشرية.

فقد بدأ فرينتش أندرسون أول محاولة لعلاج المورثات البشرية في شهر أيلول/ سبتمبر عام ١٩٩٠م عندما عالج أطفالاً يعانون من نقص مناعة حاد بسبب أحد الأنزيمات.

وقد أعلن أندرسون في اجتماع عقدته المعاهد القومية للجنة الاستشارية الصحية للحمض النووي أنه يريد أن يشق طريقه في علاج المورثات الجنينية. وتمثل اقتراحاته الخطوات الأولى نحو المحاولات التي يقصد إليها منذ عامين. ويأمل أندرسون عن طريق البدء في علاج المورثات تحسين النتائج المتواضعة في علاج الأطفال. وفي عام ١٩٩٣م تم علاج ثلاثة أطفال حديثي الولادة من نقص المناعة الحاد عن طريق حقن نخاع دمائهم بذلك الأنزيم، وما يزال أولئك الأطفال يصنعون أعداداً صغيرة من الكريات الدموية مع وجود ذلك المورث، ولكنهم ما يزالون بحاجة إلى تناول دواء يزودهم بالأنزيم المفقود. يقول دونالدكوهن من مستشفى لوس أنجلوس للأطفال الذي يعمل في مجال نقص المناعة الحاد: إنه ما يزال يوجد هناك مجال لتحسين الأمور. ولا يعرف يقيناً أن النتائج ستكون أفضل إذا عولج النقص في الرحم مباشرة؛ أما الباحثون فيأملون ذلك، لأن الفيروسات الارتدادية التي تحمل الجين المعالِج لا تؤثر إلا في الخلايا المنقسمة، وإن الخلايا الأصلية التي يستهدفها المورِّث تنقسم بشكل متكرر أكبر في الجنين. ومن اقتراحات أندرسون لمعالجة ذلك المرض وفق ما جاء في عدد مجلة نيو سينتيست NEW SCIENTIST حقن الأجنة بالفيروسات المهندسة وراثيًا التي تحمل المورث التعديلي، وذلك من خلال جدران بطون أمهاتهم، والاقتراح الآخر هو معالجة مرض فقد الدم (مرض كولي أو الثلاسيميا) أحد الأمراض الوراثية المختلة في هيموجلوبين الدم. وينوي أندرسون أن يزيل خلايا الأصل الجينية من خلال أخذ عينة دم، ثم إضافة فيروس ارتدادي مع المورّث للحصول على مركب بروتيني لهيموجلوبين الدم، ثم حقن الجنين بالخلايا المهندسة ثانية. لا يتوقع أندرسون أن تنال اقتراحاته الموافقة في المستقبل القريب جداً. وعلى أية حال فمن المؤكد أن تثير اللجنة الاستشارية الموحدة للحمض النووي المخاوف بالنسبة إلى تلوث وراثي للنطف والبويضات بسبب إهمال أو عمل غير مقصود مما قد يتسبب عنه تغييرات تحملها الأجيال القادمة، وهذا ما قد يحدث في التجارب التي تجرى على الكبار والأطفال.



وبما أن الأجنة صغيرة جدًا فإنه من المرجح أن يصل مزيد من الفيروسات الارتدادية المعالجة إلى الأعضاء التناسلية. ويقول أندرسون: إن المجازفات تزداد بشكل كبير عند التحدث عن الجنين. وعلى أية حال توحي التجارب التي أجراها أندرسون وإسماعيل زانجاني من جامعة نيفادا في رينوا على الحيوانات بأن تلك المجازفات ليست بالكبيرة؛ فقد حقنا فيروسًا يحمل مورثًا موسومًا في أجنة نعاج، وعندما بلغت السنة الخامسة من العمر بقيت خلايا الدم في هذه النعاج تفصح عن هذا المورث الموسوم. ولكن يبدو أن هذا الوسم لا يوجد في ذرية تلك النعاج. ويعتقد نيلسون ويفل أحد المختصين بعلاج المورثات من جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا أن مرض فقد الدم (الثلاسيميا) ومرض نقص المناعة الحاد اللذين يمكن معالجتهما بعد الولادة بفترة قصيرة ليسا بأفضل الأمراض المرشحة للتجارب الجينية. ويرجّح أن توافق اللجنة الاستشارية للحمض النووي على العلاج بالجينات لأمراض مثل داء تاي - ساكس الذي يبدأ يسبب تلفًا لا يمكن علاجه في رحم المرأة.

استنباط جهاز من الدلافين للمراقبة من بُعد



طور العلماء في جامعة نيوكاسل جهازًا استلهموه من الدلافين ومن طريقة عمل الإنترنت، من أجل وضع أجهزة في أعماق المياه تُشغل من بعد لمعاينة منصات التنقيب عن البترول وصيانتها، ويمكن استخدامها أيضًا للبحث عن حطام السفن والمعادن، والتنقيب في حقول نفطية وغازية جديدة. يستخدم هذا النظام موجات الذبذبات التي تستخدمها الدلافين للتخاطب فيما بينها من مسافات بعيدة جدًا. ولا تستطيع إلا موجات الراديو ذات الذبذبات المنخفضة أن تعبر المياه، وهذا هو الأسلوب الذي تستخدمه الغواصات النووية التي قد تقضي عدة أشهر تحت الماء.

وتستطيع أشعة الليزر الزرقاء الضاربة للخضرة التسرب إلى مسافة ١٠٠متر في المياه الصافية، ولكنها لا تستطيع النفاذ إلى أكثر من بضعة أمتار في مياه بحر الشمال العكرة.

وتعمل الحيوانات، حتى الآن، بشكل أفضل من الإنسان في المياه. وتستطيع الحيتان الاتصال بعضها ببعض من مسافات بعيدة جدًا باستخدام موجات صوتية ذات ذبذبات منخفضة، في الوقت الذي تستخدم فيه الدلافين موجات ذات ذبذبات عالية. لقد اختفت المحاولات لاستخدام موجات صوتية لحمل معطيات رقمية، وذلك لأن مثل هذه الموجات تفسد بسهولة بسبب الانعكاسات العشوائية القادمة من قاع البحر، أو من الموجات السطحية، أو من الأجسام الموجودة تحت الماء. وهذه الأشياء تجعل قوة الإشارات تنقلب بشكل عشوائي مضيفةً أو حاذفة بعض أجزاء الإشارات. ولكن بعد ثماني سنوات من إجراء البحوث يزعم قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية في جامعة نيوكاسل كما جاء في عدد يونيو ١٩٩٨م من مجلة نيوسينتست NEW SCIENTIST أنه أصبح بوسعه الآن أن يرسل معطيات عبر عدة أكيال داخل الماء.





التكاثر وحفظ النوع بالمبارزة

يتسم عالم الديدان المسطحة البحرية (سودو سيروس بيفوركوس) بالغرابة، حيث إن مبارزة أعضائه تمثل وسيلة حياة. هذه الديدان الغريبة، التي تمتلك أعضاء جنس ذكرية وأنثوية في الجسم الواحد، تراوغ ويضرب بعضها بعضا في أثناء عملية التزاوج، والأكثر مهارة من هذين الزوجين يضخ نطفه (حيواناته المنوية) تحت جلد شريكه الذي يضطر، نتيجة خسارته المعركة، على حمل صغار ديدان هذين الزوجين. وفي محاولة لمعرفة: كيف ولماذا يحدث هذا التصرف الغريب؟ أخذت ليزلي نيومان LESLIE NEWMAN من جامعة كوينز لاند بأستراليا، ونيكو ميشيلز NICO MICHIELS من معهد ماكس بلانك في ستارنبيرغ بألمانيا بجمع أزواج من تلك الديدان، ومن ثم مراقبة تفاعلها من كثب في خزانات صغيرة، حيث أخذت الديدان في الوثب ومحاولة طعن بعضها بعضا بأعضائها الذكرية. وقد أظهرت الإحصاءات أن فرصة كل دودة في أن تطعن أو تكون مطعونة متوازنة، على أن واحدة منها فقط تفوز. فعمّ ينبئ هذا عند العلماء؟ إن الدودة الطاعنة الفضلى يجب أن تكون أيضًا المراوغة الفضلى، وإذا ما أصبح كل جيل هو الأفضل في الطعن والمراوغة «فإن التفاعل سيزداد حدة مما ينجم عنه تكتيكات حمل (حبل) عدوانية. هذا ما يقوله ميشلز في عدد مجلة بيبولارسينس Popular Scienceالصادر في يوليو/تموز ١٩٩٨م، وكلما أصبح الجيل أكثر عدوانية كان الثمن الجسماني في الجروح أكبر. ويذهب ميشيلز إلى أن بوسعهم التخمين بأن تلك الحدة ستتوقف حالما تصبح تلك الحيوانات ماهرة جدًا في تجنب الطعن، بحيث يصبح التزاوج طوعيًا للمحافظة على النوع، ويضيف أنهم لا يملكون دليلاً على ذلك بعد. يوجد لدى الأعضاء الخنثية (الخنثوية)، بخلاف الأنواع التي تمتلك أعضاء جنس منفصلة، اهتمامات جنسية متطابقة (متماثلة) مما ينتج عنه نزاع عنيف بين أفراد ذلك النوع. وسيساعد الفهم الأفضل لكيفية التغلب على ذلك النزاع على تحديد المنافع التطورية بدقة لأنظمة الجنس المستقلة (المنفصلة).



نزع أسلحة النحل

لدى مراقبة إبرة (أداة لدغ) النحل القاتل تمكن المختصون في علم الوراثة من حل رموز الطبيعة العدوانية لتلك الحشرات.

يعد نحل العسل الإفريقي القاتل من نوع Apis Mellifera Scutellata كالكارثة لمربي النحل الأمريكيين، وقد دخل هذا النوع من النحل إلى



الولايات المتحدة مصادفة قبل عقود، وتم التزاوج بين هذا النوع والأنواع الأوربية التجارية، مما أنتج سلالات يمكن إثارتها بسهولة ودفعها إلى لسع من حولها مما يرفع المجازفات وأسعار العسل، وتقول New SCIENTIST: إن فريقًا برئاسة جريغ هنت من جامعة بوردو في ويست لافاييتي بانديانا قام باستحداث ١٦٢ مستعمرة «خلية» نحل عن طريق إجراء تزاوج بين ذكر نحل إفريقي وأنثى نحل أوربي، ثم أخذ الفريق يُحصي عدد لسعات كل خلية لرقعة من الجلد، وقد تبين أن خمس مناطق من الحمض النووي قد تمثلت بشكل أكثر مما ينبغي في مستعمرات «خلايا» نحل بولشي، وهذا مما يوحي بأن تلك المناطق تحتوي على الجينات «المورثات» المزعجة. ويعتقد هنت أنه ذات يوم ستعمل الأدوية التي تستهدف تلك الجينات على تهدئة السلالات الإفريقية، ويضيف أنه بالإمكان رش تلك المستعمرات بالأدوية فتعمل على تقليل عدوانية النحل، ورغبتها في اللسع.

حاسوب الأطفال

المستكشف الصغير Young Explorer الذي صنعته آي . بي. إم مع وليتل تايكس ، بداية قفزة كبيرة في تقنية الحاسوب (الكمبيوتر)، ويتكون قلب ذلك الحاسوب المتين الملوّن البلاستيكي (اللدائني)، وفق ما جاء في عدد مجلة ببيولر سينس Popular Science الصادر في يوليو/ تموز ١٩٩٨م، من نظام وندوز ٩٥ على حاسوب شخصي يشغله معالج من نوع بنتيوم إم إم إكس Pentium M M X Processor يوزن على مستوى أعين الأطفال، وفي متناول أولئك الصغار، وله شاشة مقاس ١٤ بوصة، وسواقة ليزرية، وخمسة برامج، ومقعد لطفلين، ولوحة مفاتيح غشائية سهلة التنظيف.







بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربيّة السّعوديّة
تتقدّم أرامكو السّعوديّة بأسمى آيات التهاني وأجمل الأماني إلى

خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمّو الملكي الأمير
عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
وليّ العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمّو الملكي الأمير
سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وإلى حكومتنا الغالية وجميع أبناء وطننا الحبيب



القيادة بالعصا وعصر السيارت الذكيّة

إعداد: قسم التحرير



السيارة التي أحدثت المفاجأة في معرض باريس الدولي للسيارات. يتم فتح بابها ببطاقة مغناطيسية، وتخلو من المقود الدائري وعمود القيادة والدوّاسات بعد تعويضها جميعًا بنظام القيادة بالعصا الإلكترونية.

كان لزوّار يتوافدون على معرض باريس الدولي للسيارات الذي نظّم في العام الماضي، فجذب اهتمامهم نموذج لسيارة مرسيدس حديثة من طراز (F200)، وأثار تساؤلاتهم عما إذا كان مصمموها قد أسرعوا في عرضها قبل أن يكتمل بناؤها بعد أن لاحظوا خلوّها من المقود الدائري وعمود القيادة والدوّاسات؛ فكيف يمكن التحكم بسيارة في غياب هذه الأجهزة المهمة؟

ولقد ازدادت دهشتهم عندما شاهدوا عرضًا لفيلم فيديو أنجزه مصممو السيارة حول طريقة قيادتها اعتمادًا على تقنية جديدة تمامًا في حقل صناعة السيارات اسمها: «القيادة بالعصا» Drive by wire تستغني عن الأجهزة التقليدية كلها. وهي تمثل نظامًا للقيادة يتولى فيه سا ئق السيارة توجيه الأوامر المعتادة لسيارته، كتغيير السرعة أو الكبح أو تغيير الاتجاه، بتحريك عصا جانبية. ولقد بذل المصممون الكثير من الجهد لإقناع زوارهم بأن ما يرونه ليس لعبة «أتاري» أو إحدى الخدع السينمائية التي يتم تركيبها عادة بتطبيق تقنيات «المؤثرات الخاصة»، بل هي تقانة جديدة بالغة التعقيد تدخل عالم السيارات للمرة الأولى. ولقد بدا هيرالد ليشك مدير قسم التصميم التابع لإدارة التطوير المتقدّم لسيارات الركاب في «مؤسسة ديملر- بنز للبحوث» فخورًا بهذا الإنجاز المهمّ من خلال التصريح الذي أدلى به للصحفيين عندما قال: «لقد أردنا من عرض هذه السيارة إطلاع زبائننا على الشكل الذي ستؤول إليه الأشياء في المستقبل».

ولقد انفردت بابتداع هذه التقانة الجديدة «مؤسسة ديملر بنز» عندما قرر مهندسوها الاقتداء بنظام قيادة الطائرات الحديثة الذي يدعى «نظام الطيران بالعصا» Fly bu wire بعد أن لاحظوا أن من شأن تطبيقه في قيادة السيارات أن يحقق فوائد كثيرة تتعلق بأمن ركابها وسلامتهم، وتعميق الشعور بمتعة قيادتها. وتنطوي هذه التقانة على مجموعة من المفاهيم الجديدة تمامًا في صناعة السيارة برمتها يكون للحاسوب فيها دور أساسي في مختلف عناصر التشغيل والأداء وأنظمتها.

ففي السيارات العادية التي نعرفها اليوم، يتم التحكم بالقيادة والكبح والتسريع بوساطة تقنية يطلق عليها اسم «توصيل الطرف بالطرف» End to end linkage فالمقود الدائري يكون متصلاً بطريقة ميكانيكية بالعجلات عبر عمود القيادة وتوصيلاته الفرعية، بينما تتصل دواسة الكبح بمجموعة الكبح، وتتصل دوّاسة البنزين بالمحرك. وفي طريقة القيادة بالعصا تم الاستغناء عن هذه الأدوات والتوصيلات كافة، وعوّضت بأدوات جيدة للتحكم الإلكتروني؛ حيث تتلقى مجموعة من المحركات الكهربائية

والهيدروليكية الصغيرة الأوامر المتعلقة بالقيادة والتحكم من الحاسوب الذاتي للسيارة وفقًا للمعلومات التي يتلقاها بدوره من السائق عن طريق تحريك العصا الإلكترونية الجانبية وتنفذها بصفة فورية. ومن أهم الفوائد الكامنة وراء ابتكار هذه الطريقة الجديدة هي أن الأجهزة الإلكترونية يمكنها أن تتفحّص أوامر القيادة الموجهة من السائق عن طريق العصا لتخضعها بعد ذلك لمحاكمة مبرمجة حتى تتعرف إذا كانت ممكنة التحقيق عمليًا أم أن من شأنها تعريض السيارة وركابها للأخطار الكبيرة، وبالاستعانة بالبيانات المبرمجة للقيادة الآمنة والمحفوظة في ذاكرة الحاسوب، يتولى نظام الأوامر تصحيح الأخطاء الجسيمة التي يمكن أن يرتكبها السائق، كما يحدث عندما يغفو أو يكون مخمورًا، ولا ينفذ إلا الأوامر التي تضمن للسيارة استمرار الحركة الآمنة الخالية من الأخطار. وهكذا يمكن عدّ النظام الإلكتروني كأنه سائق مساعد ذكي مسؤول عن سلامة الركاب والسيارة جميعًا.

ولقد سبق لمؤسسة ديملر - بنز أن أضافت المساعد الأمني الإلكتروني electronic safety assistant لسياراتها الحديثة التي تجوب الآن الطرقات من خلال نظام «مساعد الكبح» brake assistant الذي يزيد الكبح عندما يكتشف نوعًا من الضغط السريع على دوّاسة الكبح يدل على أن السائق يريد التوقف بسرعة. وتمّت إضافة هذه الوظيفة الجديدة لنظام الكبح بناءً على ما أظهرته البحوث من أن معظم السائقين، على الرغم من أنهم يضغطون على دوّاسة الكبح بسرعة كافية عند الأحداث الطارئة، تبيّن أنهم يفعلون ذلك بقوة غير كافية؛ ولهذا فإن مساعد الكبح يمكنه أن يصحح هذا الخطأ بتحقيق قوة الضغط المناسبة لإيقاف السيارة بمجرد الضغط السريع على الدوّاسة بعد أن أُلحق بها مسبار إلكتروني يمكنه قياس سرعة حركتها؛ فإذا تعدت هذه السرعة حدًا معينًا فإن النظام الإلكتروني يأمر نظام الكبح بتحقيق التباطؤ الأقصى لحركة السيارة لتتوقف عن الحركة تمامًا خلال زمن وجيز. وفي نظام القيادة بالعصا يتم التحكم بالقيادة والتسارع والكبح بوساطة عصا جانبية مركبة بين المقعدين الأماميين. ويكون استخدامها غاية في البساطة، فإذا حركها السائق إلى اليسار أو اليمين دارت معه السيارة إلى الاتجاه المطلوب، وإذا دفعها إلى الأمام تزايدت سرعة





يمكن قيادة النموذج (F200) من المقعد الأيسر أو الأيمن بوساطة العصا الإلكترونية بعد أن جرى ترتيب عناصر التحكم بشكل متناظر على الجزء المركزي من لوحة العدادات.

السيارة، وإذا دفعها إلى الخلف تناقصت سرعتها عن طريق نظام الكبح. وينطوي إلغاء المقود الأمامي وعمود القيادة على فوائد أمنية كبيرة نظرًا لما بينته البحوث المتعلقة بالحوادث من أن السائق غالبًا ما يأتيه الخطر أثناء الاصطدام من ضغط هذا العمود على صدره أو رأسه. يضاف إلى ذلك أن إلغاءهما سمح بتوفير حيّز إضافي ضمن غرفة السيارة يمكن استغلاله في تحقيق راحة أكبر لركابها.

وتكمن إحدى الفوائد المهمة التي تنطوي عليها القيادة بالعصا في تفادي المشكلات الهندسية التي يصادفها صانعو السيارات نتيجة تغير نظام القيادة في الطرقات من بلد إلى آخر. وحتى الآن، لم تزل مصانع السيارات تهدر الأموال الطائلة في صناعة النماذج الصالحة للقيادة من اليمين لتلبية حاجة زبائنها في أسواق البلدان التي يجبر قانونها السائقين على التزام الجانب الأيمن من السيارة أثناء القيادة

القيادة بالعصا وعصر السيارت الذكيّة

كبريطانيا واليابان وأستراليا وبعض دول الكومنولث البريطاني، نظراً لما يسببه ذلك من زيادة في تكاليف التصميم والتصنيع. ولقد جاء ابتكار هذا النظام ليحل هذه المشكلة إلى الأبد. فلن يكون هناك أي فرق بين قيادة السيارة من المقعد اليساري أو اليميني. وينطوي التحكم بالقيادة بوساطة العصا الجانبية على قدر كبير من الراحة والمتعة، حيث يحقق هذا النظام للسائق الحرية الكاملة لتحريك الرجلين بعد انتفاء علاقتهما بالقيادة تماماً. وقام المهندسون أيضاً بتصميم مبدّل إلكتروني electronic switch يسمح لمرافق السائق بمتابعة القيادة من مقعده. ولا يتطلب تبادل تسليم عصا القيادة أثناء الحركة أكثر من ضغطة زرّ على إحدى العصوين الإلكترونيتين الجانبيتين المثبتتين بالبابين الأماميين، وبعد ذلك يقوم النظام الإلكتروني بالتحري عما إذا كان السائق المرافق في الوضع المناسب للقيادة، وما إذا كان ممسكاً بالعصا الإلكترونية الرئيسة ومستعداً للقيادة، قبل أن يبدأ بتقبل تلقي الأوامر الجديدة منه، وبهذا أصبح تبادل مهمة القيادة بين السائق ومرافقه أو انتقال السائق الأصلي إلى المقعد الأيمن للقيادة في البلدان التي تعتمد طريقة القيادة اليمينية أمراً في غاية السهولة.

ابتكارات بالجملة

تزدحم لوحة العدادات في هذه السيارةالجديدة بشاشات الاستظهار التي تجعل السائق عارفاً بالأمور التي تهمه أثناء القيادة كافة. ففي كل من الزاويتين اليمنى واليسرى لهذه اللوحة توجد شاشة فيديو لاستظهار الصور التي تسجلها آلتا تصوير (كاميرتان) تلفازيّتان تعوضان مرآتي مراقبة جانبي الطريق من الخلف، كما تعوّض شاشة ثالثة مرآة المراقبة الوسطى التي توجد عادة فوق واجهة القيادة. وتقدم هذه الشاشات مجتمعة صورة مستمرة غير معرضة للتشويش لجانبي الطريق وخلفيته أثناء الحركة. يمكن للسائق أن يستخدم أحد أجهزة الفيديو المذكورة لعرض فيلم سينمائي على ضيوفه أثناء القيادة.

ويعد نظام المصباحين الأماميين الذكيين intelligent head lights واحداً من الأنظمة الكثيرة للأمن والسلامة التي تشتمل عليها السيارة (F200) بعد أن تمّ تزويد كل من المصباحين بستة كشّافات ضوئية يتم ضبط اتجاهاتها باستمرار بطريقة إلكترونية، بحيث تدور مع دوران العجلتين الأماميتين، حتى تضمن للسائق الرؤية الجديدة أثناء القيادة لأجزاء الطريق كافة. وعند القيادة بسرعة قليلة داخل المدن تنقص مساحة حقل الإضاءة آليّا، وعند السرعة العالية خارج المدن يتسع هذا الحقل.

وزودت السيارة (F200) بأربع محافظ هوائية للوقاية من حوادث الاصطدام: اثنتين أماميتين لوقاية السائق ومرافقه من حوادث الاصطدام الجبهية، واثنتين جانبيتين لوقايتهما من حوادث الاصطدام الجانبية.

والمفاجأة الأولى التي ستبهر صاحب هذه السيارة عند ركوبها تتعلق بالنظام الإلكتروني لفتح الأبواب وإغلاقها بحيث لم تعد به حاجة لهدر الوقت في البحث عن المفتاح بعد أن أضيف إليها نظام الفتح والإغلاق عن بعد بالبطاقة المغنطيسية Magnetic card. وبمجرد تنشيط البطاقة بحركة يدوية بسيطة يصبح صاحب السيارة على اتصال مع حاسوبها الذاتي؛ فإذا وجّه أمراً بفتح الباب فإن الحاسوب ينقل الأمر إلى المحرك بتدويره إلى الأسفل. ويضمن هذا النظام حماية السيارة من السرقة لأن فتح الباب يتم عن طريق «إشارة مرور» إلكترونية يحددها صاحبها ولا يمكن لأحد غيره أن يفتحه ما لم يعرف هذه الإشارة.

والشيء الذي من شأنه أن يكمل العناصر التقنية المتقدّمة في هذه السيارة ويزيد من متعة قيادتها هو سقفها المصنوع من طبقتين من الزجاج المطلي بمعدن الكروم، تتخللهما طبقة من مادة بلاستيكية تتألق بمرور التيار الكهربائي عبرها، وتُعتم بانقطاعه، مما يسمح للسائق بتعتيم الحيز الداخلي أو إضاءته وفقاً لما يرغب بضغطة زرّ واحدة.



ينطوي تصميم وتجهيز النموذج (F200) على ثورة جديدة في تكنولوجيا القيادة وتبدو في الصورة العصا الإلكترونية التي عوضت المقود الدائري وعمود القيادة والدوّاسات، كما استُبدِلَ بمرايا المراقبة الخلفية ثلاث شاشات فيديو: اثنتين على طرفي واجهة العدادات، والثالثة فوق عصا القيادة.

القيادة بالعصا وعصر السيارت الذكيّة



نظام «الهاتف الجوّال المشغل صوتيًا» أصبح متوافرًا في العديد من نماذج السيارات الحديثة ويحقق إمكانية التحادث مع الهاتف الحاسوبي للسيارة لطلب الاتصال بأرقام معينة دون أن يصرف السائق ذهنه عن القيادة.

هاتف يتلقى الأوامر الصوتية

لم تعد الفوائد الكامنة في الآلات التي تستجيب للأوامر المنطوقة تقتصر على سهولة الاستخدام وحدها، بل إنها في الكثير من الحالات تعزز من فرص تحقيق الأمن والسلامة لمستخدميها؛ ولعل أفضل مثال عن ذلك هو «الهاتف الجوّال المُشغّل صوتيًا» - voice activated mobile phone الذي أصبح متوافرًا في بعض أنواع السيارات الأمريكية والألمانية، ومنها النموذج (F200) كاختيار إضافي يركب بناء على طلب الزبون، وذلك منذ شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٩٦م.

ولقد أظهرت دراسات أجراها باحثون من معهد روشيستر التقاني (التكنولوجي) RIT في الولايات المتحدة الأمريكية بأن استخدام الهاتف الجوّال العادي أثناء قيادة السيارة يرفع معدلات حوادث السيارات بمقدار الثلث، لأن استخدامه المتكرر يشغل السائق عن المتابعة الذهنية لحالة الطريق وضرورات القيادة الآمنة، وتبيّن لهم بأن الهاتف الجوّال المُشغّل صوتيًا من شأنه أن يخفض هذا المعدل، لأن بإمكان السائق أن يركز انتباهه على القيادة أثناء إجراء اتصالاته الهاتفية.

وبغض النظر عن الشخص المتحدّث فإن حاسوب الهاتف يمكنه أن يميّز الأوامر وأرقام الهواتف المنطوقة التي يمكن إملاؤها صوتيًا إما على شكل كلمات متسلسلة ومستمرة، أو كأحرف وأرقام مهجّاة. والأكثر من هذا هو أن بإمكان أي مستعمل للجهاز أن يختزن في ذاكرة حاسوب الهاتف أسماء الأشخاص الذين يكثر من محادثتهم، ثم يقوم بإجراء عملية الربط البسيطة بين أسمائهم وأرقام هواتفهم، ويكفيه بعد ذلك أن ينطق باسم أيٍّ منهم ليقوم الهاتف بطلب رقمه آليًا.

ولم يأت هذا النظام إلا ثمرةً لبحوث ودراسات معمقة اعتمد فيها المهندسون على ما يسمى بـ «النظام الإلكتروني لتمييز الكلام المنطوق» الذي فتح أوسع الأبواب لدخول عصر تقانة التحادث والتحاور مع الآلات والأدوات.

ويُجمع الخبراء على أن هذه الابتكارات والتقنيات المتقدمة التي أضيفت للسيارة (F200) لن تقتصر على جعلها سيارة العصر فحسب، بل إنها توحي أيضًا بحدوث ثورة شاملة في أساليب صنع السيارات وطرائق قيادتها.



بينت البحوث بأن ضغط المقود وعمود القيادة أثناء الاصطدام يعد من أكبر الأخطار التي يتعرض لها السائق. ولقد حقق تطبيق نظام القيادة بالعصا إمكانية الاستغناء عن هذه الأجهزة تمامًا.

معالي الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر في منتدى الفيصل

نبذة من سيرة معاليه:

- من مواليد عنيزة بالقصيم، المملكة العربية السعودية ١٣٤٤هـ.
- جزء من دراسته الابتدائية في عنيزة، وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة.
- تخرج في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ.
- من أوائل المبتعثين إلى خارج المملكة، إذ حصل على الدكتوراه في التاريخ عام ١٣٨٠هـ من جامعة لندن.
- عُين في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود، وعُين وكيلاً للجامعة (١٣٨١ - ١٣٩١هـ).
- درّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب بالجامعة.- عمل رئيسا لديوان المراقبة العامة لمدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للصحة لمدة عامين تقريباً.
- عمل وزيراً للمعارف لمدة ٢١ عاماً، ووزيراً للتعليم العالي فترة زمنية بالإضافة إلى عمله وزيراً للمعارف.
- عين في عام ١٤١٦هـ وزير دولة، وعضواً في مجلس الوزراء.

من مؤلفاته:

- تاريخ الشيخ أحمد المنقور (تحقيق ودراسة)، مطابع الجزيرة بالرياض، ١٣٩٠هـ.
- عثمان بن بشر: منهجه ومصادره، ١٣٩٠هـ.
- كتيب «في طرق البحث»، الرياض، ١٣٩٥هـ.
- الملك الظاهر بيبرس، الرياض، الكتاب الجامعي ١٣٩٦هـ، وهذا الكتاب رسالته للدكتوراه، ونشر باللغتين العربية والإنجليزية.
- «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» (تحقيق)، ١٣٩٦هـ.
- «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي، (تحقيق)، ١٣٩٦هـ. - من حطب الليل، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- «قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبدالله العثيمين»، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- «أي بني»، خمسة أجزاء من (١٤٠٩ - ١٤١٤هـ).
- «إطلالة على التراث» (ستة عشر جزءاً).
- « يوم وملك» الجزء الأول ١٤١٨هـ.
- «ملء السلة من ثمر المجلة» الجزء الأول، ١٤١٩هـ.
- له العديد من المحاضرات وأوراق العمل التي شارك بها في المؤتمرات المحلية، والدولية.



آراء وأفكار من مؤلفاته:

«كتابة السير أمر عرفته الحقب الإسلامية، وقد زاوله الكتاب، وقُبل ما كتبوه على أنه جزء من كتابة التاريخ، بل إنه في بعض الحالات كان المخ فيها، وكان الإقبال عليه يتراوح الحماس له، وفيه بين فترة وأخرى، كثرة وقوة، حسب ظروف تتناسب مع طبيعته أحيانًا، أو تتنافى أحيانًا أخرى. وكان التأليف فيه يقوى لأهمية الشخصية المؤرخ لها، أو لقوة الكاتب، ومدى إيمانه بالموضوع الذي يعالجه، وإتقانه لفن الكتابة فيه، أو يضعف لضعف هذه النواحي».

من مقدمة تحقيق كتاب «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر»
١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م

« في الماضي كان الاختلاف بين الجيلين يكاد لا يذكر، فالعادات هي العادات، والأدوات هي الأدوات، والدواب هي الدواب، والمساكن هي المساكن، واستعمال كل تلك هو الاستعمال. والاختلاف أحيانًا وهمي في ذهن الجيل الماضي، فالوالد يقول للابن إننا لم نكن نفعل ذلك في زماننا، وهم كانوا يفعلونه.
ولكن الوالد نسي، أو اختلف عنده أسس المقارنة أو لا يريد أن يقر. وجاء زمن الاختراعات المتلاحقة، فبدأت بطيئة في أول الأمر، تدور عجلتها ببطء، ولكنها تكسب تدريجيًا سرعة، حتى أصبحت «ريش» عجلتها لا تُرى من السرعة في الدوران. وانفصل الجيل عن الجيل أو كاد، و«التهى» الجيل الجديد بملاحقة الاختراعات، ويحاول أن يهضم ما تلده معاملها ومصانعها، وأن يهنأ ويلتذ بمكتشف أو مخترع. سار خلف هذه الاختراعات لاهثًا، لا يكاد يجد فرصة لالتقاط أنفاسه، وسماع صوت الجيل الماضي، وهو يناديه أو ينصحه، أو يؤنبه، أو يبكته، أو يحذره، أو يتمتع بوجوده معه»

«أي بني»، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

«هذه المحاولة المحدودة تهدف في أحد جوانبها إلى خدمة رجل دخل التاريخ، وأدى دوره في نطاق جهده، وفي حدود مقدرة زمنه، فأضحى له في أعناقنا ما أوجب أن نعطيه ما نستطيعه على الأقل، آملاً في أن يكون هذا سببًا في التفات من هو أقدر منا، واستدرارًا لدعوة من قارئ يقول: «رحم الله ابن عثيمين»، فيكسب ابن عثيمين دعوة، ونكسب معه، ومع من دعا بها أجرًا، ونَرقى درجة إلى مصاف من خدموا تراثهم، ولو بجهد قليل».

«قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين» ١٤١٢هـ/١٩٩١م

«بمتابعة التراث تبيّن لي أن بعض ما بهرنا من الغرب في عصرنا الحديث، إنما هو بضاعتنا ردت إلينا، وأننا السابقون إلى هذا، سواء كان ما نجد، مما يجلبونه لنا من أفكار مأخوذًا منا مباشرة منذ زمن طويل، أو كان تلاقي أفكار نحن السابقون إليها قبل قرون. وهذا يعطينا الثقة في تراثنا وفي أنفسنا. ويحثنا أن نفليه فليًا، لنعرف ما تحت ما لبسه من غبار، أو ما بنى عليه الزمن من طبقات صدأ أخفت درره وجواهره».

من مقدمة الجزء الأول من «إطلالة على التراث» ١٤١٤هـ/١٩٩٣م

أقوال الماضي للحاضر

سهم العين

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر



العين حق، ومن بين الأقوال في تفسير الآية الكريمة، التي في سورة يوسف، عما أوصى به يعقوب بنيه، ألا يدخلوا من باب واحد، وإنما من أبواب متفرقة، أن ذلك من أجل تفادي الإصابة بالعين.

ومن المتواتر عند الناس اليوم، وفي الماضي، مما هو مدون في كتب التراث، أن هناك أناسًا معروفين بأن سهم العين عندهم إذا أطلق لا يخطئ، ولهذا يتفاداهم الناس ويتّقون شرهم، وعند أناس يُرقى المصاب بسهم العين بالقرآن الكريم، وعند أناس آخرين اعتقاد متوارث، أنه إذا أُخذ من أثر العائن شيء، سُقي به المعان، أو رُش عليه، كأن يغسل الإناء الذي لامس شفائفه ، أو جلده ، ويسقاه المعان، فإن هذا يقضي على أثر العين، إذا لم يكن نتج عنها عاهة، قبل تدارك الأمر.

والأقوال عن العين كثيرة، ومتنوعة، وطريفة، ومع الزمن وتتالي الأيام والسنين، تزيد قصصها، وتزيد الطرائف التي تلحق بها. ومما يقال في إتّقاء العين أن العائن، إذا عرف عنه أن سهم عينه يصيب، فإنه يُصلى عليه صلاة الجنازة، فتموت هذه الملكة عنده، وتختلف الآراء في هذا، فمن الناس من يقول إنه يجب أن يُصلى عليه، وهو غافل، دون علم منه، كأن يكون نائمًا مثلاً، ومنهم من يقول: إن هذا لا يشترط.

ومما يقال أيضًا عن العين أنها قد تكون وراثة، وأن عائلة بأكملها قد تكون مسلحة بهذا السلاح، حتى إن بعض الأفراد لا يملك نفسه من أن يصيبها بالعين، ويروى في هذا أن رجلاً صعد نخلة، ليجني منها رطبًا، وصادف وقوع عصفور قريب منه، جاء ليقتات مما فيها من رطب جني، فخاطبه العائن قائلاً له: ابتعد عنها، فعصفورها فيها، يعني نفسه، فانكسر العسيب الذي كان جالسًا عليه، ووقع على الأرض.

ويشترط في هذا الفن أن تكون الجمل المحملة بأسهم العين مسجوعة، أو ذات تركيب متميز، وفيها من التشبيه القوي ما يحمل هذا الصاروخ المثقل بالأذى، ومن أجمل ما سمعت في هذا الصدد، أن فلاحًا كان يعمل في مزرعته ظهرًا، ثم استراح تحت نخلة مُظلة، وكان أمامه

دجاجة مع فراخها الصغار حواليها، فانقضت حدأة والتقطت الأم من بين فراخها ،فقال الرجل بديهة، معلقًا على هذا المنظر المفاجئ:

«الويل لك يا حدأة، أخذت الدلة، وتركت الفناجين!»

فارتطمت الحدأة بعسيب نخلة، وسقطت ميتة، ونجت الدجاجة من الخطف، ونجت الفراخ من اليتم.

ورواة هذه القصة وسامعوهم، يعجبون من سرعة بديهة هذا العائر، في اختيار هذا التشبيه المتقن، المطابق للحالة التي كانت عليها الدجاجة مع فراخها؛ فمنظر الدجاجة وفراخها يطابق تمامًا وعاء القهوة وحوله الفناجين.

هذه قصة تصور بعض مايقال في زماننا، وهناك قصة مما ورد في التراث، مؤداها كما يلي:

«كان بالمدينة عجوز شديدة العين، لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانته، فدخلت على أشعب، وهو مريض في الموت، وهو يقول لبنته:

«يا بنية، إذا مت فلا تندبيني والناس يسمعونك، وتقولين وا أبتاه، أندبك للصوم والصلاة، للعفة والقرآن، فيكذبك الناس، ويلعنوني»

والتفت أشعب فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه، وقال لها:

«يا فلانة، بالله إن كنت استحسنت شيئًا مما أنا فيه، فصلي على النبي - عليه السلام - ولا تهلكيني».

فغضبت المرأة وقالت:

«سخنت عينك، وفي أي شيء أنت مما يُستحسن؟ أنت في آخر رمق».

قال: «قد علمت ولكن قلت لاتكونين قد استحسنت خفة الموت عليّ، وسهولة النزع، فيشتدّ ما أنا فيه».

فخرجت من عنده، وهي تشتمه.

وضحك من كان حوله من كلامه، ثم مات».

(التذكرة الحمدونية: ٣٤١/٤)

قصيدة

العودة إلى الينابيع

مهداة إلى أخي الفيتوري

محيي الدين فارس

لا تُوقظي في دمائي النّار واللّهبا ... فما خبا قلبيَ المشبوب أو نضبا

وما تركْتُ على الأمواج أشرعتي ... للرّيح .. يأخذُها التيّار إنْ غضبا

إنّي سمعتُ نواقيسًا تُحذّرني ... وتستحِث خُطايَ .. الوقت قد قربا

فكم تَبِعت سرابًا لا ضفاف له ... وكم بَنَيْت على شطآنه القُببا

هدّمتُ عرشك في قلبي فلا تقفي ... على جداري .. فبابي لم يعُدْ طربا

ودَفّقي كل سمٍّ قد ملأت به ... أقداح عمري.. ولُمِي المزهر التّعبا

هيهات آوِي إلى ناديك ثانيةً ... وإن نثرت على أقداميَ الذّهبا

غنّي لغيري. فآذاني مُعطّلة ... عن السّماع .. وقيثاري القديمُ أبىَ!!

فقد سئمتُ حروفًا لا نُخاع لها ... مُلَونات.. تُغطّي وجهنا الكذِبَا

وعُدْتُ من سفر الأزمات مُثخنةً ... منّي الجراحُ ودمع العين ما انسكبا

وهِمتُ في ملكوتِ اللهِ مُرْتقبًا ... يوم الموازين حيث المرء ما كَسَبا

فالطّيبون عيالُ الله ما انخدعوا ... بالمُغريات .. وساروا نحوها خببا

أين الذّين أقاموا في مناكبها ... مرّوا سِراعًا.. وخلُّوا ربعها الخربا

ربّي أعنّي عليها.. إنّها شركٌ ... للخاطِئين، ومهواة لمن هربا

وليس ينْجو من الأقدار إن وقعت ... من لازَم الحِصن أو من ساكن السُّحبا

إني خشيتُ من الدنيا وملءُ دمي ... نُور اليقين .. يُزيل الشك والرّيَبا

لا تُضحكيني فإنّ الدهْر علّمني ... ألاّ أغنّي ... وإن غنّى .. وإن لعبا

قد عُدتُ للنّبع ظمآنًا ألوذ به ... وليس يظمأ منه كُلُّ من شربا

ما معنى اسم يهودي؟



د. حسن ظاظا

أما الاسم «يهودي» فقد ألمحنا ألى أنه نسبة إلى سبط يهوذا، بالدّال أو الذال، وهو تلك العشيرة من أبناء يعقوب «إسرائيل» - عليه السلام - التي نبغ منها داود وسليمان - عليهما السلام - أعظم حكام بني إسرائيل على الإطلاق، فانتسب الشعب كله إلى عشيرتهما وحملوا اسم «اليهود».

ومعلوم أن يعقوب كان له اثنا عشر ابنًا: يوسف والأحد عشر كوكبًا، أنجبهم من أربع نساء: زوجتين شرعيتين هما: ليّا وراحيل ابنتا لابان، وجاريتين هما: «زلفة» التي كانت تخدم ليّا، وأخرى تخدم راحيل هي «بلهة».

وكان أبناء ليّا ستة: رأوبين، وشمعون، ولاوي «ليفي»، ويهوذا، ويسّاكر، وزبولون، وأنجبت راحيل اثنين هما: يوسف وبنيامين، كما أنجبت زلفة جاد وآشر، وبلهة ولدت دان ونفتالي. وعلى ذلك يكون يهوذا الذي ينتمي إليه اليهود هو الابن الرابع من أبناء يعقوب، وأمه الزوجة الأولى ليّا.

واسم يهوذا مشتق لغويًا من أصل سامي قديم وهو مادة (ودى) التي تفيد الاعتراف والإقرار والجزاء - ومن هذا المعنى كلمة الدية عند العرب - وفي العبرية اكتسبت هذه المادّة معنى الإقرار والاعتراف بالجميل وأخيرًا تقديم الشكر. ومن هذا المعنى الأخير استوحت ليّا اسم ابنها الرابع فقالت: «هذه المرة (أشكر) الرب، ولذلك سمّته (يهوذا) ثم توقفت عن الولادة»، (التكوين ٢٩:٣٥). وكان هذا التوقف لفترة ما ولدت بعدها يسّاكر وزبولون. كما ولدت بنتًا اسمها دينا، لا تدخل في عداد المواليد في عقلية أولئك البدو الذين كانوا لا يعدّون البنات.

ويظل معنى الشكر في اسم يهوذا يشدّ الراوية المقدس، فيقول على لسان يعقوب هو يبارك أبناءه قبل وفاته: «يا يهوذا، سيشكرك إخوتك. يدك على نواصي أعدائك، وسيسجد لك أبناء أبيك. يهوذا شبل أسد»، (التكوين ٤٩: ٨، ٩). وتستمر بركة يعقوب ليهوذا في هذا النص بشكل غامض حار فيه المفسرون حتى انتهوا إلى أنه بشارة بمجيء المسيح المخلّص المنتظر من أحفاد هذا الابن، ومع ذلك فالمأثورات الخاصة بحياته تصوره رجلاً بعيداً عن الاستقامة والقداسة والطهارة. حتى إن أرملة ابنه تحمل منه سفاحًا. وتلد توأمين هما: فارص، وزارح، يعترف بهما بعد ذلك، ومن الأول منهما ينحدر داود وسليمان (التكوين٣٨). والعهدة في ذلك كله على الرواة الدينيين اليهود، طبعًا.

واستقرّت ذرية يهوذا في منطقة النقب الصحراوية الفقيرة في جنوب فلسطين، ظهرت أسماء جغرافية تنسب إليهم مثل: جبل يهوذا (القضاة ٣:١)، أرض يهوذا، أو بلاد يهوذا (عاموس ١٢:٧). رقعة يهوذا، أو إقليم يهوذا، (أشعيا ١٩: ١٧)، بلدة يهوذا، أي أورشليم القدس (٢ أخبار الأيام ٢٨:٢٥)، مدن يهوذا (أرميا ٤: ١٨) وسمي اليهود جميعًا آل يهوذا، أو بيت يهوذا (أشعيا ٢١:٢٢)، ورجال يهوذا (١ ملوك ١: ٩). وظهر في لغة الشعر اسم بنت يهوذا، علمًا على مملكة اليهود كلها، وعلى عاصمتها أورشليم (المراثي ٢:٢).

وكثُر استعمال لفظة اليهود بمعنى رعايا مملكة يهوذا في جنوب فلسطين، كقوله: «في ذلك الزمان استردّ رصين ملك آرام إيلات للأدوميين، وطرد اليهود من إيلات»، (٢ ملوك ٦:١٦). ومع الزمن أصبحت لفظة يهودي تعني أحد بني إسرائيل عمومًا، كقوله: «وعادت أستير فتكلمت بين يدي الملك، وسجدت عند قدميه، وبكت، وتضرعت إليه في إزالة شرّ هامان الأجاجي، وكيده الذي دبره ضد اليهود»، (أستير ٨: ٤) وجاء بخصوص عيد بوريم (الكرنفال): «سن اليهود وأوجبوا على أنفسهم وعلى ذريتهم وعلى كل من يتصل بهم ألاّ يُبطل تعييدهم لهذين اليومين»، (أستير ٩: ٢٧).

ويتضح من نصوص كثيرة أن العبريين على أيام السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، وبعد عودتهم من السبي تحت حماية قورش إمبراطور الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، كانوا يسمون «اليهود»، كما كانت اللغة العبرية تسمى اليهودية. ورد في العهد القديم في قصة حصار الآشوريين لمدينة أورشليم، وحوار الوفد الإسرائيلي مع قائد الجيش الآشوري قول أعضاء هذا الوفد: «كلّم عبيدك بالآرامية لأننا نفهمها، ولا تكلمنا باليهودية على مسامع الشعب الذي على السور»، (٢ ملوك ١٨: ٢٦).

وجاء في قصة تعمير أورشليم، بعد العودة من السبي: «ولما سمع سنبلط أننا نبني الأسوار اشتدّ غضبه، واستاء كثيرًا، واستهزأ باليهود»، (نحميا ٣: ٣٣).

ويبدو أن لفظة يهودي قد أخذت في أذهان أمم العالم معنىً كريهًا منذ وقت مبكر، فقد جاء في التلمود عند الحديث عن قصة أستير وعيد البوريم: «أن كلّ كافر في تلك الأزمان كان يدعى يهوديًا»، (المجلة١٣:٧١).

وهكذا نرى أن كلمة يهودي قد بدأت حياتها في النفسية الإسرائيلية مصطلحًا عنصريًا يجمع بين العصبية العرقية والغرور السياسي، فكان ردّ الفعل من الأمم الأخرى أنها استعملته وصمة عار وسُبة وسخرية في وجه العبريين. وراح اليهودي في كثير من بقاع الأرض يتهرب من هذه الصفة ويفضّل عليها اسم الإسرائيلي.

ومع ذلك، فإن وجود هذه المصطلحات المتقاربة قد أوقع هؤلاء الناس في حيرة كبيرة. فالإسرائيلي اسم له صفة العنصرية. واليهودي اسم أصبح ينمّ في النهاية عن العصبية الدينية. كما أن صفة العبري أصبحت تقترن بذكريات عن عشائر قديمة جداً مندثرة. ولكن النفسية الإسرائيلية انتهت إلى تقسيم الموضوع تقسيمًا تحكميًا اصطلاحيًا: فجعلت للجنسية مصطلح الإسرائيلي، وللدين مصطلح اليهودي، وللثقافة مصطلح العبري، وظنّت أنها بذلك قد أراحت واستراحت. ومع ذلك فإن معرفة من هو اليهودي ليست بأقل من معرفة من هو الإسرائيلي إثارة للنقاش والجدل بين الأحزاب الصهيونية حتى الآن.

مُصطلح اليهودي التّائه

لقد عرفت الأمم النصرانية مصطلح «اليهودي التائه»، فما أصل هذه التسمية؟.

كان بنو إسرائيل دائمًا متمردين، وكانوا يعيشون باستمرار في تناقض بين أهوائهم ودعوة أنبيائهم، حتى إن النبي الذي يتجاوز الحدّ في زجرهم، أو في محاولة تغيير ما هم فيه من فساد كان يتعرض للسب والضرب والقتل. بهذا العنف عاملوا نبيّهم أرميا، في الوقت الذي كان بختنصر يحاصرهم، ويعدّ العدة لقتلهم وسلبهم وأسرهم. ودسّوا عليه من بينهم أنبياء مأجورين فضحهم أرميا بقوله مثلا: «لذلك هكذا قال الرب عن الأنبياء الذين يتنبؤون باسمي وأنا لم أرسلهم، وهم يقولون: لن يكون سيف ولا وجوع في هذه الأرض، بالسيف والجوع يهلك أولئك الأنبياء.

والشعب الذي يتنبؤون له يكون مطروحًا في شوارع أورشليم بسبب الجوع والسيف، وليس من يدفنهم هم، ونساؤهم وأبناؤهم وبناتهم، إذ أصبّ عليهم رذائلهم» (أرميا ١٤: ١٥، ١٦) وهم الذين ساقوا نبيّهم «يحيى يوحنا المعمدان» إلى القتل قُبيل ظهور المسيح، وهم الذين تآمروا على المسيح وطالبوا بصلبه. وكلمّا وقعوا في شرّ أعمالهم عادوا فتنبهوا إلى التناقض بين سلوكهم ووصايا أنبيائهم، فبكوا واستنجدوا بالرب الذي كانوا يعدونه حليفًا لهم، وحاميًا خاصًا بهم، يعاقبهم لينقذهم وليسلطهم على أعدائهم. وأعداؤهم هم البشر جميعًا.

كلمة يهودي بدأت حياتها في النفسية الإسرائيلية مصطلحًا عنصريًا يجمع بين العصبية العرقية والغرور السياسي

وكثرت الروايات عن الأنبياء تُنذر بتشتيت بني إسرائيل، فتصف هذا اليهودي التائه، المعاقب، ثم تصف تجمع أولئك الناس من جديد، والانتقام الرهيب من أعدائهم: «والآن يقول الرب خالقك يا يعقوب، وصانعك يا إسرائيل: لا تخف لأني فديتك. دعوتك باسمك. أنت لي إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فإنها لا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تلسع، واللهيب لا يحرقك لأني أنا الرب إلهك، قدوس إسرائيل. مخلصك . جعلت مصر فداك. كوش وسبأ عوضك، إذ صرت عزيزًا في عيني، مكرمًا وأنا قد أحببتك، أسلّم أقوامًا بدلاً منك، وشعوبًا عوضًا عن نفسك. لا تخف فإني معك. من المشرق آتي بنسلك، ومن المغرب أجمعك. أقول للشمال هات، وللجنوب لا تمنع، أحضر أبنائي من بعيد، وبناتي من أقصى الأرض»، (أشعيا ٤٣: ١ـ ٧) ومثل هذه الخواطر المنسوبة لأنبياء إسرائيل يغصّ بها كتابهم، وتعد من مقوّمات النفسية الإسرائيلية كما سيتضح لنا من بعد.

وإذا كان هذا الشتات في الشرق والغرب والشمال والجنوب قد اتخذ صورة الوعيد على ألسنة الأنبياء، فإنه في أوربا النصرانية في العصور الوسطى قد اتخذ صورة التنديد بالجُرم اليهودي. وأصبح اليهودي التائه رمزًا لهذا الشعب الصغير الممعن في القسوة والغرور. وفي ذلك تقول أسطورة شعبية تمثل المنطلق لشخصية اليهودي التائه(١).

كان اليوم الذي أُخذ فيه المسيح للصلب يومًا شديد الحرارة في مدينة أورشليم، وكانت الجموع اليهودية قد عقدت على جبين المسيح إكليلاً من الشوك، وأرغمته على أن يحمل صليبه الثقيل على ظهره، ثم راحت تطوف به شوارع المدينة صاخبة شامتة مستهزئة. تُمعن في تعذيبه، وتتلذذ بإهانته وإيذائه، واشتد بالمسيح التعب والعطش ولفحه هذا الحرّ الشديد، فارتمى عند باب يهودي اسمه في الأسطورة أحشويروش، وهو يلهث من التعب، سمع اليهودي الضجة أمام بيته فنزل يستطلع الخبر، ورأى المسيح ملقىً خائر القوى في ظل بيته، فركله بقدمه وطرده قائلاً: اذهب من هنا، وابتعد بلعنتك عن بيتي. فنظر إليه المسيح، وعلامات الحزن والإرهاق بادية على وجهه. وقال له: إنك تنتهرني، وتحرمني من ظلّ حائطك، لأنك لم تجرب تعب المشي ولا عبء الإهانة والمطاردة. وسرعان ما تحدُث المعجزة، فيبدأ أحشويروش في المشي رغم أنفه، لا يستطيع أن يتوقف، وراح يسير حتى خرج من البلد، وأمعن في السير حتى خرج من فلسطين، ثم كُتب عليه أن يسير ويسير، وأن يظل ماشيًا لا يستريح إلى يوم القيامة. عليه معطف قديم ممزق، وعلى كتفه خُرج فيه زاد حقير، وبيده عصاه، وفي جيبه قطعة صغيرة جداً من النقود. وقد طالت لحيته. وتراكم عليه الغبار، يُرى في حرّ الصيف بين الصخور وعلى الرمال، ويُرى في برد الشتاء على الثلوج وفوق الجبال. هذا هو اليهودي التائه. المخلوق الأسطوري الذي انبثق من صدام عنيف بين النفسية الإسرائيلية الكزّة، الشديدة التعصّب والغرور، والحقد على الأمم الأخرى، والنفسية الأوربية في نصرانية العصور الوسطى، التي كانت تعاني من جوار المرابي اليهودي الأمرّين، وتحاول بهذه الأسطورة أن تصبّ عليه لعنة المسيح.

عُقدة الانفصال عن البشر والامتياز عليهم عند اليهود:

لعلنا قد لاحظنا من كل ما سبق أن عقدة الانفصال عن البشر. والامتياز على أمم العالم اتخذت طريقها إلى النفسية الإسرائيلية، وأصبحت عاملاً أساسيًا في تكوين شخصية هذه الطائفة من الناس منذ القدم، عن طريق الأنساب والأعراق، وعن طريق الذكريات الدينية والسياسية التي تضخمت وغلظت مع الزمن، على الرغم من أن جميع البحوث الاجتماعية والتاريخية والأنثروبولوجية تؤكد أن اليهودي يعتبر من أبعد الجماعات البشرية عن النقاء العنصري الذي يدّعيه، وفي ذلك يقول العلاّمة السويسري أوجين بيتار(٩): «إن جميع اليهود في نظر علماء الأنثروبولوجيا، على الرغم من كل ما يدّعيه اليهود المنضوون تحت الفكرة العنصرية الإسرائيلية، بعيدون عن الانتماء إلى جنس يهودي. وكما يقول رينان: «لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدّة سحنات يهودية»، وليس هناك أصحّ من قوله هذا، فنحن لا نستطيع أن نعد الحاليين مكوّنين لكتلة بشرية ذات عنصر واحد، ولا حتى في فلسطين، بعد أن جرّت إليها الحركات الصهيونية كثيرًا من الإسرائيليين دون اختيار أو تمييز. فاليهود ينتمون

إلى طائفة دينية واجتماعية، اندمج فيها في كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة، وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر. من اليهود الأحباش - الفلاشة - إلى اليهود الأشكناز - من الجنس الأرمني -، إلى التاميل - اليهود الأفارقة الزنوج -، إلى اليهود الهنود الذين يسمّون بني إسرائيل، واليهود الخزر الذين ينتمون إلى الجنس التركي. فهل هناك من هذه الأنواع الإسرائيلية نوع يمكن أن يكون - من ناحية التشريح والتحليل - ممثلاً حقيقياً ونقياً للجنس اليهودي؟» ويستمر عالم الأجناس البشرية السويسري في تحليل كل نوع من الجاليات اليهودية في العالم، من حيث القامة والجمجمة والهيكل العظمي والتقاطيع ولون البشرة والشعر والعينين وشكل الأنف غيرها من الميزات البيولوجية، ليخرج بنتيجة حاسمة وهي أن الدعوى العنصرية التي يجاهر بها اليهود من ناحية وأعداء اليهود من ناحية أخرى ليست إلا ادّعاءً خرافياً من نسج الخيال.

ولكننا أشرنا من قبل إلى أن الخرافة قد تكون أقوى أثراً في خلق النفسية العنصرية من الحقيقة التاريخية نفسها، خصوصاً إذا اصطبغت مع الزمن بقدسية الدين، وهذا ما كان من أمر الشخصية الإسرائيلية؛ فقد رأى اليهود أنهم في مجتمعاتهم المتفرقة في أنحاء العالم التي كثيراً ما تعرضت لكراهية الأمم الأخرى، قد عاشوا منذالسبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، والتشريد الروماني منذ القرن الأول الميلادي يصارعون عوامل الفناء، ويتغلبون بتضامنهم الاجتماعي على كل مشاريع الإبادة التي خُططت من أجلهم. وكان طبيعياً أن يأخذهم الزهو والغرور بهذا البقاء الدائم، فظهرت في تعبيراتهم اللغوية ألفاظ يطلقونها على أنفسهم، لتؤكد هذا الغرور، وتزيد من الالتحام والتضامن الذي يربطهم بعضهم ببعض.

اليهودي التائه مخلوق أسطوري انبثق من صدام النفسية الإسرائيلية الشديدة التعصب والغرور والنفسية الأوربية التي كانت تعاني الأمرين من جوار المرابين اليهود

وجعلوا هذه الظاهرة مرتبطة باختيار إلهي لهم دون سائر شعوب الأرض، وبإرادة سماوية لا قبل للبشر بمقاومتها.

فمن هذه الألفاظ ادّعاؤهم أنهم أبناء الله، وحلفاء الله، وأحباب الله.

وفي تعبيراتهم الشعرية يرون أن الرب قد أتخذ أمتّهم عشيقة له، بل إنه تزوجها زواجاً أبدياً، حتى إنها إذا خانته ودنّست شرف العلاقة التي بينها وبينه، لم يطلقها كما يفعل أحقر المخلوقات من البشر، ولكنه يكتفي بأن يغضب ثم يرضى، وأن يعاقب ثم يصفح. فهي الأمة الحبيبة المعشوقة المدللة، التي تعلم مقدماً أن الرب لن يجرؤ يوماً ما على قتلها مهما أجرمت.

ويصف نبيّ اليهود هوشع هذا الموقف بقوله على لسان الرب: «سأكشف الآن عورتها على مرأى من عشاقها، ولن ينقذها أحد من يدي، فأُبطل كل أفراحها وأعيادها وغُرر شهورها وسبوتها وكل حفلاتها، وأُدمّر كرمها وتينها، إذ قالت: هو أجري جعله لي عشقي، فأصير ذلك أجمة يأكلها وحش الصحراء، وأحاسبها على أيام الأصنام التي بخّرت لها، وتزينت بأقراطها وحليها، وانطلقت وراء عشاقها ونسيتني، يقول الرب: ثم إنني أتملّقها وآتي بها إلى البرية، وأُخاطب قلبها، وأعطيها كرومها من هناك، مع وادي عكور، باباً للأمل. فتغني هناك كما في أيام صباها، وفي يوم صعودها من أرض مصر»، (هوشع٢ : ١٠- ١٥) وتكثر في مثل هذا المعنى أقوال الأنبياء والكهنة والشعراء والحالمين والصوفية على مدى أجيال إسرائيل.

ومن هنا لا يتردد اليهود في تسمية أنفسهم «شعب الله المختار» ويفسرون هذا الاختيار الإلهي بأنه تفضيل للأقوى والأصلح. ويردّونه إلى ليلة المصارعة العجيبة التي أدّى فيها جدّهم يعقوب - إسرائيل - امتحان القوة والصبر على المكاره بنجاح باهر، ويرون أن هذا الاختيار قد تختفي دلائله عندما يضعف اليهود ويذّلون، ولكنهم يعودون إلى الجبروت والسطوة من جديد، «لأن الرب سيرحم يعقوب، ويعود فيصطفي إسرائيل، ويريحهم في أرضهم، وينضم الغريب إليهم، ويتصل ببيت يعقوب. وتأخذهم الشعوب وتحضرهم إلى مكانهم فيمتلكهم بيت إسرائيل في أرض الرب عبيداً وجواري، فيأسرون الذين أسروهم، ويستولون على من سخّروهم». (أشعيا١٤ : ١، ٢). وواضح من مثل تلك النصوص أن اعتقاد اليهود في اختيار الرب لهم ليس مجرد مفخرة يتشدقون بها، بل هو برنامج، فيهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يقودون وحدهم في آخر الزمان، متسلّطين على رقاب العالم، وهم باختصار الذي يلعبون دور البطولة على هذا المسرح الهائل، مسرح التاريخ، والأمم الأخرى ليست إلا أشخاصاً ثانوية خلقها الله لتكملة مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها، على نحو تظل فيه البطولة لإسرائيل. ومن هنا تبرز خطورة النفسية الإسرائيلية على أمم العالم، ويتضح مدى احتياجها إلى علاج ناجع - لا بد أن يكون مرّاً - حتى تصحو من غرورها لتندمج في أمم هذا العالم.

والداء الذي نشير إليه مُزمن عند القوم. ففي مصطلحاتهم نجدهم يسمّون أنفسهم أيضاً «الشعب الأزلي» بالعبرية: عام عولام، كما يسمّون أنفسهم «الشعب الأبدي» بالعبرية: عام نيصح - وهكذا تطاولوا على الرب - ولو مجازاً فتخيّلوا أنهم يشاركونه في أزليته وأبديته، وأنهم مثله لا أوّل لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية. وهو قول كبير، أحس بعض مفكّريهم بفداحته ففسروه على أنهم من أقدم شعوب العالم، وهو المقصود بالأزلية، ومن أدوم شعوب العالم، وهو المقصود بالأبدية. وهي دعوى خرافية حتى بعد هذا التخفيف الشديد. فاليهود كما يعلم الجميع ليسوا أقدم من الفراعنة، ولا من سومر وبابل وأشور، ولا من الهنود أو الصينيين، ولا من العرب. وهم أيضاً ليسوا أطول دواماً من كثير من تلك الأمم.

وهم وراء ذلك كله أمة لا حضارة لها، فكل الأمم لها طُرز في الفن تُعرف بها للنظرة الأولى، فليس من أحد يخطئ تعرّف قطعة من الفن الفرعوني أو الهندي أو الصيني أو الأوربي أو حتى الإفريقي الزنجي. وكذلك الأمر في الأدب والفلسفة والموسيقى وغيرها. فأين الفن اليهودي في كل هذا؟ قد يقول المتعصّبون منهم أنهم منحوا العالم ما هو أقوى من الفن. منحوه التوحيد والنبّوة والكتب المقدسة والحياة الروحية المنظمة. ولا نريد أن نشير إلى أن كل هذه الأمور قد سُبق اليهود إليها، وأنهم - حتى في مقدساتهم هذه - قد عدوا على تراث هذه الأمم فنهبوه واغتصبوه. وما تزال البحوث الجادّة تبين أن شرائع السومريين، وقانون حمورابي، وتوحيد أخناتون، وابتهالات مصر القديمة وإيران والهند، وملاحم الشرق قبل العبريين القدماء، كل هذه تنعكس على المرآة الإسرائيلية ناطقة بأصولها ومصادرها. لا نريد

ما معنى اسم يهودي؟

أن نقول ذلك، وإنما يكفي في مجاراة القوم أن نقول إن هذا التراث الديني باعتقادهم هم، وحيٌ أنزله الله من السـماء، لا فضل لهم فيـه، بل إنهم لم يُعنوا بتبليغـه للأمم الأخرى ولا اجـتهدوا في التبشـير به. بل على العكس من ذلك احـتكروه، وجعلوه متمّمًا لعـصبيتهم القبلية الجاهلية العتيقة. وهم لا يستطيعون أن يعللوا عدم إسهامهم في تقدّم الفن بأن التوراة قـد حرّمت عليه الصور والتماثيل. فـالقرآن قد أتى بمثل هذا التحريم على العرب والمسلمين، فكانت لهم في الزخارف الهندسية والنباتية وفي تجاور الألوان، وفي التذهيب والتوشية والتطريز والتطعيم وصنائع الخشب والخزف. وفي التعمير والبناء، ميادين للعبقرية لم يعصوا فيها الله ولم يخلوا على الإنسان. فالمسألة في هذا الموضوع ليست مسألة شريعة بقدر ما هي موقف من التقدّم الذي جعله الله سنّة للبشر.

ولو تعمقنا موضوع الفن لوجدنا أن اليـهود لم يكفوا عنه تمامًا، ولكن قرائحهم كانت مـجدبة، غير خلاّقة، فـاكتفوا بأخـذ ما عند الآخريـن. وهل هناك عمل فني أقدس عندهم من هيكل سليمان؟ إن الكتاب الذي بين أيديهم شهد صراحة باعتماد سليمان على صـديقه اللبناني حيرام ملك صـور في تشييد هذا الهـيكل وزخرفته وتزيينه. فأكـثر مواد البناء والزخـرفة والعمال منحـة من حيرام، وكـذلك المهندسون والفنانون والصناع، (١ ملوك، الإصـحاحـات ٥ إلى ٧)، فإذا قـفزنا نحـواً من ثلاثة آلاف سنة، ووصلنا إلى الفن اليهـودي الصهيوني المعـاصر، وجدنا الأمر لم يتـغير إلاّ قليـلاً؛ فـالفنـان الصـهيـوني الحـديث ليس إلاّ تلميـذًا للفن الأوربي الحـديث، يقلده دائمًا فيـحسن حينًا ويسيء أحيـانًا. يستوي في ذلك مـهندسون من أمثـال: الكسـاندر بيـرفـالد، وكراكـوفر، وإريك مندلسون، وروبين، ونحاتون مـثل: بوريس شـاتس، وزئيف بـن تسـفي، وبراندنبرج، وترودا حاييم، ورفائيل خاميتسـر، وماير ميخائيل، ومصورون: كهارون أفني، ويوسف بودكو، وجـوتمان، وبرونشتـاين، وهارون كوهين، ونويمان، وسيـما، وصهـيونه تاحر، وحنة تيخـو، وهيرمان شـتروك، فالمطّلع على أعـمال أولئك الفنانين اليهود يشعر بالتقليد، وبأنهم حتى في التقليد لا يحاولون أن يضعوا ظلاً ولو قليلاً من الشخصية الإسرائيلية، إلا أن يكون هذا الظل هو أنها شخصيـة لا تعرف الخلق ولا الإبداع.

ومن الغريب أن نلاحظ بعض البـصمـات اليـهـودية القحّـة عند فنانين يهـود أوربيين لم يرتبطوا بالفكر الصهيوني السياسي، أكثر مما عند أولئك المرتبطين الملتزمين. ففي أعمال مارك شاجال، وحاييم سوتين، وكندينيسكي تبدو هذه الظاهرة واضحة: اليهودي الحالـم، الحالم على ظهره لثلاثة آلاف عام من التاريخ، المتطلع إلى مجهول رهيب، عليه ما لا يحصى من عـلامات الاستفهام، من مخلفـات أحبار هذه الطائفة على مر الأجيال. وقـد تستحق هذه الدراسة الفنية المقارنة مـا تفترضه لأول وهلة من عناء البحث، فإنها قد تضيف وثيقة أخرى إلى الوثائق التي تدين الصهيونية السياسية المعاصرة، التي اكتـفت بوضع اليهود في أسوار من النعرة العنصـرية، الشعور القومي الزائف، فوصلت بذلك إلى نتيجة لم تكن في حسبان أحد من اليهود أو ممن يعطفون عليهم، وهي تمييع الشخصية الإسرائيلية في سوائل ومحاليل غريبة على اليهود وعلى الإنسـانية، تشبه ما كـان يحضـره السحـرة قديمًا ليـحولوا به التـراث إلى ذهب، أو ليسخروا به المردة والجن والشياطين، ولكن يستحيل باستعمالها إيجاد حضارة أو فن أو حقيقـة تفرض نفسها على العقل؛ وكل ما تتـركه من أثر ـ وشكرًا لها على ذلك ـ هو أن تمحـو أسطورة الشـعب الأبـدي الأزلي، شـعب الله المختـار، على حين كـان أقطابها يتخيلون عكس ذلك تمامًا.

فكرة الصّراع في تكوين الشخصية الإسرائيلية

ربما كانت قصة صراع يعـقوب ـ إسرائيل ـ مع رجل الليل الغامض، الملاك، أو الإله، رمزًا لما يتخيله اليهودي أساسًا للسلوك في الحياة، ومما يشد القارئ للتوراة إلى هذه الفكرة، ما مـر بنا من وصف يعقوب لابنه يهـوذا ـ جد اليهود ـ بأنه شبـل أسد، وأن يده على نواصي أعـدائه. وإذا رجعنا إلى النص بأكمله وجـدنا يعقـوب يقول له أيضًا: «من صراع نـشأت يا بني»، (التكوين ٤٩: ٩) وفكرة الصراع عـند اليهـود فكرة بدائية فيها رواسب كثيرة من حياة الصيد والقنص، وأخطار المعيشة في البادية. فهناك كل غـريب يعد عدوًا يجب قتله، أو أسـره وتسخيره على الأقل، يستوي في ذلك الحيـوان والإنسـان. وفي أسـاطيـر هذا الصـراع لابد أن يكون هذا العدو رهيـبًا عمـلاقًا، ثم نراه ينهـار بالحيـلة وبالتدبيـر: باغتيـاله أو إيقاعـه في كمين، أو الحيلولـة بينه وبين مصـادر قوته. وهو لون من الصراع يختلف عن فكـرة التـدافع والـتنافس بين إنسـانية مـتكافـئـة في طاقاتهـا، يحاول كل عضو من أعضائها أن ينال حقه، وأن يحمي هذا الحق.

الصراع في الفكر اليهودي يختلف عن فكرة التدافع والتنافس بين إنسانية متكافئة في نشاطاتها

وفي حكايات الكتـاب المقدس اليهـودي ما لا يحصى من أمثلة هذا الصراع، نقرأ مـثلاً أن يوشع بن نون أراد ـ بعد مـوت موسى ـ أن يدخل بقـومه إلى فلسطين، فعسكر حول مدينة أريحا وأمر بالنفخ في الأبواق، «فلما سمع الشعب صوت البوق، هتف الشعب هتافًا عظيمًا، فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة كل امرئ لوجـهه، وأخـذوا المدينة، وأبادوا كل ما في المدينة مـن رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقـر والغنم والحمير، بحـد السيف»، (يشوع٦: ٢٠، ٢١) ويـلتقي شمـشون الجبار أسـد قوي فـتي، وإذا به يصارعـه بدون سلاح، حتى إذا تمكن منه فسخه نصفين وألقى برمته على الأرض (قضاة ١٤) وهناك صراع داود ضد العملاق الفلسطيني جالوت ـ بالعبرية: جوليات ـ الذي يصفه القصص الديني اليهودي وصفًا يدعو إلى الرهبة: «طوله ست أذرع وشبر، وعلى رأسه خوذة من نحاس، وكان لابسًا درعًا من الصفائح، ووزن الدرع خمسـة آلاف مثقال من النحاس، وعلى رجليه نعل من نحاس، وبين كتفيه مزراق نحاس، وقـصبة رمحه كنول النساجين، وسنان رمحه ستمئة مثقال مـن الحديد، وكان حامل الترس يمشي بين يديه». (١ صمويل١٧: ٤ ـ ٧)، ودعا جالوت لمبارزتـه من يشاء من اليهود، فارتعش الجميع من الخوف، وأخيرًا انبرى له داود، وكان بعد غـلامًا صغيرًا رقيقًا، ونجح في النهاية فـي أن يصيب جبهة

ما معنى اسم يهودي؟

جالوت بحجر، ضربه به من مقلاع بيده، فقتله على الفور.

وتستقر على مر الزمن فكرة الصراع في قلوب اليهود، وتتطور في نفسية اصطبغت بالتعصب العنصري والانعزال الاجتماعي، فتثير كثيراً من أمم العالم ضد هذه المجموعة القليلة المشاكسة، لتصبح «المشكلة اليهودية» في نهاية الأمر مشكلة إنسانية مستعصية، كثرت الحلول المقترحة لها، وقُدِّر لأسوأ هذه الحلول - وهو الحل الصهيوني - أن يشق طريقه إلى مسرح الحوادث فيرتع عليه حتى الآن.

ماركس وفكرة الصّراع عند اليهود

ولو أننا وسعنا أفق هذا النظر إلى مفهوم الصراع في النفسية اليهودية، لأتيحت لنا أضواء جديدة لفهم نشأة الشيوعية في فكر داعيتها الأول كارل ماركس؛ فالرجل كما نعلم قد نشأ نشأته الأولى في مجتمع يهودي مظلم متعصب، ثم أتيح له أن يتعلم، بل أن يعلم نفسه بنفسه.

وأبرز ما تنبه إليه كارل ماركس، ونبه إليه أيضاً، هو ما سماه بصراحة «صراع الطبقات». خلاصة ما وصفه لحسم هذا الصراع، أن تخوضه الطبقة الكادحة - أي الأجراء من العمال والفلاحين والموظفين والحرفيين - وأن تستميت في المعركة، مستعملة فيها جميع وسائل الهجوم والدفاع، حتى يتم لها النصر على الطبقات الأخرى: النبلاء والأعيان، والاقطاعيين والرأسماليين. وهذ النصر في مفهومه لا يكون إلاّ بالإبادة. وكأن قصة الفتى الصغير داود وقتله للعملاق البشع جالوت قد لبست في العصر الحديث ثوباً فلسفياً عقلانياً، نزلت به إلى ميدان السياسة والاقتصاد والاجتماع: داود الضعيف ظاهرياً القويّ داخلياً هو الطبقة الكادحة، وجالوت الرهيب ظاهرياً، الخاوي من الداخل، وهو المجتمع الرجعي التقليدي بطبقاته وأشكاله المختلفة. وليس عجيباً أن يكون يهود أوربا الشرقية هم أول من يهضم الدعوة الجديدة، لأنهم على أجيالهم كانوا يعيشون نفسياً مع داود ضد جالوت.

وطبقاً لهذا التصور افترض كارل ماركس أن الطبقة المنتصرة في الصراع من حقها أن تحكم حكماً مطلقاً، لا يسمح بالمعارضة. ولكن الرجل جاء في عصر الديموقراطيات، والبرلمانات، والأحزاب المتعدّدة الاتجاهات، المختلفة العقائد والبرامج. وهو نفسه حالم بالحرية، لكن في أسوار نفسية أقامتها أجيال من مجتمعات الجيتو. ومن أجل أن يصل إلى وفاق بين حلمه في الحرية، وتصوره للنصر النهائي الساحق الذي تحوزه الطبقات الدنيا المحتاجة للإنصاف، ابتدع النظام الهرمي في انتخابات ممثلي الجماهير: من القاعدة إلى القمة، مجالس بعضها فوق بعض، لا يبرز فيها إلا المؤمنون بالعقيدة الجديدة، المناضلون من أجل تثبيتها والدفاع عنها. بحيث يتلخص نظامه كله في دكتاتورية معدلة، هي ديكتاتورية الطبقة العاملة، كما يسميها هو صراحة.

ولو أننا رجعنا إلى الخلف، إلى التراث اليهودي القديم، لوجدنا فيها فنّا من فنون الأدب الديني، يطلق عليه اصطلاحاً «الأسكاتولوجيا»(٣)، ومعناه الحرفي «وصف النهاية»، أي تصور حتمية معينة ينتهي بها هذا العالم. وفي كل الكتابات حول هذا الموضوع نلاحظ اقتران فكرة الصراع بهذه النهاية الحتمية، كما نلاحظ أن المنتصر الأخير في هذا الصراع هو حتماً وبطبيعة الحال: إسرائيل. ومن أوضح الأمثلة على ذلك نص طويل وصلنا كاملاً في مجموعة المخطوطات العبرية المكتشفة أخيراً في منطقة أريحا على البحر الميت(٤)، وهي التي تعرف باسم «وثائق قمران» وعنوان هذا المخطوط الذي يعنينا هنا هو «حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام»، وهونص طويل يقع في تسعة عشر عموداً تتضمن نبوءة أسكاتولوجية يقوم فيها اليهود - سبط يهوذا وسبط بنيامين ومعهم الكهنة من سبط لاوي - بشن حرب إبادة على جميع الشعوب التي تسكن فلسطين وما حولها في ذاك الوقت (القرن الأول قبل الميلاد)، واليهود يدعون في سياق هذا الحديث بأبناء النور، أما أبناء الظلام فهم الأدوميون والعرب المؤابيون والعمونيون والفلسطينيون وكذلك اليونان. ويسمي الكاتب جنود أولئك الأعداء «جيش بليعال» أي جيش الشيطان. ويتفنن في وصف النظام الدقيق الذي يسود أبناء النور. فهم كتائب من الفرسان والمقاتلين، قد اصطفت واستعدت بخيلها وسيوفها ورماحها ودروعها وتروسها وقسيّها وسهامها، ترفرف عليها رايات جميلة الطراز، قد نقشت عليها شعارات الإيمان والجهاد والنصر. أما أبناء الظلام فيصورهم هذا الشيخ اليهودي الحالم بأنهم شراذم رثة الهيئة، كثيرة اللغط والفوضى. متخاذلة يشيع فيها الخوف والجبن. ولا تفكر إلاّ في الهزيمة والاندحار.

ويطول بنا الحديث لو أننا أردنا تتبع كل آثار هذا الأدب الفنائي عند اليهود. فأكثر سفر النبي حزقيال من قبيل هذه الرؤى النهائية الحتمية، تشب فيها حروب، تبدأ بتطهير المجتمع اليهودي نفسه من الدنس الذي كان قد غرق فيها إلى الأذقان، وهو تطهير يتم بالحرب والحصار والموت، يسلط فيه الله غضبه على أورشليم وساكنيها «ثلث يموت بالجوع يهلكون في وسط المدينة، وثلث يسقط بالسيف من حولها، وثلث يذريه الرب في كل ريح، ويرفع من ورائهم سيفاً مسلولاً» (انظرحزقيال، الإصحاح الخامس). وبعد هذا التطهير يكون الشعب المختار - أو من بقي منه - قد أصبح جديراً بخوض المعركة النهائية التي ينتصر فيها على العالم ويخضعه لإرادته.

وقد أرادت النصرانية في نشأتها الأولى أن تعطي معنى دينياً بحتاً لهذا الصراع النهائي، تخرجه عن أهدافه العدوانية غير الإنسانية التي ترعرعت فيها شخصية إسرائيل، بأن تضفي عليه معاني دينية روحانية تجعله بها ممهداً ليوم القيامة، يوم الحساب للناس جميعاً، وأبلغ أمثلة هذا التطور هو بلا شك رؤيا القديس يوحنا، في العهد الجديد، إذ تنبعث بأمر الرب الجالس على عرشه أفواج من الكائنات العليا، ومع كل منها أمر بالفناء قد حدّد له زمان ومكان، حتى يتبدل كل شيء. «ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة»، لأن السماء الأولى والأرض الأولى قد مضتا، والبحر لم يعد موجوداً من بعد. وأنا يوحنا، رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء، من عند الله، وقد تهيأت كعروس مزينة لزوجها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء يقول: ها هو ذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله ذاته يكون معهم رباً لهم، سيمسح الله كل دمعة من عيونهم. وينعدم الموت فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع من بعد، لأن الأمور الأولى قد انتهت.

وقال الجالس على العرش: إنني سأصنع كل شيء جديداً. وقال لي: اكتب، فإن هذه الأقوال صادقة وأكيدة. ثم قال لي: قد تم . أنا الألف والياء، البداية والنهاية. أعطي العطشان من نبع ماء الحياة بلا ثمن. من يغلب يرث كل شيء. وأكون له إلهاً ويكون هو لي ابناً. وأما الخائفون وغير المؤمنين والمدنسون والقتلة والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وكل الكذابين فإن مصيرهم في البركة التي تتأجج بالنار الكبريت، وهوالموت الثاني»، (رؤيا يوحنا٢١: ١-٨).

الاستشراق: الوجه الآخر

د. ماضي محمود

الفكر الاستشراقي فكر يصيب ويخطئ، وقد قيل: إن الإنسان أسير تجربته، لذا يجب على الباحث في الفكر الاستشراقي ألا يغفل ذلك الصراع المرير بين النصرانية والإسلام.

لم تكن الحملات الصليبية على العالم العربي الإسلامي تستهدف ثرواته بقدر ما استهدفت دين هذه الأمة وعقيدتها التي صنعت من المسلمين رجالاً يحرصون على الموت لتوهب لهم الحياة.

هذا الصراع يشكل الخلفية العقدية والفكرية لكثير من المستشرقين، فهم لا ينسون المرحلة الأولى لهذا الصراع، مرحلة الغضب لهزيمة النصرانية في أرض الشام ودخول أهلها في الإسلام، لا ينسون مرحلته الثانية، صراع الغضب المتفجر المتدفق من قلب أوربا مشحونًا ببغضاء جاهلية عاتية، سفاحة للدماء، سفحت أول ماسفحت دماء أهل دينها... جاءت هي الأخرى تريد اختراق دار الإسلام ثم كان صراع الغضب - في مرحلته الثالثة - الذي أورثه اندحار الكتائب الصليبية.

أما مرحلة الصراع الرابعة فكانت صراع الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية، بعدها علموا أن السيف في هذه المرحلة لا يغني غناء حاسمًا، فلجؤوا إلى سلاح العقل والعلم، وتمَّ هذا على يد المستشرقين الذين وهبوا أنفسهم لقتال الإسلام بسلاحهم الجديد، سلاح استنفاد قوة المسلمين بالتشكيك وبالدهاء والمكر والسياسة تارة، وبالرفق تارة، وبالتنمّر والتكشير عن الأنياب تارة أخرى(١)، وكذلك كان ما كان، وما هو كائن إلى هذه الساعة، ساعة تحاول فيها الصهيونية السيطرة والهيمنة، ولكن هيهات، فربك بالمرصاد.

اختلفت نظرة المستشرقين إلى الإسلام، فالقليل منهم تناوله بشيء من الإنصاف، أما الكثرة الكاثرة منهم فلم تستطع مجاوزة نطاق التعصب لمعتقدها، وظلت حبيسة هذه الدائرة غير المحمودة في معايير المنهج العلمي.

حاولت الفئة الأخيرة الطعن في القرآن الكريم بتحليل نصوصه، وكذلك تحليل نصوص الأدب العربي الجاهلي، علهم يجدون امتداد الأول عند الأخير، فأخفقت المحاولة.

لجأ بعضهم إلى إثارة التأثر والأخذ من التوراة والأناجيل، فباءت محاولتهم أيضًا بالإخفاق، وفي عصرنا ظهرت محاولة - مغلفة بالعلمية والمنهجية - إرجاع القرآن إلى عامل باطني داخلي فليس ثمة وحي من خارج النبي صلى الله عليه وسلم المتلقي، وإنما انبعاث من داخله أو كما تصور مونتجمري واط الوحي إلى نبينا صلى الله عليه وسلم على أنه تصور خلاق، فالوحي لا يعدو نوعًا من النشاط الذهني المتوقد كما هو الحال عند بعض الموهوبين(٢)، ومن القائلين بنظرية الفيض الذاتي، د. حسين هيكل في كتابه: حياة محمد الذي تأثر فيه فترة من حياته بآراء بعض المستشرقين.

الإسلام بالنسبة لصنف آخر منهم من عمل الشيطان، والمسلمون ليسوا سوى نوع من المتوحشين، فقد كانوا يقولون: «في العالم فئتان، نحن والبرابرة، والبرابرة في نظرنا أو الشرق هو كل آسيا وإفريقيا، أي إننا نضع في مكان واحد المسلمين والبوذيين والهندوس والوثنيين»(٣).

ويقع كثير من المستشرقين في التناقض حين يثبتون الوحي لموسى وعيسى، وينكرونه على محمد - عليهم الصلاة والسلام - على الرغم من وحدة الصفات والخصائص، يقول الإمام الرازي: «وكما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من النبيين عليهم السلام، نقل إلينا أيضًا ظهور خوارق على يد محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا رددنا التواتر قلنا: إن المعجزة لا تدل على الصدق فحينئذ تبطل نبوة سائر الأنبياء، وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق - ثم إنهما حاصلان في حق محمد - وجب الاعتراف قطعًا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة، عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول»(٤).

إن الادعاء سهل خاصة مع الضغن،

وعندما نتهم بعض المستشرقين بالبعد عن الموضوعية فلأن كثيرًا من دراساتهم للإسلام، ونبي الإسلام جاءت من خلال دراساتهم للأناجيل أو اللاهوت، بل الواقع أن من هؤلاء المستشرقين من ينتظم في سلك هيئات دينية وكنسية، فضلاً عن وقوعهم في التميز المقصود إلى درجة سوء النية الإرادية والأهداف غير المعلنة (٥).

وعلى سوء النية والقصد يشهد شاهد منهم فيقول: وإذا حدث أن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة (٦).

أما عن المنهجية الكاذبة عند معظمهم، فيقول الدكتور عبدالرحمن بدوي عن المستشرق اليسوعي هنري لامانس: «وأبشع ما فعله في كتابه «فاطمة وبنات محمد» هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها، وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال عليها، فوجدت أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقًا في هذه الكتب، أو يفهم النص فهمًا خبيثًا، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإن معظمها تمويه وكذب وتعسف في فهم النصوص، ولا أعرف باحثًا من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية»(٧).

ومن هذا القبيل برنارد لويس - اليهودي الصهيوني - فله عادة غريبة في الاستشهاد بمصادر ومراجع غامضة مجهولة حين لا يكون ذلك ضروريًا، ولكنه يهمل توثيق معلوماته حين يتعلق الأمر بقضايا جدلية فيها أوجه نظر خلافية، فهو غالبًا ما يزين صفحاته بالتعابير والألفاظ الأجنبية(٨).

فضلاً عن نزعة التعالي والغرور، فبعضهم يتعامل مع موضوعه - وهو هنا الإسلام والمسلمون - تعامل الذي يأنس في نفسه المقدرة الفائقة - وموضوعه العجز - يشعر أن أصوله قوية، وأصول غيره منهارة، ونأخذ «ماسينيون» وقد غمره الشعور بالرحمة النصرانية الحانية على الشرق وأهله، فيقول: «فيما يخص الشرقيين علينا أن نلجأ إلى علم الرحمة الحانية، هذا إلى هذه المشاركة حتى في بناء لغتهم وبنيتهم العقلية التي ينبغي بحق أن نشارك فيها، لأن هذا العلم في نهاية المطاف يشهد إما لحقائق هي لنا أيضًا، أو لحقائق فقدناها، وعلينا أن نستعيدها ... هؤلاء البشر المساكين المستعْمَرون لا يوجدون لأغراضنا وحسب، بل يوجدون بذاتهم ولذاتهم»(٩).

بهذه البساطة كشف لنا ماسينيون عن الرحمة الحانية للذين احتلوا بلادنا وسلبوا خيراتنا!!.

أما المستشرق جرنباوم فيكشف عن نزعة الشعور بالتفوق في كلمات وجيزة حيث يقول: «إن الغرب هو نقطة التوجه لطموحات أهل الشرق الأوسط ثقافيًا وسياسيًا»(١٠).

والمقام يطول لو عرضنا - مثلاً - لعنصرية أرنست رينان ولكن كلمة واحدة منه تكشف عن المخبوء، فقياسًا إلى جنس الآريين المتفوق رأى أن الساميين تركيب متدن للطبيعة الإنسانية (١١).

قلنا إن الأمر لا يخلو من وجود معتدلين من المستشرقين يشهدون الحق، من هؤلاء الدكتور فرانتز روزنتال الذي قال: «ومن المزالق التي يندر أن يتحاشاها الباحثون الغربيون عند تقديرهم البحث العلمي عند المسلمين أنهم يضعون مقاييس صارمة يحكمون بموجبها على ما أنتجه الفكر الإسلامي، مقاييس أشد صرامة من تلك التي نطبقها على ذواتنا نحن الغربيين، فإن العدل والإنصاف يقتضيانا أن نميز بين مختلف أنواع النشاط الأدبي ومراتبه التي من شأنها أن تترك أثرًا بعيد الغور في طبيعة النتاج العلمي الرفيع، على أننا قلّ أن نرى عالمًا غربيًا يراعي هذا التمييز عندما يحكم على البحث العلمي عند المسلمين»(١٢).

ويعترف لانسون بأخطاء بعض المستشرقين فيقول: «إن عيبنا المألوف هو رفع ما تنتهي إليه دراستنا من حقائق ناقصة درجات في مراتب اليقين، بل رفعها أحيانًا إلى مستوى اليقين المطلق، وهكذا تصبح الممكنات احتمالات والاحتمالات ترجيحات والترجيحات وقائع واضحة، والمفروض حقائق ثابتة، ويمتزج الاستنباط والاستقراء بالوقائع التي صدرا عنها، فإذا بهما في قوة الملاحظات المباشرة»(١٣).

ومما يدعو إلى التفاؤل أن الكنيسة البابوية في روما اعترفت بهذا التجني من بعض المستشرقين، فأصدرت توجيهًا عام ١٩٧٠م تطالب فيه «بمراجعة مواقفنا إزاء الإسلام وبنقد أحكامنا المسبقة، وعلينا أن نهتم أولاً بأن نغير تدريجيًا من عقلية إخواننا المسيحيين فذلك يهم قبل كل شيء»، ويجب التخلي «عن الصورة البالية التي ورّثنا الماضي إياها، أو شوهتها الفريات والأحكام المسبقة»، كما يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبها الغرب المسيحي في حق المسلمين».

وتحت عنوان «أن نتحرز من أكثر أحكامنا المسبقة جسامة»، وجّه أيضًا مؤلفو هذه الوثيقة الدعوة التالية إلى النصارى. «هنا علينا أيضًا أن نتطهر وبعمق من عقليتنا ونقول ذلك ونحن نفكر بالذات في بعض الأحكام المجهزة التي كثيرًا ما نصدرها باستخفاف على الإسلام، ويبدو لنا مهمًا وأساسيًا أن نكف عن أن ننمي في مكنون قلوبنا النظرات المتسرعة بل التحكمية تلك التي لا يتعرف فيها المسلم المخلص على نفسه»(١٤).

هذا الذي اقتبسناه يدل على أن الوثيقة ترقب الإسلام من منظور إنساني خال من التعصب وبعيد عن عقدة التعالي والغرض، وهي بذلك - إن ترجمت إلى واقع - تفتح بابًا تشرق منه شمس الحقيقة.

تُنشر الكتب والمقالات بانتظام عن الإسلام والعرب دون أن تمثل تغيرًا إطلاقًا بالقياس إلى المماحكات الزعاف التي سادت القرون الوسطى

كيف يستقيم إذن ادعاء التزام المنهجية العلمية في تناول الإسلام مع هذا العبث؟ وهل تعد هذه اللامنهجية واللاموضوعية حبًا وتفهمًا للشرق ونحن منه بطبيعة الحال؟.

المستشرق الموضوعي هو الذي يبدأ موضوع بحثه من وجهة نظر أهله وأتباعه كما يعتقدونه، فمثلاً القرآن بالنسبة للمسلم هو كلام الله - جل وعلا - الأزلي أوحاه الله تعالى عن طريق جبريل الأمين إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد ليس رسولاً فحسب وإنما خاتم الأنبياء، وهكذا دونما حذف أوإضافة، ثم يعرض لرأيه إما بالموافقة أوالمعارضة، المهم: يضع الحقيقة من وجهة نظر المسلمين أمام القارئ، فلا يمارس عليه ضغطًا بتشويه، ثم يضع رأيه بمقتضى هذا التشويه، أي إن القارئ يتعرض في «الأقل إلى اختلاط في الأمور تجعله عاجزًا عن التمييز بين الأصل المتوارث لدى جماعة المسلمين وبين رأي الكاتب»(١٥).

ويشير المستشرق الفرنسي بوكاي إلى عدم الموضوعية والتشويه المتعمد من بعض المستشرقين بقوله: «إن الأحكام المغلوطة تمامًا التي تصدر في الغرب عن الإسلام ناتجة عن الجهل حينًا وعن التسفيه العامد حينًا آخر، ولكن أخطر الأباطيل المنتشرة تلك التي تخص الأمور الفعلية، وإذا كنا نستطيع أن نغفر لأخطاء خاصة بالتقدير، فإننا لا نستطيع أن نغفر لتقديم الوقائع بشكل ينافي الحقيقة» يؤكد بوكاي أن «نشر الأكاذيب من هذا النوع يساهم في إعطاء صورة زائفة عن القرآن والإسلام والعرب»(١٦).

في الأفلام والتلفاز الأمريكي يرتبط العربي إما بالفسق أو بالغدر والخديعة المتعطشة للدم، ويظهر ذا طاقة جنسية مفرطة، قديرًا دون شك على المكيدة البارعة والمراوغة، لكنه جوهريًا سادي خؤون منحط.

تنشر الكتب والمقالات بانتظام عن الإسلام والعرب دون أن تمثل تغيرًا إطلاقًا بالقياس إلى المماحكات الزعاف التي سادت القرون الوسطى وعصر النهضة، ولا يصدق على أية مجموعة عرقية أو دينية سوى العرب، لقد قال دليل المسافات لعام١٩٧٥م الذي وضعه طلاب الإجازة العلمية في كلية كولومبيا عن برنامج اللغة العربية: إن كل لفظة من لفظتين في اللغة العربية ذات علاقة بالعنف.

وبلغت مقالة قريبة العهد كتبتها أيميت تيرل في مجلة هاربر درجة أعلى من القذف والتجريح والعنصرية العرقية، إذ طرحت منظومة تقول: «إن العرب أساسًا قتلة، وإن العنف والخديعة محمولان في الموروثات العربية»(١٧).

هكذا، ومن خلال تراكمات الدراسات الاستشراقية تنظر مؤسسات ثقافية وعلمية إلى العرب.

من خلال هذه الصورة الزائفة عن القرآن الكريم والإسلام والعرب، عرّف هذا الفريق من المستشرقين الثقافة العربية والإسلامية وقدموها إلى المجتمعات الغربية، فهل أدى هذا إلى رفع مكانة العرب والمسلمين كما ذهب بعض بني جلدتنا؟ أو أن عملهم هذا أدى إلى تحقير الغرب لنا ولحضارتنا وتراثنا؟

وعلى ذلك نتساءل: كيف يتأتى للمسلم أن يحترم آراءً وأفكارًا لا تحترم المنهج العلمي؟ كيف يتاح لنا احترام آراء ووجهات نظر تطعن في عقيدتنا، وتسب نبينا وتسعى إلى إدخالنا في القوقعة الأوربية، بوصفها - عندهم - مرجعًا لكل شيء يقع خارج أوربا؟.

إننا نرى أن الذي تردى فيه هذا الفريق من المستشرقين كفيل بأن يجعلهم غير صالحين لمحاولة الجدال والمحاورة، وهذا كله يحط من قيمة جهودهم ويهز الثقة في أبحاثهم.

أما الذين يكتبون - منا - منافحين عن فكر هذه الفئة من المستشرقين فإنهم يقلبون الموازين ويبدلون الأدوار، لأنهم يرون أن الاستشراق هو العلم، ونقد الاستشراق حملة ليس لها أي موضوع أو مسوغ.

ولا يعني هذا الانغلاق وإغلاق باب الحوار، ولكن إذا أريد له التواصل فعلى المستشرق أن يحقق مصداقيته بأن يرفض المركزية الأوربية، فلا يقسم العالم إلى مركز - أوربا - وأطراف، وأن يتخلى عن قوالب المستشرقين القدامى وتصوراتهم عن الإسلام والمسلمين)(١٨) أي لا يبدأ دراسته للشرق بأحكام سابقة، بمعنى أن يحقق الموضوعية والحيدة التامة في تعامله مع موضوعه.

إذا تمَّ هذا - وغيره - يكون الحوار بين أكفاء وأنداد، أما أن يسعى بعض المستشرقين إلى المحاورة من موقع المحورية النصرانية، قصد ترويض الإسلام واحتوائه، أي رده في آخر الأمر إليها، كما يرد الفرع إلى الأصل، فإن ذلك لا يكون حوارًا وإنما يكون استكبارًا بغرض الهيمنة.

وأخيرًا فنحن لا نريد من المستشرق أن يكون مسلمًا - إلا إذا انتهت به أبحاثه ودراساته إلى ذلك - يعتقد ما يعتقده المسلم، ولكننا نقول ليس من الصعب - بل هو المنهج العلمي - أن يضع المستشرق مفهوم المسلم لدينه في تعبير المسلم واصطلاحه. وهو حين يفعل ذلك لن يكون أكثر اقترابًا من المنهج العلمي محققًا الموضوعية فحسب، ولكنه سيجعل نفسه في مركز أفضل لكي يدرك مكان نبوغ الإسلام بين أحداث التاريخ.

هوامش:

١- محمد شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص٦٣، دار الهلال بمصر ع:٤٨٩، ١٩٩١م، وانظر أيضًا: فليبسG,E Phillips The Religions of the world (London: 1955; p 113).

٢ - مونتجمري واط: محمد في مكة، ص٩٨-١٠٠،تعريب شعبان بركات، بيروت ،(بدون)

٣ - جان بول رو: الإسلام في الغرب ، تعريب نجدة هاجر، ص٧، بيروت ١٩٦٠م.

٤ - الفخر الرازي: مناظرة في الرد على النصارى ص:٢٢، تحقيق د. عبدالمجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

٥ - حسن حفني: مقدمة في علم الاستغراب، ص:٣٢، الدار الفنية بمصر،١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦ - مونتجمري واط: محمد في مكة، ص:٩

٧ - د. عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص:٣٤٧-٣٤٩.

٨ - د. عبداللطيف طيباوي: المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص:١٣٨، ترجمة د. قاسم السامرائي، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٩ - إدوار سعيد: الاستشراق، ص:٢٧٣، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العلمية.

١٠ - طيباوي: السابق

١١ - سالم حيش: الاستشراق في أفق انسداده، ص:٥٨ الرباط، ١٩٩١م

١٢ - د. فوانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة د. أنيس فريحة،ص:١٩، دار الثقافة بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٣ - لانسون ومايه: منهج البحث في الأدب واللغة، ص٤١٩، ترجمة محمد مندور، ملحق بكتابه «النقد المنهجي عند العرب» دار النهضة، مصر.

١٤- موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص:١٣٦، دار المعارف لبنان، ١٩٧٧م.

١٥- د.طيباوي: السابق، ص٢٩.

١٦- د. موريس بوكاي: السابق، ص:١٣٥.

١٧- إدوارد سعيد: السابق، ص:٢٨٦ - ٢٨٧.

١٨- د.حسن حفني: السابق.

الذاتيّة عند شعراء الوجدان في المملكة العربية السعودية

د. مسعد بن عيد العطوي

الذاتية «طبيعة خاصة وضرورية تجعل من شيء هو نفسه أو مجموعة الخصائص المكونه له» ويطلق الفلاسفة الذات على العرض الزائل والذات «هي المبدأ الأول الداخلي في كل ما يرتبط بإمكانية وجود شيء»(١).

والذاتية

في الفن هي «تجلي الذات واكتمال الخصائص الإنسانية العامة الفردية في الفنان أو الأديب، وبروزها بوضوح وتعبير متميز من خلال الآثار التي يبدعها، ولا يتحقق الأمر إلا بالغوص على الأعماق واكتشاف ما فيها من كنوز عبقرية، وعرضها فنيًا»(٢).

ومن هنا فإن الرومانسيين، وظفوا الذات النابعة من الأحاسيس والمشاعر وما وراءها، وما تلتحم به من انفعال لاكتشاف الذات الإنسانية أولاً، ثم لاكتشاف العالم من بعد، بل يغالون، ويجعلونها تعلو وتفوق القدرة العقلية. «الشاعر أبدًا مغوّر في ذاته، يغمض عينيه عن الحياة في الخارج ليفتحهما على الحياة في الداخل»(٣).

والذات هي الأعمق في الداخل، لكن الشاعر قد يتعالى بذاتيته، فتتحول إلى «الأنا» يقول إحسان عباس «التفرقة بين الذات والأنا، فالأنا هي الشيء الظاهري، أما الذات، فهي الأعماق التي تدور فيها المعارك»(٤) النفسية ذات الصراع القوي المتفاعل بين الفكر والواقع، بين الحياة والموت. والذاتية في إبداعنا الشعري تتجلى من الكيان الذاتي للمبدع، وهي تقوم على مبدأ ذاتي راسخ يشعل جذوة الحياة في المؤثرات الوافدة من الخارج. والذاتيون من شعرائنا هم أولئك الذين إذا اعترضهم عارض، يعودون لذواتهم فيتفاعلون، وينفعلون، فيبدعون شأن غيرهم، وذاتيتهم الوطنية هي التي تلهب الشعر بحرارة المشاعر الوجدانية. والشعر لا بدّ فيه من دخول الذاتية لكنها متفاوتة بنسب متباعدة، والذاتية هي من أهم سمات الشعر الوجداني في بلادنا.

والشاعر الرميح يستدعي الكون كله ليصهره في ذاتيته، فكل الوجود في مقلتيه في بصره ثم بصيرته، وهذا الوهج العميق يؤثر في الشاعر، فيجعل الظلام الداخلي للشاعر يسود؛ فهو يستدعي الأشياء قبل أن يبين الصباح:

وأغمر في ألقي مقلتيك
وكل الوجود
فهيّا: تعال تعال إليّ
تعال قبيل يبين الصباح
نذوب في الكأس آلاما
وننسى الأسى والبكا والنواح
وكل الحياة وكل الدنى
فهيا تعال تعال إليّ
وهذا أنا - يا حبيبي - هنا
رجعت إلى صخرة الموعد
وباقة زهر ندي
غَفَت في يدي
وملء فؤادي فؤاد الغريب
حنين وشوق ولهفات
وملء ضلوعي الصبابات
وفي عمق أعماق قلبي الحزين
وفي عمق روحي الطعين
أحس بشيء خفي غريب
بشيء رهيب!!

تغلغل في أضلعي
وكالرعشة الباكية
سوى عاصفات في دمي
وفي عمق أعماقيه
وألهب أشواقي الغافية

والشاعر كان في حيرة من أمره من هذا السر العجيب الذي يتأجج في كيان الفرد، فهو يمنحه أهمية تقترب من أهميته الرومانسية.

ترى أيّ سر غريب
غريب ولغز عجيب
سرى بين أحشائيه
وفي عمق أعماقيه؟؟
آه
وذاب الصدى
فأسرعت في حذر وارتياب
أفتش عنه هنا وهناك
ولكن - ويا للأسى - لم أجد
هناك غير السكون العميق
فعدت مع الليل أطوي الطريق
وحيدًا إلى القرية الحالمة
وحيدًا بلا صاحب أو رفيق
وفي شفتي نداء جريح
نداء الحياة، بقلبي الذبيح(٥).

واللاشعور والمشاعر لا تقنع بالواقع، لمن أراد أن يجعلها وسيلة كشف وإبداع، وحكم على واقعية الحياة، فإن هذا المبدأ ينأى به عن الحياة فيجعله كالذبيح يعيش في هذا الكون بلا روح، وهذا الإفراط في الذاتية الإبداعية لا الواقعية الحياتية عند الشاعر، فهو حي بأعماله حتى مات بعد أن شغل مناصب متعددة في الدولة، لكن حرارة الانفعال كان لها أثرها في النص الفني.

والشاعر عبدالرحمن المنصور المولود عام ١٣٤٥هـ، يستوحي الرعب الذاتي الذي يثير شجون الرومانسي في حالة حلم مرعب في مرض الحمى، وتلك إن كانت حقيقة أو خيالاً فهي المهد للرومانسي وهو يصور رعب الإنسان حتى من النجوم المضيئة، فالخطر يهجم على الشاعر، فيفزع، وقضايا المجتمع وأحقاده تضربه بسلاحها من كل صوب في عتمة من الظلام.

كلما ضاءت نجوم
دق ناقوس الخطر
واحتدام في النفوس يستقر
وحقود تتشظّى
مثلما تنقض شهب
في دياجير الظلام

فإذا الرعب يولد الجنون، فالأشباح تتراءى، بشرِّها وشَرَرِها والرعشة والاضطراب يهزان جسم الشاعر:

فإذا الليل انتفاضات جنون مرعبة
وإذا أشباحه مذعورة مرتجفة
روعتها في الظلام الرجم

وهو يستوحي قدح الشرر الذي يخرج حقيقة في رؤية المحموم، ثم تتلوها حالة من توارد الأشباح فتثير الهلع والخطر.

في ظلام الليل والصمت الرهيب
شبح بالليل جبار مهيب
يحرس الأشباح في ذعر مريب
يرقب الآفاق كالراعي الغريب
كلما ضاءت نجوم
دق ناقوس الخطر

ثم هو يصور بعض تلك الأشباح فهي كلص فاتك عاث بلا رقيب يمنعه ويصده أو يخشى محاسبته.

أو كلص خافق النظرة في بُرْدَيْهِ ذيب
نهم، مخلبه عطشان - بالدم خضيب
عاث بالشاة ولكن ليس للذئب رقيب
ليس للشاة رعاة
إن دعتها في دجى الخطب تجيب
ليس للذئب رقيب
غير أشباح من الخوف تراءت كاليقين
كالِحات ترتدي ثوب المنون
تشرب الحقد وتقتات الجنون
أفزعته للرعاة النائمين
لعب الوهم بجفنيه يرى
في اختلاج الريح أو همس الغصون(٦)

ولاريب من توظيفه تلك الأشباح والحلم المرعب بكاملة توظيفًا رمزيًا لإحدى تجاربه العصرية الاجتماعية الكثيرة في عالمنا العربي والإسلامي.

والذاتية عند الزمخشري تنثال في كل لفظة من كلماته، فكأنما يجلب الدنيا إليه، كأن يستدعي الناس وشؤون الحياة لتلتف حوله، لتشاركه الحب، في مستهل حياته ولتشاطره الأسى في غربته وأحزانه. إن الذاتية هي التي تصنع وهج الكلمة والعبارة والصورة عند الشاعر، فهو يضيف السمير إلى ذاته فكأنه لصيق به، وكذلك يضيف الأنين المر، وهو يوظف الفعل للتأثير الذاتي، فيقول صنعتُ، وأخرست، ونسجت:

يا سميري في وحدتي بالظنون
معزفي لا يزال صوت أنيني
ولقد ضقتُ بالحياة، وبالحبْ
وأخرست رغم أنفي لُحوني
فالأماني التي زرعت مع الأيْـ
ـيامِ جفّت زهورُها في يميني
والليالي التي نسجت مع الأحلـ
ـلام بعثرت في مداها سنيني
وعلى ناظري تحوم الخيالا
تُ وقد جنّ من رؤاها جُنوني
ذكّرتْني بالأمس كان وراء الـ
ـغيب يلهو بخافقي المغبون

والدُرُوب التي تثاءب فيها الصـ
متُ ضجّت بلاعج المحزون
كيف عادت إليّ تزحف بالذكـ
رى وقد حرّكت رؤاها شجوني
والهوى كان لي عذابًا فأضحى
بتناسيه عارضًا يعتريني
قتل الظن كلّ ما في الحنايا
من شعور يمدني باليقين
وعلى مقعدي تلوح بي الأفـ
ـكار والليل غارق في السكون(٧)

فالقارئ يتفاعل مع ذاتية الشاعر، ويتعاطف معه، ويستشعر غربته والإحباط الذي يظلل حياة المشهورين، بعد أن يصبح غير قادر على العطاء.

وإذا كانت الرومانسية بمثابة مرض؛ فإنها تتجسد في شعر محمد فهد العيسى، فهي عنده رؤية إلى عالم غير متناه من الألم والأسى. إنها تمثل رغبة الشاعر في سبيلٍ لايدلف به إلى صواب، إنها عملية تلفيق بين الواقعي وغير الواقعي، فهو يشتكي من الليل ولا يريد فراقه، وفي ظلام رهيب داخلي لا يهتدي إلى صواب، وإذا كانت هموم امرئ القيس، أمواج «وليل كموج البحر» فإن هموم العيسى جبال تثقل صدره، وهو يفتقد وعيه، إنها حياة الرومانسي الانفعالي المتمرد على الواقع الاجتماعي، وعلى العقلي:

وتمضي الليالي وأمضي بها
ونفسي تئن وقلبي جراح
فلا الليل يأسو. ولا ينجلي
ولا أنا ميْتٌ قضى واستراح
ولانجمَ فيه يكونُ العزاء
ولا أنا أرجو لليلي صباح
ظلام رهيب يلف الشريد
ويطويه بالبؤس دامي الجناح
وتقسو عليه جبال الهموم
وتعصف فيه جنون الرياح
حياة قضاها عليّ الزمان
شقاء. عذاب. دموع. نواح
حياتي. وأيّ حياة تكون
بسجن الليالي وقيد الزمنْ
وفيه بأغلال يأس الحياة
تكبل روحي رهن الشَّجَنْ
وفيه شربت كؤوس العذاب
بأيدي الليالي وشتى المِحَنْ
حرام عليّ سلام الزمان
وعيني حرام عليها الوَسَنْ
طويتُ همومي وبين الضلوع
دفنتُ شجوني بليل أجنْ
دموعي العزاء لقلبي الجريح
إذا عزّ يومًا عليه وضنْ

والشاعر في هذه القصيدة لا يوحي لنا بتجربة غرامية، وإنما إبداعه يصور كوامن ذاته الجامحة المنفصمة، وتوظيفه للطبيعة يكثف الدلالة حول الاتصال السلبي الرهيب، فالليل والجبال والجنون وعصف الريح كلها ذات إيحاء رهيب تقذفه إلى الظلام:

حياتي ظلام وبين الدروب
تعثرتُ أشكو ندوب الألم
وأرثي بلحن تعيه النجوم
نزيفَ جراح الأسى المضطرِمْ
صداه صلاة بعمق الظلام
بمعبدِ وادي الفنا والعدمْ
وأشباح شتى من الذكريات
تُرجِّعُ ترتيل ذاك النغم
وحولي بقايا (كمان) حطام
عليه كتبتُ سطورًا بدم
ستبقى على الدهر حتى تكون
دليلاً لرمسي بين الأكمْ(٨)

وكأن سلوته في شعره الذي يبقى له ذكرًا سائرًا متواصلاً، فهو الذي يحمل سيرته المأسوية، وتلك نظرية ملؤها الأوهام تبتعد عن المثالية الدينية، والواقعية الحياتية، وتجتنب التعقل والتدبر.

وينفرد النبع الذاتي بإبداع يحيي توفيق، فالذاتية تغمره، في غزله الغرامي اللاهث في عوالم المرأة والذاتية، وتنبعث من شجونه وآلامه وأحزانه، وبوحُ الأنا عنده يريح أعصابه، فكأنه يقذف وهج اللهيب الداخلي إلى الخارج، ومنابع الذاتية هو إحساسه الداخلي الذي يهتز لما يعترض حياته من نوازع الجمال عند المرأة أولاً، ثم نوازع الحياة والشقاء فيها، ثم تأتي نوازع الوطنية، فهو يلوب في ليل من الشجن نتيجة صراع الحياة التي يكابدها، ولروحه الشفافة فإنه يزرع الحب والود، لكن يُصدم بخيبة أمل، حين لا يجد صدى.

لِمن أبوح بآلامي وأحزاني
وأين أهرب من ليلي وأشجاني
إذا شكوتُ فكلّ الناس يعذلني
وإن صبرتُ فصبرُ المرهَقِ الوَانِي
كم أزرع الودَّ في أفياء معْشبة
فأحصدُ الحقدَ في صحراء حِرماني
ليلي طويلٌ وأفكاري تحيّرني
وتسكبُ اليأسَ في قلبي ووجداني

حاله حلم مرعب في مرض الحمى أفزعت الشاعر المنصور، فصور رعب الإنسان حتى من النجوم المضيئة

يارب أشكو إليك اليوم أفئدة
تقسو عليَّ ولا أشكو لإنسان
الدهر خصمٌ كثير الختل عذّبني
وأنت عوني إذا ضيَّعت أعواني(٩)

وإذا صدرت معاناته عن هاجس وطني، فإن ذاته هي الممثلة لمجتمع أمته فهو يخاطب الأمة بانتساب الوطنية إلى ذاته المفردة:

بني وطني نسيتم كيف كنا
نسود الأرض في عهد الخلود
بني وطني هدمتم كلَّ مجدٍ
وأبدلتم رُبَانا باللحود(١٠)

وهو يحادث المدن كمحادثته للمرأة يقول عن أبها:

ساءلتها عن طريق (الصحن) فابتسمت
وأرشدتني إليها وانثنت تيهًا
وساءلتني غريبٌ أنت؟ قلت لها
من أهل جدة ضيف في أراضيها(١١)

ومن هنا ندرك وهج الذاتية عند يحيي توفيق متفاعلة متأججة قوية في غزله، معاناته الذاتية للحياة، لكن ينطفئ وهجها في شعر المناسبات والوطنيات.

والشاعر محمد العيسى أبحر في الذاتية، فقد مال به الانفعال في نظرته للأشياء لكنه انفعال ليس منطلقًا من تمرد على العقل الكلي، والنظام الاجتماعي، غير أنه مثقل ثقلاً ذاتيًا حتى دلفت به إلى التشاؤمية، ونظر إلى الوجود نظرة عقم لا فائدة فيه، فهو يندفع إلى عالم ما وراء المحسوسات بل إلى ما وراء الغيوب، أو يأنس بعالم حالم من نسج الخيال، أو ينزع ذاته من حياته الحاضرة بالعودة إلى حياة الطفولة، وربما نبذ المجتمع لنشاز في ذاته، أو لمثالية لا يحيد عنها، والشاعر العيسى، ماض في مسيرته إلى ما وراء عالمه العقلي والحياتي لا رفيق لديه، مثخنًا بجراحه، فكأنه وقع تحت صدمة مريرة هدت منه صروحًا، فهل هو ابتلي بما عاناه العذريون كعروة بن حزام، وقيس بن الملوح. وإن كان كذلك فقد اقترب منهما وتجاوز جميل وكُثيِّر، لكن معشوقته فكرة وهمية:

حبيبي أراني عبر الطريق
أسير إلى ما وراء الغيوبْ
أسير إلى عالم للفناء
وحيدًا تحيط بنفسي الندوبْ
حطامُ فقد هَدَّ منّي هواك
صروحًا تحدَّتْ فيها الخطوب
هواك شقاء بدنيا شقاء
أضلّ طريقي بين الدروب
حبيبي وكنتُ بهذي الحياة الـ
أغاني وكنتُ السمير الطروب
فلي هينماتٌ وعاها الزمان
بحبك مسّت شغاف القلوب
وأنت، نَعَمْ أنت يا للشقاء
حَطَمْت فؤادي بوعدٍ خلوب
فذقت العذاب وكأسَ الحِمَام
فكلّ وفائي وحبي ذنوب
بعيدًا بعيدًا وراء الغيوب
سأذهب وحدي ولا لن أعود
غدًا سوف أذهب تحت التراب
معي قلبيَ الدامي بين اللحودْ
وتبقى (كماني) الحطام تئن
وتعزف للقبر لحن الشهيد
وتبقى حياتي من - الذكريات
صدى بين شعرٍ وأوتارِ عود
وروحي ستبقى ترتل بعض
ابتهالات قلبي الجريح العميد
ترفرف حول (الرياض) كوعد
عليّ من الحب لا كالوعود
ستبقى التغاريد بين الطيور
ستبقى الشذى للندى والورود
ستبقى برغم الزمان العنيد
ستبقى تحطّم باقي القيود(١٢).

والشعر، فيما يوحي به، شعر واقع في تجربة شعورية ذاتية هيمنت على تفكيره، لكنه تأثر باتجاه الرومانسيين، فقد أشار إلى صيرورة شعره وسيرورته، فهو باقٍ شائعٌ بين الناس محلق كتحليق الأرواح وتغريد الطيور، تلك الصيرورة لم يفكر فيها الشعراء العذريون من قبل.

ويلج العيسى للرومانسية من أبواب مشرعة عديدة، فالإعراض عن توظيف العقل سمة نلمحها في شعره، فهو غيرقانع بحياته الحاضرة فهي وهم وأحلام، وهو في إبداعه، لا أقول في واقعه، تناسى الغاية من وجوده، ولو آمن إبداعه بأنه لم يُخلق إلا لعبادة الله لكفاه، فهو تناسى هذه، وكأنه يئس من مكانته الدنيوية فلم يقنع بواقع الحياة، فجال في رومانسيته وهو يفتقد الإرادة الشخصية، التي تخرجه من التيه الإبداعي هذا الذي ضل به عن سبيل الاعتدال، فدخل عالم الحيرة، والحيرة تسلم إلى الأحلام والأوهام.

أنا من ترى في هذه الدنيا؟ وماذا؟ ما أكون؟
أنا وهُم أحلامٍ وآمال تلا شت في سكونْ
أنا لست أعرف من أنا!! يا قوم هلاَّ تعرفون؟
أنا حيرة ضلت سبيلَ الرشد تسعى في جنون

الذاتية عند الزمخشري تنثال في كل لفظة من كلماته، فكأنما يجلب الدنيا إليه، لتشاركه الحب ولتشاطره الأسى

لا هُمَّ خذ بيدي إليك فقد يئستُ من النجاه
خذني إليك فقد سئمت العيش في هذي الحياه

والشاعر أخذ يهذي بألفاظ رومانسية، بل يهوي في سحيقها مع أن كثيرًا من المبدعين ربأ بشعره عن الانزلاق فيها، أما هو فعاش مبدعًا للشقاوة وللجحيم.

أنا للشقاء وللجحيم وللبلاء وللسقام
أنا للصدود وللتفجع والتَّولُّه والهُيامْ
أحيا كأني مفرد في هذه الدنيا ـ حطامْ
أنا من هَويتُ أضلَّ روحي من تباريح الغرام
فحطمتُ كأسي في يديَّ فما شربت سوى الدموعْ
وهدمت نفسي والحشاشة أُحرقتْ بين الضلوع
أنا هكذا (أحيا بلا أمل) فلا أرجو لقاه
أهواه لكن لست أعرف من هويت فمن تُراه؟
أضغاث أحلام تراها؟ أم جُننت بما جناه
أنا كالأتون تحرقت جَنَبَاته ممن بناه
أنا (تائه) أدميت أقدامي بصحراء الفتون
أنا لن أعود إلى الحياة فلست أدري ما يكونْ
قالوا (الضليل) تعثَّرت خطواته عبر الطريق
فهوى حطامًا في (القرارة) نحو هاوية السحيق
وبكى الزمان له عزاء ليت شعري هل يفيق
لا لن يفيق ولن يعود تردُّد الصوتِ العميق
ومضى إلى (لا شيء) تحدوه الأماني والخيال
مُتكسِّر العبرات يبكي ضاق من دنيا الضلال(١٣)

تلك الذاتية الانفصامية السالبة في حياة الفرد التي جعلته متمردًا على الكون بأسره، خضع لأوهامه فأشعلت انفعاله، فاحترق الشاعر، أو لنقل تجاوز كونه ولم يتأثر بمعتقد ولا بعقلية، ولم يخضع لأسلوب مجتمع، إنها أوهام شاعر رومانسي معاصر مستغرب في فكره لا من الغرب وإنما من الحياة، وإن أخذ الاتكالية الإبداعية من الغرب. فنسأل الله ألا يؤخذ الشاعر بهذا الفراغ الذهني، فعمله وإنجازه مغاير لإبداعه.

وتتجلى ذاتية القصيبي كثيرًا في شعره حتى في غرض الرثاء، فهو يهزه الانفعال الحزين، وينظر إلى الميت برؤيته الداخلية يقول عن الملك خالد ـ يرحمه الله ـ المتوفى ١٤٠٢هـ.

وهزَّ ضلوعيَ المنظر
رأيتك في جلال الموت
لا أنقى ولا أطهر
وحيدًا في رحاب الله
لا عرض ولا عسكر

ويقول:

وتسألني:
أما تبت عن الأشعار
مررت اليوم قرب الدار
تفرق مَجمع السُّمَّار
فلا أسمع إلا الصمت يسترسل
في الأذكار
ولا أبصر غير الجدب
يسترسل في الأزهار
فأبحث عنك في التذكار(١٤).

والشاعر يرثي الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ المتوفى عام ١٣٩٥هـ وهو يرمز له بـ «فارس القدس» في قصيدة تحمل هذا العنوان تزخر بالصور مما يرفع من شأنها، والحزن على الملك فيصل أصاب الجماهير بموجة من ذهول، والشاعر يتمثل هذا الوجدان الجمعي، فيتحدث بلسانهم، فالجرح الذي خلفه الفيصل عميق مما جعل الليالي أشجانًا، فعلى المجتمع أن يكفكف الدمع لبقائه في نفوسنا بقاءً دائمًا، وهو يمثل التواضع فلم يغرر به العز والسلطان، وهو أيضًا خلف فكرًا ومنهجًا فكان حبه عالقًا في النفوس.

يا بلادي! والجرح دام عميق
والليالي من حولنا أشجانُ
كفكفي الدمع فهو فينا وإن شق
قَ ضريحٌ ولُفَّت الأكفان
هو فينا حُب البساطة لم يطْ
غ عليها عِزٌّ ولاسلطان
وهو فينا الصمت الدؤوب وللصَّمـ
ـتِ بيانٌ وللسكوت لسان
وهو فينا فِكرٌ ورأيٌ سديد
واعتدال مُحَبَّبٌ واتّزان
وهو فينا التصميم أن ندخل القُدْ
سَ كِراما أن ترجع الجولان(١٥)

وهو ما زال فينا بأمنيته دخول بيت المقدس، وتحرير الجولان، إنها رموز إسلامية ووطنية معًا، فالرثاء لم يكن وصفًا خارجيًا إنما هو نبع وجدان منغرس في الفرد والمجتمع.

الرومانسية تتجسد في شعر محمد فهد العيسى في رؤية إلى عالم غير متناه من الألم والأسى

الهوامش:

١، ٢، ٣ـ من المعجم الأدبي، ص١١٦.
٤ـ فن الشعر ١٠٥.
٥ـ شعراء نجد المعاصرون ٥٠.
٦ـ ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٣٨
٧ـ زمخشري، مجموعة الخضراء ديوان ـ ٢٠٥.
٨ـ أودية الضياع ١١٤.
٩ـ المرجع السابق ١٢١.
١٠ـ المرجع السابق ١٥٢.
١١ـ ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١١٤.
١٢ـ ابن إدريس شعراء نجد المعاصرون ١١٨.
١٣ـ العودة إلى الأماكن القديمة ١٢٣.
١٤ـ المجموعة الشعرية ٥١٤.

معاناة الجامعيّين والباحثين في البلدان المتقدّمة

د. أبو بكر خالد سعد الله

يعتقد السواد الأعظم من الناس أن مهام التدريس والبحث في الجامعات ومراكز البحث في العالم المتقدم تقوم على قواعد سليمة أساسها تنمية الفكر العلمي بالمفهوم التقليدي. والواقع أن القواعد التي تسيّر هذا النشاط تخضع، أكثر فأكثر، إلى عوامل هاجِسُهَا الأول، إن لم نقل الوحيد، هو المنفعة المادية والمردود التجاري ومن ثمّ، صار الجامعيون والباحثون يعانون من ضنك العيش وعدم الاستقرار.

فالأسرة الجامعية تعرف في العديد من دول العالم تحوّلات مختلفة تعود جلّها إلى نقصٍ في التمويل، وإلى السعي في تحسين مردود الجامعات ومراكز البحث. وإذا كان هذا الأمر طبيعيا في المراكز والجامعات النامية وجامعات المعسكر الاشتراكي (سابقا) كالجامعات الروسية، فإنه يصعب فهمه إذا حدث هذا التحول في الدول المتقدمة. إليك عينات مما تتعرض إليه هذه الفئة من مضايقات.

في الولايات المتحدة واليابان

على الرغم من أن ميزانية البحث في الولايات المتحدة قد عرفت زيادة في العام الماضي، كما هو الحال في اليابان، إلا أن بعض الإجراءات ستتخذ من أجل تحسين المردود، وهي إجراءات ستزعج الباحث إلى حد كبير. تتمثل هذه الإجراءات، بوجه خاص، في إلغاء منصب «الباحث المرسم (الدائم)».

وبيّن تقرير قدمته الجمعية الأمريكية للتعليم العالي أن هذا القطاع مقبل على تقلبات عميقة تخص توظيف الأساتذة الجامعيين. فهناك مئات المؤسسات قامت (أو تقوم) بمراجعة قوانينها المتعلقة بالتوظيف.

وتسعى هذه المراجعة إلى تقليص عدد مناصب الأساتذة الدائمين (المرسمين). وتشير إحصاءات إلى أن عدد هذه المناصب كانت تقدر بـ ٩٠٪ من مجمل المناصب الجامعية عام ١٩٧٣م. وفي سنة ١٩٩٣م أصبحت هذه النسبة تقدر بـ ٨٠٪ ومن المعلوم أن النظام الساري المفعول في أمريكا يحتم على الحائز على شهادة الدكتوراه أن يشغل منصب أستاذ مساعد خلال مدة تقدر بسبع سنوات قبل أن يقدم طلب الترسيم. ويكون، عندئذ، عمر المرشّح للترسيم يتراوح بين ٣٣ و ٤٢ سنة، ويمر هذا المرشح بمرحلة أولية يطلب منه خلالها إثبات جدارته كمّا وكيفا، من حيث نشر البحوث. فإذا نجح في المرحلة الأولى صار «أستاذا مشاركًا» وينبغي عليه الانتظار مدة تتراوح بين سنتين وست سنوات للحصول على رتبة «أستاذ مرسم» التي تسمح له بتقاضي راتب جيد.

وفي حالة الإخفاق في المرحلة الأولى يجب على المترشح أن يعيد الكرّة في جامعة أخرى أو أن يغادر الحياة الأكاديمية بصفة نهائية. وإذا ما علمنا أن هذه المغادرة ستحدث في سن تتراوح بين ٣٣ و ٤٢، فإننا ندرك أنها لن تكون أمرًا هينًا. وقد أصبح الآن من الصعوبة بمكان بلوغ

منصب «أستاذ مشارك» الذي يضمن الوظيفة حتى سن التقاعد، حيث نجد العديد من الباحثين ذوي الكفاءات العالية يخفقون في المرحلة الأولى.

وهكذا لجأت بعض الجامعات الأمريكية إلى تشغيل الأساتذة والباحثين بوساطة عقود تتراوح مدتها بين سنتين وخمس سنوات يتقاضى خلالها الموظف حوالي عشرين ألف دولار سنويا. ونظراً لضآلة هذا الراتب يضطر هؤلاء العلماء إلى البحث عن مساعدات مالية أخرى. وذهبت العديد من الجامعات إلى أبعد من ذلك حيث ألغت بصفة نهائية، منصب «الأستاذ المشارك». يحدث ذلك في الوقت الذي وصل فيه رقم الأعمال السنوي للجامعات الأمريكية إلى ١٧٥ مليار دولار، وهو رقم يفوق ضعف رقم أعمال قطاع الطيران المدني في الولايات المتحدة. ويرى الملاحظون أن هذا الإلغاء سيمس الحرية الفكرية للأساتذة الباحثين على الرغم من أنه سيفتح نافذة توظيف للشباب الحديثي التخرج، الحاصلين على شهادة الدكتوراه.

ويبدو أن هذه الطريقة الأمريكية الجديدة في التعامل مع الأساتذة الباحثين في الجامعات قد وجدت صدى إيجابيًا في دول أخرى مثل اليابان. فقد قررت وزارة التربية اليابانية إدخال هذا النوع من التعديلات على الجامعات اليابانية ابتداء من هذا العام.

في كندا

قلصت السلطات الكندية الميزانية المخصصة للجامعات التابعة لمقاطعة الكيبيك، وذلك حتى يزول العجز المالي في هذه الجامعات بحلول عام ٢٠٠٠م، ومن جراء ذلك سيحال كثير من الأساتذة على المعاش المبكر، كما سيتأثر الأساتذة الباحثون من تخفيض الميزانية المخصصة للبحث العلمي. وفي هذا السياق يرى بعض الملاحظين أن مردود البحث يتناقص على المستوى الدولي، سيما مجال الفيزياء. كما يرون أن هناك سوء توزيع في بعض التمويلات عندما يتعلق الأمر ببعض الاختصاصات. ويتساءل بعضهم عن الفائدة التي يجنيها علم الأحياء (البيولوجيا) مثلا، من كون جل تمويلاته تأتيه من التمويل الخاص لدعم البحث في علم الوراثة.

في فرنسا

وفي فرنسا نجد أن الأساتذة والأساتذة المحاضرين في فرع (البيولوجيا) قد وُظّفوا بشكل مكثف خلال الستينيات. ومن ثمّ أصبح هذا السلك يعاني من الشيخوخة. وإذا كانت هذه المشكلة غير مطروحة بحدة الآن في بعض الاختصاصات مثل بيولوجيا الخلية وعلم الوراثة (وذلك بفضل عمليات توظيف لاحقة استفاد منها المتخرجون الشباب)، فإن اختصاصات بيولوجية أخرى تعيش حاليا وضعية تجعل مصيرها في خطر. وعلى سبيل المثال يلاحظ، في جامعة بيير وماري كوري الباريسية، أن معدل عمر الأربعة والخمسين أستاذًا باحثا المنتسبين إلى قسم بيولوجيا الأعضاء قد وصل، عام ١٩٩٥م، إلى ٥٦ سنة. ويتساءل المتتبعون لهذه المسألة عمن سيدرّس علم الحيوان وبيولوجيا النبات والجيولوجيا عام ٢٠٠٠ لطلبة التبريز وأمثالهم. ومن المعلوم أن عدد الأساتذة الباحثين الذين سيحالون على المعاش بجامعة بيير وماري كوري يفوق - في تلك الاختصاصات - عدد المنتسبين الجدد.

وهناك قضية أخرى ترتبط بالنوعية في العلوم البيولوجية، ذلك أن الطلبة يتخصصون في وقت مبكر جدا، الأمر الذي يؤثر سلبا في جانب الثقافة العامة المتوخاة في المتخرجين. وهناك عوامل أخرى تجعل عدد الطلبة الذين سيترقّوْن في المستقبل، إلى رتبة «أستاذ محاضر» عددا ضئيلاً جدا. وبسبب ذلك لجأت بعض الجامعات إلى توظيف الأساتذة المبرزين الذين سيدرّسون في التعليم الثانوي. ويرى الخبراء أن توظيف هذه الفئة في الجامعة أمر مقلق ويشكل خطرا على مصير البحث، لأن المبرزين لم يحتكوا بوسط الباحثين.

في بريطانيا

ولتحسين التحكم في الميزانية الزهيدة المخصصة للجامعات لجأت بريطانيا إلى فكرة توزيع الميزانية وفق ترتيب لمؤسسات التعليم العالي يأخذ بالحسبان كمية البحوث المنشورة ونوعيتها، على مدى أربع سنوات. وهكذا تمنح كل مؤسسة علامة من ٧ تُحدد في ضوئها حصة المؤسسة من الميزانية العامة (الرتبة الأولى فازت بها، عام ١٩٩٦م، جامعة أكسفورد حيث حصلت على علامة ٦٧و٦ /٧. وكلما ارتفعت العلامة زادت ميزانية الجامعة. ولذا صار الصراع بين مختلف فرق البحث يجري على قدم وساق، سعيا إلى مزيد من التمويل.

ترتيب الجامعات العشر الأولى في بريطانيا خلال عام ١٩٩٦م

مع العلامة (على ٧) الممنوحة لكل جامعة

المؤسسة	العلامة (على ٧)
١ - جامعة أكسفورد	٦,٦٧
٢ - جامعة كمبريدج	٦,٤٩
٣ - كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية	٦,٢٧
٤ - الكلية الملكية للعلم	٥,٩٨
٥ - جامعة كلية لندن	٥,٨٢
٦ - جامعة UMIST	٥,٦٠
٧ - جامعة باث	٥,٥٤
٨ - جامعة وارويك	٥,٥١
٩ - جامعة لنكستر	٥,٤٩
١٠ - جامعة يورك	٥,٤٨

في ألمانيا

وفي ألمانيا تقدمت وزارة التربية والبحث الفيدرالية بمشروع جديد لإصلاح النظام الجامعي، ويقوم هذا الإصلاح على فكرة تقضي بضرورة تحسين أداء الجامعات الألمانية ودعم سمعتها على الصعيد العالمي. ونظرًا لتعدد مراكز القرار في ألمانيا (هناك تسع عشرة وزارة محلية معنية بهذا الإصلاح) فإن الاتفاق على خطة مشتركة لبلوغ هذا المرمى لم يتمّ بعد. وقد أثار هذا المشروع سخطا منقطع النظير في الأوساط الجامعية الألمانية.

فالجامعات تعارض رأي الوزارات الوصية، والوزارات الوصية متعارضة فيما بينها.. والكل يعارض مشروع الحكومة!

وصاحب هذا المشروع هو وزير التربية والبحث ذاته. إنه يتزعم تيارا قويا يسعى إلى تحريك الجامعة الألمانية «لتستيقظ من سباتها العميق». فمبدأ الجامعة التقليدي، في النظام الألماني، هو «توفير تربية جامعية للجماهير»، وهو المبدأ الذي يطعن في صلاحيته وزير التربية والبحث. ويرى الوزير أنه حان الوقت لتُمنح الجامعات حرية أكثر كي تحدد بنفسها مقاييس الانتماء إليها - طلبة وأساتذة - وتسيرّ ميزانياتها بذاتها. ويحبّذ مشروع الإصلاح أن يكون توظيف الأساتذة على شكل عقود محدودة المدى، بدل الترسيم حتى سن التقاعد. وحسب مشروع

الوزارة فإن هذا الإصلاح سيزيد من قوة المنافسة بين الجامعات، وسيجلب إليها أحسن الطلبة وأفضل الأساتذة.

وبهذا الصدد، تشير الإحصاءات إلى أن هناك حوالى مليوني طالب في الجامعات الألمانية، بينما يبلغ عدد المقاعد فيها أقل من مليون مقعد تربوي أو تعليمي (بيدا غوجي). وبعبارة أخرى فإن وزير التربية والبحث يرغب في ترك الحرية للجامعات في اختيار الطلبة الذين يريدون الانتساب إليها عوض إرغامها على قبول عدد معيّن منهم، كما هو الحال اليوم. لكن الوزارات الوصية المحلية لاتريد التخلي عن سلطتها إزاء التعليم العالي. غير أن تصميم الوزير الفيدرالي يبدو أقوى من إرادة الوزارات المحلية. فقد دعم رأيه بالإشارة إلى قضية الطلبة الأجانب الذين لا يُقبلون على الجامعات الألمانية لافتقارها إلى الاعتراف الدولي، ولأنها تمنح شهادات لا تحظى بمعادلات دولية لائقة.

كما يعيب الوزير الفيدرالي على النظام الجامعي الألماني طول مدة الدراسة. فهو يرغب في أن تتقلص المدة المتوسطة الحالية، المقدرة بسبع سنوات، إلى أربع سنوات ونصف السنة على الأكثر. ومن جهة أخرى، يرى دعاة الإصلاح بأن الدروس الجامعية تركز على الجانب النظري على حساب الأعمال التطبيقية، زيادة على الثغرات الموجودة في توجيه وتقييم الطلبة.

في روسيا

لسنا هنا بحاجة إلى توضيح ما يجري في روسيا من معاناة مست جميع فئات المواطنين، لأن ذلك لا يخفى الآن على أحد. وإنما نودّ الإشارة إلى نموذج مما يحدث في أبرز جامعات هذا البلد منذ انهيار الاتحاد السوفييتي.

تُؤوي مدينة تومسك الواقعة في سيبيريا اثنتين من أشهر الجامعات الروسية، إضافة إلى مراكز بحث كبرى، وكانت هذه المدينة مغلقة في وجه الأجانب حتى عام ١٩٩٢م بسبب ما تحتويه من صناعات ومراكز بحث ذات صلة بالمجال العسكري.

أما اليوم فقد فتحت تومسك أبوابها لتستنجد بالعلم الغربي من جراء القحط الذي أصابها. وفي الماضي القريب كانت ميزانية جامعة تومسك المتعددة التقنيات تأتي، في معظمها، من العقود العسكرية. ومنذ تدمير جدار برلين تقلص عدد هذه العقود بشكل كبير وانخفض تمويل الحكومة انخفاضًا لم يسبق له مثيل. ومن جهة أخرى، فإن الصناعة المدنية الروسية تعاني حالة من الإفلاس لن تخرج منه قبل عدة سنوات. ولذا استنجد رئيس الجامعة المتعددة التقنيات في أحد المؤتمرات الدولية بالحاضرين صارخًا: «ساعدونا على إبلاغ العالم أن علْمنا (يقصد الخبرة الروسية) أصبح اليوم في متناول الصناعات الغربية».

العلم يختنق

وهكذا، أصبح الباحثون وأساتذة التعليم العالي اليوم يخضعون لقواعد عمل قاسية ومقاييس تقويم لا تحفّز على القيام بالمهمة النبيلة للبحث العلمي، وهي «تشريف العقل البشري» حسب تعبير الرياضي الألماني جاكوبي JACOBI (١٨٠٤ - ١٨٥١م). وإذا استمرّ الحال على هذه الوتيرة فسيصل العلم إلى حالة اختناق. ذلك ما يراه العديد من المتتبعين أمثال الأستاذين الباحثين بيتر لورانس PETER LAWRENCE ومايكل لوك MICHAEL LOCKE اللذين عبّرا عن هذا الرأي في مقال صدر في المجلة العلمية الذائعة الصيت NATURE في نيسان/أبريل ١٩٩٧م.

والملاحظ الآن أن جهد الباحث يقاس بعدد الأبحاث المنشورة، وبعدد الإحالات إلى أعماله في أبحاث زملائه.

وهذا يؤدي، لا محالة، إلى تفضيل الكمّ على الكيف. وقد نتج عن هذا النمط من المقاييس تكاثر في عدد المجلات العلمية المتخصصة بسبب كثرة الأبحاث المقترحة للنشر، حيث يقدر عدد المجلات الجامعية التي تنشر حاليا باللغة الإنجليزية بحوالي مئتي ألف (٢٠٠٠٠٠) مجلة عبر العالم، ويبلغ عدد قراء كل بحث ينشر في تلك المجلات بخمسة قراء لا أكثر. ويستنتج من هذا الوضع أن المقالات المنشورة، لا تخدم. في الواقع، الجانب المعرفي لدى القراء ورجال العلم، بل تخدم جانب الترقيات المهنية لأصحابها، وهذا أمر خطير إذا ما أضفنا إلى ذلك العدد الهائل من المجلات والمنشورات والمجلات الإلكترونية (غير الورقية) التي ظهرت حديثًا.

آخر الدواء.. الكي

الطريف أن أحد الباحثين اقترح حلاً غريبا لهذه المعضلة، فقارنها بوضع القطاع الفلاحي الذي تشجع فيه الدولة فلاحيها فتشتري منتوجاتهم بأثمان مضخمة ثم تخزن ذلك المنتوج، الذي لا يستهلك في كثير من الأحيان. وبالمثل نجد الدولة نفسها تدفع أموالاً طائلة للمكتبات الجامعية كي تتمكن من اقتناء عدد كبير من المجلات المتخصصة التي لا تقرأ (تذكّر أن الإحصاءات تشير، كما أسلفنا، إلى أن عدد قراء كل بحث منشور لا يتجاوز خمسة أشخاص).

والحل الطريف المقترح هو أنه بدلاً من أن تموّل الدولة المكتبات لشراء المجلات، تدفع علاوة لكل باحث يحتفظ بنتائج عمله ولا ينشرها، وذلك ليتقلص عدد المجلات، وتتقلص بذلك تكاليف الاشتراكات فيها!

ويذكّرنا هذا الحل بموقف الرياضي الألماني الشهير كارل لودويج سيجل CARL LUDWIG SIEGEL المولود عام ١٨٩٦م. فقد لاحظ سيجل كثرة عدد البحوث المنشورة، ورأى في ذلك خطرًا يجب العمل على التخلص منه. ويُروى أن سيجل كان يعتقد اعتقادا راسخا أن عدد الأفكار الأصيلة قليل جدا، ولا يأتي بها إلا نفر قليل من أهل العلم، لكن صغار الباحثين يستغلون تلك الأفكار استغلالا بشعا ويكثرون من نشر البحوث حولها، ولذا نادى سيجل أصحاب أمهات الأفكار بالكفّ عن نشر أفكارهم، خلال بعض الوقت حتى يستنفد «الصغار» الأفكار الأصيلة الموجودة في السوق، وبعد هذه المرحلة يتعين على نوابغ العلماء، كما يرى سيجل، سنّ قوانين أخرى للتحكم في مجال البحث والنشر. ويُحكى أن سيجل طبق فكرته فكان، خلال الثلاثينيات من هذا القرن، يخفي أفكاره الأصيلة ويغلق عليها الأبواب والرفوف ولا ينشرها ولا يبوح بها إلا لأمثاله! فماذا لو تحقق حلم سيجل؟!

المراجع

CASACUBERTA C. & CASTELLET. : MATHEMATICAL RESEARCH TODAY AND TOMORROW, SPRINGER - VERLAG, BERLIN,1992.

BOOTH V. COMMUNICATING IN SCIENCE, 2d ed., COMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1993.

NORDON D. : POLITIQUE SCIENTIFIQUE COMMUNE, POUR LA SCIENCE, OCTOBER 1996, PARIS, P.7.

POSTEL - VINAY O.: SCIENTIFIQUE SIBERINS CHERCHENT CONTRATS, LA RECHERCHE, JULY - AUGUST 1997, PARIS, P. 12.

وصفة علاج شاملة

د. خير الدين عبدالرحمن

يستمر السباق محموماً بين الأمراض العضوية التي تصيب البشر ومحاولات علاجها، في إطار صراع لا يكاد يستقر عند غلبة أحد طرفيه حتى يجترح الآخر أدوات جديدة يستعيد بها بعض مواقعه، أو يحتل مواقع جديدة. حتى عندما أتاح التقدم العلمي للإنسان أن يعلن بثقة موعداً للتخلص نهائيًا من مرض ما على صعيد العالم بأسره لكي يتفرغ لتركيز الجهود والأبحاث على مقاومة مرض آخر قديم أو مستجد، مثلما كان أمر الإعلان عن التخلص النهائي من مرض الجدري مثلاً في أعقاب حملة عالمية شاملة لاجتثاثه، جاءت المفاجأة في وقائع تثبت أن تلك الثقة التي سمحت بمثل ذلك الجزم قد شابها الغرور الإنساني. ناهيك عن أن مسار الصراع بين الأمراض ومعالجتها قد أظهر أنه كلما تراجع اجتياح مرض ما إلى حين، يبرز مرض جديد ـ أو عدة أمراض ـ أشد وطأة وأعظم خطراً وأدهى استفحالاً.

يلاحظ في هذا السياق أن البارزين من البشر في مختلف الحقول، من سياسة وتجارة وعلم وفنون وصناعة، ممن تلاحقهم الأضواء وتتركز الأنظار عليهم، يستمتعون بكونهم محط وموضع متابعة تشمل تفاصيل حياتهم وأدائهم، بل وتزركش هذه التفاصيل وتبالغ في تصوير محاسنها وخوارقها، بحيث باتت هناك دوائر ومؤسسات متخصصة في هذه الزركشة والمبالغة. لكن ستاراً من التعتيم يجري فرضه غالبًا عندما يتعلق الأمر بأمراض هؤلاء البارزين، إلا عندما يخدم الكشف عن جوانب محددة تتعلق ببعض تلك الأمراض مقاصد معينة. اشتهرت أمراض معينة على الرغم من هذا التعتيم بأنها أمراض خاصة بالعظماء والبارزين! هذا ما كان من أمر النقرس مثلاً في الماضي، وهذا هو شأن الاكتئاب والقلق والإرهاق وانعكاساتها العضوية في أيامنا. لقد ظلت تلك الانعكاسات العضوية لغزاً كبيراً يواكب حياة البارزين من البشر بشكل خاص، وإذا احتار الأطباء في تفسير أكثرها بدقة، وعجزوا عن علاجها واجتثاث مسبباتها، وركزوا على الحد من تفاقمها واستشرائها وتسكين آلامها ومضاعفات أوجاعها، فقد شددوا على أن الاكتئاب والقلق والإرهاق حالات ملازمة لحياة العظماء والبارزين والمتفوقين تنجم عن طبيعة حياتهم وأعمالهم، وتنتج عنها أمراض عضوية بعضها معروف ومحدد، وبعضها مبهم يثير الحيرة.

الكذب أساس الأمراض

ليس الربط بين الاضطرابات السلوكية والأخلاقية الفردية والجمعية من ناحية، والعديد من الأمراض العضوية من ناحية ثانية بالأمر الجديد، فالعلاقة وثيقة ما بين اختلاف السلوك أو اضطراب الوظائف أو انحراف الأخلاق من جهة، والإصابات العضوية عبر ممر الإصابات النفسية من جهة أخرى. إن التأثيرات التي يمارسها سلوك الإنسان في حالته النفسية تتراكم وتتفاعل وتنعكس على حالته الجسدية. وهذا الانعكاس ثنائي الاتجاه، بحيث يمارس الوضع الصحي للإنسان ـ سلامة واعتلالاً ـ تأثيراته بدوره في سلوك هذا الإنسان، وفي حالته النفسية. ولكن الاكتشاف المبكر للروابط مابين الأمراض العضوية والممارسات السلوكية والحالات النفسية لا يمثل سوى نصف الحقيقة، أما النصف الآخر فيلفه الجهل أو التجاهل أو الإبهام. لكن بحثًا علميًا مطولاً أجراه الدكتور بلانتون حاول فيه تسليط ضوء على ذلك النصف الغائب أوالمغيب من الحقيقة، ويبدو أنه قد أصاب شيئًا من النجاح. لقد أكدت نتائج بحث الدكتور بلانتون عندما أعلنها في ربيع العام ١٩٩٧م أن الكذب سبب جوهري لكثير من الأمراض التي تتفاقم آثارها في جسم الإنسان. شددت هذه النتائج على أن الكذب الذي يمارسه المرء يؤدي إلى توتر أعصابه، وأن هذا التوتر العصبي للكاذب يقود إلى اختلال وظائف جملته العصبية، ويؤدي هذا الاختلال بالضرورة إلى تفشي العديد من الإصابات بأمراض عضوية عدّد الدكتور بلانتون منها: أمراض الجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والجهاز البولي والتناسلي، وأساسًا أمراض الدماغ. كما شدد البحث على أن الكذب سبب رئيسي للإصابات بالقلق والإرهاب والاكتئاب التي تنعكس أمراضًا عضوية مختلفة يستعصي معظمها على القواعد التقليدية للفحوص السريرية. لم يغفل بلانتون التحذير من التهوين الذي يمارسه أكثر الناس بادعاء أن ممارستهم الكذب تقتصر على الكذب الأبيض الذي لا يضر أحداً ولا يسبب أي أذى، إنما هو بدوره كذب على الذات وعلى الآخرين، ونوع من الخداع الأبله. إن كذبة بيضاء بعد الأخرى تجعل الكذب عادة لدى المرء، ولا تلبث (ألوان) الكذب أن تتداخل وتتشابك.

كما تقود ممارسة الكذب دائمًا إلى ازدواجية خطيرة تتسبب في تناقضات نفسية وسلوكية تنتهي إلى توترات عصبية متفاوتة لا تلبث أن تتفاقم مولّدة العديد من الأمراض العضوية. لقد أكد بحث الدكتور بلانتون كذلك أن تفشي النفاق والرياء والتملق باسم المجاملة والمسايرة سبب رئيسي للانتشارالهائل للأمراض المعاصرة مثل الارهاق STRESS الذي يعاني معظم الناس منه دون إدراك مسبباته الجوهرية الحقيقية، ومثل الاكتئاب الذي يزداد عدد المصابين به ازدياداً كبيراً، وكذلك الإصابة المتفشية لقرحة المعدة والأمعاء، وإصابات أخرى واسعة الانتشار.

تكاثر الأقنعة وسيادة الانتهازية

نقف عند نتائج بحث بلانتون المعززة بأرقام وإحصاءات أفرزتها متابعات دقيقة ودراسة مطولة، فتفتح هذه النتائج أمامنا العديد من الآفاق التي كثيراً ما تحجبها هموم الحياة اليومية المعاصرة وإيقاعها المحموم المتسارع الذي يعج بضغوط كثيفة، وتراكمات تطيح بالتوازن الإنساني. تذكرنا هذه الوقفة مثلاً بحقيقة أن اعتياد الكذب وتسويغه للذات، ومن ثم تحوله إلى عادة فردية سرعان ما تصبح عادة جمعية وتقليداً سائدًا، يؤدي بالضرورة إلى خلط تلقائي بالأكاذيب. كما يستشري تغليف الكذب بشيء من الحقيقة أو مايدانيها ويشابهها، وهكذا يتفشى النفاق والرياء والغش والخداع، بوصفها عادات وممارسات يولّدها الكذب وينتعش بمرادفاتها له، فتختل الموازين وتضطرب المعايير، وتتكاثر الأقنعة حاجبة الحقيقة. وتتقدم المنافع الفردية الذاتية في هذا المناخ على أي اعتبارآخر، ولايتردد الفرد بهذا في سحق الآخرين واغتصاب حقوقهم كلما استطاع إلى هذا سبيلاً، فتسود الانتهازية وتتهشم البنى المجتمعية والوطنية والأسرية. في مثل هذه الحالة يصبح على الحقيقة أن تقاوم إفرازات أكاذيبها الذاتية، بعد الاختلاط

المتشابك بين الحقائق والأكاذيب، بحيث تصبح هذه المقاومة سبيل صاحبها، أو أصحابها، للخلاص من سلسلة أمراض عضوية طويلة متنوعة مرتبطة بالأمراض السلوكية والأخلاقية.

إن الاستشراء الوبائي للنفاق والرياء ومشتقات الكذب الأخرى، بما فيها من خداع وامتهان للذات وللآخرين في الوقت نفسه، يفسر الانتشار الواسع المتزايد لأمراض عضوية كثيرة، معروفة أومستجدة، تكتسح الناس على نحو غير مسبوق، لقد اضطربت مسارات مجتمعات كثيرة بعنف في ظل هيمنة مزايدات تأسست على الكذب، وشعارات أدرك مبتدعوها سلفًا أو لاحقًا - لافرق - أنها ستار يستخدمونه متعمدين للتغطية على مراميهم الحقيقية الأصيلة أو الطارئة، ولتغطية دوافعهم ودافعيهم. لذلك يسهل تفسير ما يُفاجأ الناس به من كون الكثيرين ممن ابتدعوا تلك الشعارات يسابقون إلى ممارسة نقائضها عند أول فرصة، أو عندما يقترن اختلاط الوقائع مع أوهام وقع الناس في أسرها، باستسهال التقنع سبيلاً إلى إخفاء سلبيات الواقع، بل إنكار وجودها أصلاً، والمكابرة إزاء مواطن الخلل ومسبباته عبر افتعال الذرائع المسوغة له أو المهوّنة من شأنه، وادعاء الإنجازات الوهمية بديلاً للإنجاز الحقيقي. وباختصار، يقود الكذب دائمًا إلى الإيغال في الكذب، فتضيع الحدود!

هول المأزق وتعقيداته

إذا كان ما أصاب أمتنا، ولا يزال يصيبها، من المآسي هو حصيلة تضافر اختراقات خارجية مع عوامل ذاتية داخلية وتفاعلها، فلا يجادل عاقل منصف في أن أخطر سلاح استخدمته الاختراقات الخارجية ضد أمتنا - ولا تزال تستخدمه بنشاط كبير - هو خلخلة الأسس العقدية التي توحد الأمة، وزعزعة القيم الأخلاقية التي شكلت محددات سلوكها وضوابطه، وامتهانها وابتذالها، وتهميش الروابط التي تجمعها وتوفر لها التماسك، ومن ثم تهميشها. فهذا السلاح يدفع بالأمة للتحول إلى مجتمع هش البنية، سديمي التكوين، تنهشه الفرقة، ويسوده التواكل والتهرب من المسؤوليات، والاستغراق في المبالغات والتطرف بالانفعالات، وينشغل أفراده بالشكل عن الجوهر، وبالأمس عن الغد، وبالأقنعة عن المضمون، وبالظلال عن الأساس، وبالأنا عن الجماعة. في مثل هذا الوضع المتأزم يصبح عدم المبالاة ملاذًا لغالبية الذين يدركون هول المأزق وتعقيداته، وييأسون من قدرتهم على الحل أوالعلاج. لقد افتضح أمر الكثير مما رسمته أطراف خارجية وخططت لتنفيذه فينا، مستثمرة أدوات وأوضاعًا محلية تفتح لها الثغرات. يظل هذا الكثير مما افتضح أمره عبر الوثائق والاعترافات، وأساسًا عبرالنتائج التي انتصبت وقائع تتكاثر في حياتنا، يظل جزءًا صغيرًا مما تمَّ عمله فعلاً. من هذا الكثير/القليل الذي افتضح أمره يجدر بنا أن نستذكر في كل يوم ما قاله الماسوني صموئيل زويمر، رئيس جمعيات التبشيرالمسيحي في المؤتمر الذي عقده مندوبو تلك الجمعيات سنة ١٩٣٥م على جبل الزيتون في القدس المغتصبة.

ذلك أن الوضوح الصارخ في خطاب زويمر الذي التفتنا إليه من بين وثائق ذلك المؤتمر بعد سنوات طويلة، يستحق أن نعيد قراءة ذلك الخطاب مرات ومرات، إلى أن نعي مدلولاته ونؤسس يقظة مبنية على ذلك الوعي. جاء في فقرة مهمة من خطاب زويمر قوله: «مهمتنا ليست إدخال المسلمين في عقيدتنا، وإنما إخراج المسلم من إسلامه ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد الأمم عليها لنهضتها... لقد تحكمنا في هذه الحقبة، من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، بجميع برامج التعليم في البلدان الإسلامية المستقلة أوالخاضعة لنفوذنا... ونشرنا في تلك الربوع مكامن دعوتنا من دور العبادة والجمعيات والمدارس الكثيرة التي تهيمن عليها دولنا الأمريكية والأوربية، وفي مراكز كثيرة، ولدى شخصيات لاتجوز الإشارة إليها - بفضلكم - إلى ضروب تعاون كثيرة بارعة ذات نتائج باهرة، هي أخطر ما عرف البشر في حياة الإنسانية كلها. لقد أعددتم بوسائلكم جميع العقول في البلدان الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد، وأعددتم جيلاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، فجاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراده الاستعمار له، لا يهتم بجلائل الأمور، ويحب الراحة والكسل، ويستهدف الشهوات بالعلم إذا تعلم، وإذا جمع مالاً فللشهوات، وإذاتبوأ أعلى المراكز فيضحي بكل شيء من أجل الشهوات. إنكم تتمون مهمتكم على أكمل وجه، وقد حققتم أفضل النتائج».

المجتمع أم الدولة؟

إن المجتمع - لا الدولة - هو الكيان الكامل الذي يحيا الناس فيه ويتحركون. لا تستطيع الدولة أن تحل محل المجتمع مهما تعاظمت قوتها وسطوتها، فهي لا تستطيع فرض الدين أو الأخلاق أو العادات على المجتمع، ولا التحكم الحقيقي بذوقه وقناعاته، مهما ركزت السلطات في مؤسساتها وأجهزتها، ومهما استخدمت القسر وبالغت في التطويع. إن العملية السياسية والمجتمعية المتصلة بالأمة أعمق وأشمل من النظام الرسمي الذي ينظمها، أي الدولة. وبالتالي فإذا كانت الدولة تملك قرار التلقيح الشامل ضد الكوليرا أو شلل الأطفال وتنفيذه، وتملك التوسع في الخدمات العلاجية لمقاومة جائحة أو وباء، فإنها لا تملك أن تمنع الكذب بقرار، أو تحظر النفاق والرياء بقانون، لأن المسؤولية هنا والمقدرة تتلعقان بالمجتمع كله، فالمجتمع بأسره هو القادر على ممارسة العلاج انطلاقًا من إدراك المرض والوعي بخطورته وبالحاجة إلى التخلص منه.

إذا كنا نتفق على أن الأمراض السلوكية والنفسية مسؤولة عن الكثير من الأمراض العضوية فإن الهروب إلى عدم المبالاة قد يغري أصحابه بتوهم أن هذا الهرب منجاة لهم من أمراض الجسد التي تصيب من يؤرقهم الهم العام. لكن الهروب إلى عدم المبالاة يزيد في الواقع من احتمالات الوقوع في فخ الأمراض العضوية. إن هذا الهروب بحد ذاته ممارسة واضحة للكذب على الذات وخداعها. وهنا بالضبط تطيح نتائج بحث الدكتور بلانتون حول مسؤولية الكذب عن الإصابة بأمراض عضوية بوهم النجاة الذي يغوي المستهترين غير المبالين.

يبدأ العلاج بإدراك المرض والوعي بخطورته والتصميم على معالجته، ينتقل هذا الإدراك والوعي والتصميم من فرد إلى فرد، ممن يترددون في ركوب الصعب والمبادرة إلى تقديم القدوة الحسنة، ثم يواصل الانتشار ليشمل المجتمع بأسره. إن التغيير المأمول إرادة فعل ذاتية - فردية وجمعية - يبادر كل المؤمنين بالحاجة إلى العلاج لممارستها، وصولاً إلى الخلاص من المأزق والوضع المتأزم.

إن تربية النفس بمحاسبتها وتصويبها بعد ما استشرى استسهال رفع الشعار والعمل بنقيضه، والتهرب من المسؤولية بإلقائها على آخرين، هي جوهر مجاهدة النفس التي نحتاج إليها اليوم أكثر من أي وقت مضى.

لكن الدعوة إلى جهاد النفس عبر المواعظ المجردة أضعف من أن تجدي في وضع بالغ التأزم والتعقيد.

فهل تشكل نتائج البحث العلمي التي أكدت مسؤولية الكذب عن كثير من الأمراض العضوية حافزًا أقوى لممارسة جهاد النفس؟

الكذب والنفاق والرياء والغش والخداع مسببات رئيسية لأمراض قرحة المعدة والأمعاء وسائر أمراض الجهاز الهضمي، وأمراض الجهاز التنفسي، وأمراض الجهاز البولي والتناسلي، وأمراض الدماغ والجملة العصبية، وحالات التوتر والاكتئاب والقلق والإرهاق. هذا ما يؤكده البحث العلمي للدكتور بلانتون، فإذا كان اكتشافنا لما خطط له زويمر وأمثاله ونفذوه في صفوفنا لايشكل حافزًا لنا إلى اجتثاث ما زرعوه فينا، فلتشكل نتائج بحث الدكتور بلانتون هذا الحافز.

إنها وصفة علاج للتخلص من مسببات قائمة طويلة من الأمراض العضوية، تخلصًا فرديًا وجماعيًا، عبر ممارسة الصدق والصراحة وشجاعة الرأي الحر والإخلاص في التعامل.. لماذا لايجرب هذه الوصفة كل الذين يتناولون المسكنات والمضادات الحيوية وسائر العقاقير التي تنهك خلايا أجسادهم وتتلف أعصابهم؟.

قصة قصيدة

حرص الحاكم على أموال الدولة

د. محمود جبر الربداوي

إنّا لنرجو إذا ما الغيثُ أخْلَفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
خليفة الله، ثم الله يحفظُه ... والله يصحبك الرحمنُ في السفر
أنت المبارك، والمهديُّ سيرَتَهُ ... تعصى الهوى، وتقوم الليل بالسُوَر
قد طال قولي، إذا ما قمتُ مبتهلاً: ... ياربِّ أصلحْ قِوام الدين والبشر
أ أذكر الجَهد والبلوى التي نزلتْ ... أم قد كفاني الذي بُلّغْتَ من خبري
كم بالمواسم من شعثاءَ أرملةٍ ... ومن يتيم ضعيفِ الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوفٍ كأن به ... مسّا من الجن أو خَبلاً من البشر
ممَّن يعدكَ تكفي فقدَ والده ... كالفرخ في العُشِّ لم يدرُج ولم يَطِرِ
خليفة الله ماذا تنظرون بنا؟ ... لسنا إليكم، ولا في دارِ منتظَرَ
نال الخلافة إذا كانت له قدراً ... كما أتى ربَّه موسى على قدَرِ

قصة هذه القصيدة تطرح ثلاث قضايا: قضيّة سياسية اقتصادية، وقضية اجتماعية سلوكية، وقضية أدبية نقدية، ولكي نستنبط هذه القضايا علينا ـ أولاً ـ أن نقرأ القصة ونستنتج ما تتضمنه من أفكار.

فالقصة ـ كما روتها كتب الأدب، ومنها كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه وكتاب ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي تقول ما يلي(١): قيل. لما اسْتُخْلفَ عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وفَدَ الشُعرَاء إليه، وأقاموا ببابه أياما لا يُؤذن لهم، فبينما هم كذلك إذ مَرَّ بهم رجاء ابنُ حَيْوة ـ وكان جليس عمر ـ فلما رآه جَرير داخلاً، قام إليه وأنشده:

يا أيها الرَّجُلُ المُرْخي عمامَته
هذا زمانُك فاستأذن لنا عُمرا

فدخل عليه ولم يذكر له شيئًا من أمرهم، ثم مَرَّ بهم عَدي بنُ أرْطَاةَ، فقال له جرير أبياتًا آخرها، قوله:

لا تَنْسَ حاجَتَنا لُقِّيتَ مَغْفِرَةً
قد طَالَ مُكْثيَ عن أهلي وعن وطني

قال: فدخل عُديٌّ على عُمَر، فقال: يا أمير المؤمنين؛ الشعراء ببابك، وسهامُهُم مسمومة، وأقوالهم نافذة. قال: ويْحكَ يا عدي! مالي وللشعراء! قال: أعَزَّ الله أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتُدحَ وأعطى، ولَكَ في رسول الله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة، قال: كيف؟ قال: امْتَدَحَه العَبَّاس بنُ مرداس السُلَميّ فأعطاه حُلَّةً، فقطع بها لسانه، قال: أو تروي من قوله شيئًا؟ قال: نعم قوله:

رَأيْتُك يا خَيْرَ البَرية كلها ... نَشَرْتَ كتابًا جاء بالحق مُعلَما
شَرَعْتَ لنا دين الهُدى بعد جَوْرِنا ... عَنِ الحقِّ لما أصْبَحَ الحقُّ مُظلما
ونَوَّرتَ بالبُرهان أمراً مُدلسًا ... وأطفأت بالإسلام نارًا تَضَرَّما
فَمَن مُبلِغٌ عنّي النَّبيَّ محمداً ... وكلُّ امْرِئ يُجْزَى بما كان قَدَّما
أقَمْتَ سبيلَ الحقِّ بعد اعْوجاجه ... وكان قديمًا رُكْنُه قد تهدَّما

فقال عمر: ويْلك يا عَديّ! مَنْ بالباب منهم؟ قال: عُمر بنُ أبي رَبيعة.

قال: أليس هو الذي يقول:

ثم نبهتها فمدَّت كعابا ... طَفْلةٌ ما تُبِين رَجْعَ الكلام

ساعة، ثم إنها بعدُ قالت:

ويلتا قد عجلْتَ يا بن الكرام

فلو كان عَدُوُّ الله إذْ فَجَرَ كَتَم على نفسه لكان أسترَ له، لا يدخُل والله عليَّ أبدًا. فمن بالباب سِواه؟ قال: الفرزدق، قال: أوَ لَيْس الذي يقول:

هُمــا دَلّتـانـي من ثمــانين قــامــةً
كما انقضَ بازٌ أقتم الريش كاسِرُه
فلما استوت رِجْلايَ في الأرض قالتا:
أحيٌّ فيُــرْجَى أمْ قَــتيــلٌ نُحــاذِرُه!
لا يَدخُلُ علي والله. فـمن بالبـاب سواه؟ قـال: الأخطل، قال: يا عَدي، أليس هو الذي يقول:
ولستُ بصـائم رمَـضـان طَوْعًـا
وَلَستُ بآكل لحمَ الأضـاحي(٢)
ولستُ بزاجـرٍ عَنْسًـا بُكورا
إلى بطحـاء مَكة للنجـاح
ولستُ بزائر بيْتًـا عـتيـقًـا(٣)
بمكة أبتـغي فـيـه صـلاحي
ولستُ بقـائم بالليلِ أدعـو
قُبَيْلَ الصُّبح حَيَّ على الفلاح
ولكني سـأشْرَبُها شَـمـولا
وأسْجُدُ عند مُنْبَلَج الصَّباح(٤)
والله لا يدخُل عليّ وهو كـافر أبدا؛ فمن البـاب سوى من ذكرت؟
قال الأحوص، قال:: أليس الذي يقول:
الله بيني وبين سـيِّـدها
يَفِـرُّ مني بهـا وأتبَـعُـهُ
فما هو بدون من ذَكرت، فمن هُنا أيضًا؟ قال: جميلُ بنُ مَعْمَر، قال أليس هو الذي يقول:
ألا ليتنا نحيـا جميعًا وإن أمُتْ
يُوافق في الموتى ضَريحي ضريحُها(٥)
فلولا كان عـدوُّ الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحًـا لكان أصلح؛ والله لا يدخل عليّ أبدًا؛ فهل سوى من ذَكرتَ أحد، قـال: جرير، قال: أما هو الذي يقول:
ذُمَّ المنازلَ بعـدَ مَنْزِلَة اللِّوى
والعـيشَ بعـد أولئك الأيام(٦)
طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوب ولَيْس ذا
وَقْتَ الزيارة فـارْجِـعي بسـلام
فإن كان ولا بُد فهو الذي يدخل، فلما مَثَل بين يديه، قـال: يا جرير؛ اتَّق الله ولا تقل إلا حقـا، فأنشدَه قصيدتَهُ الرَّائيَّة المشهورة التي منها:
إنا لَنَرْجو إذا مـا الغَيثُ أخْلَفَنا
من الخليفة ما نَرْجو من المطر(٧)
نَالَ الخِلافة إذْ كانَتْ له قَدَرًا
كمـا أتى ربَّه مـوسَى عَلَى قَـدَر
هَذِي الأراملُ قد قَضَّيْتَ حاجتها
فَمن لحاجة هذا الأرمَلِ الذكر!
الخيرُ ما دُمتَ حَيًّا لا يُفارقنا
بورِكْتَ يا عُمَرَ الخيرات من عُمَر
فقال: يا جرير؛ ما أرى لك فيما ها هنا حقًا! قال: بَلَى يا أمير المؤمنين، إنّي ابنُ سَبيلٍ ومُنْقَطَع به.
فقـال له: وَيْحَكَ يا جرير، قد وُلينا هذا الأمر ولا نَمْلكُ إلا ثلاثمئة درهم؛ فمئة أخذها عبدالله، ومئة أخذتها أم عبدالله، يا غُلام أعطه المئة الباقية.
قـال: فأخـذها جرير، وقـال: والله لَـهِيَ أحَبُّ إليّ مما اكتسبْتُه. ثم خرج فقال له الشعراء: ما وراءك؟ فقال: ما يسوؤكم، خَرَجْتُ من عند خليفة يُعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عليه لراض، وأنشد:
رأيتُ رُقَى الشيطانِ لا تَسْتَفِزُّه
وقـد كان شيطاني من الجنِّ رَاقيـا
فقْه هذه القصة - كـما قُلت - يوقفنا على ثلاث قضايا نستشفها من بين السطور:
أولى القضايا الموقف السياسي، وهو موقف يعزّز الموقف (الاستراتيجي) - حسب تعبيرنا المعاصر - الذي اتخذه الخليفة عمر، وهو الحفاظ على أموال الدولة، وعدم صرفها في غير الأبواب التي تعود على الدولة وأفراد الدولة بالخير والنماء، ويندرج تحت موقفه (الاستراتيجي) من الدولة الحفاظ على بيت مال المسلمين وعدم إطلاق يده في أموال خزينة الدولة - كما فعل بعض من سبقه من الخلفاء والولاة - إلا لمستحقيها الذين أشارت إليها نصوص الشريعة الإسلامية. ومن هذا الموقف رأى أن لا نصيب للشعراء في بيت مال المسلمين، ورأى أنه من خطل الرأي أن يُغدق على الشعراء أموالاً ليسوا بمستحقيها؛ لأنهم فئة تسترزق بالكلمة، ويأخذون من الدولة دون أن يعطوها، لذلك أخذ عمر قرارًا بحرمانهم من أعطيات بيت المال، وخاصة أنه في زمن هو غنيٌ عن تألف قلوبهم. كما تذرّع بعض من سبقه من الحكام.
وثانية القضايا تلك القضية الاجتماعية، والتي ملخصها أن الشعر العربي لم يولد في العقلية العربية ليكون مدحًا لذوي اليسار واستجداء لعطاياهم واستحلابًا لدَرِّهم، ولهذا قال ابن سلام: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قُصِّدت القصائد وطُول الشعر على عهد عبدالمطلب وهاشم»(٨) وكانت العرب لا تتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظامًا لها، حتى «نشأ النابغة الذبياني فمدح الملوك، وقَبِل الصلة على الشعر.. فسقطت منزلته وتكسّب مالاً جسيمًا، حتى كان أكله وشرابه في صحاف الذهب والفضة وأوانيهما من عطايا الملوك»(٩) وتكسّب زهير بن أبي سُلمى بالشعر، فلما جاء الأعشى جعل الشعر متّجرًا يتّجر به نحو البلدان.. وأكثر العلماء يقولون.. وأما أكثر من تقدّم فالغالب على طباعهم الأنفةُ من السؤال بالشعر، وقلة التعرض به لما في أيدي الناس»(١٠) ولما جاء الإسلام الذي منع التواكل على الآخرين والارتزاق بغير الجهد المبذول، أشار إلى إبطال الارتزاق بالشعر، وحثّ الناس - ومنهم الشعراء - على الكسب الحلال، وألا يكونوا عالةً على غيرهم من الناس، يمدحون هذا لأنه أعطاهم، ويهجون ذاك لأنه منعهم، ومما يروى عنه صلى الله عليه وسلم - في هذا الباب قوله: «احثوا التراب في وجوه المداحين»(١١) صحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم خلع بردته على كعب في القصة المشهورة ولكنه موقف ديني، مع أن البردة ليست من بيت مال المسلمين ولا من الصدقات، وإنما هي ملك شخصي للرسول، وهذا عين موقف عمر بن عبدالعزيز عندما أعطى جريرًا - كما تذكر القصة - من ماله الخاص لا من مال الدولة وخزينتها، لكيلا يخرق القاعدة التي ارتضاها، ولكيلا يفرّط بأموال الدولة التي هو مجرد أمين لها ومحافظ عليها، ولكي يحدّ من ظاهرة ارتزاق الشعراء من أيدي الخلفاء والقادة والأمراء والولاة وذوي اليسار لمجرد كلمات يقولونها لا يبذلون فيها سوى التنميق والزخرفة.
وثالثة القضايا: هي هذه الثقافة النقدية التي تميز بها الخليفة عمر؛ وعهدنا بالخلفاء أنهم مشغولون دائمًا بالأمور السياسية والعسكرية والاجتماعية وتدبير أمور الرعية، أما الأمور النقدية والأدبية فتأتي على هامش اهتماماتهم، غير أن عمر بن عبدالعزيز قد أطلق مجموعة من الأحكام النقدية على ثلة من الشعراء: كعمر بن أبي ربيعة والفرزدق والأخطل وجميل وجرير تدل على غوص في أعماق شعر الشاعر، وتذوّق للمليح والقبيح من شعره، وترجيح للمعيار الأخلاقي في المعاني الشعرية، وهو معيار يتساوق مع كامل شخصية الخليفة ووجهة نظره في الحياة والسلوك.
هذه كلمات عجلى ما أزعم أنني حلّلتُ فيها القضايا الثلاث بالتفصيل، ولكنها نظرة طائر، ولو استقصيت ما تسمح به قصتنا هذه لتجاوزت القدر المسموح لي به من صفحات في هذه الزاوية، وآمل أن أتناول كل ما تجود به القصة من أفكار في موضع آخر إن شاء الله.

الهوامش

١- العقد الفريد لابن عبد ربه ٩١/٢ وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ٧٨.
٢- العَنْس: الصلبة من الإبل.
٣- العتيق: البيت الحرام في مكة.
٤- الشَّمول: الباردة من الخمر التي هبّت عليها ريح الشمال.
٥- ديوان جميل ص ٥١.
٦- ديوان جرير ص٥٥١.
٧- ديوان جرير ص ٢٧٥.
٨- طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم ص٤٠.
٩- العمدة لابن رشيق١. ص١٨٠.
١٠- العمدة لابن رشيق١. ص ١٨٠ - ١٨١.
١١- الأدب المفرد ص١٤٩

المقالة العلمية
أهميتها ومنهج كتابتها

د. الصادقي العماري

المقالة العلمية صنف من الكتابة الصحفية، يتناول عرض وشرح قضية أو نظرية أو حقيقة خاصة بميدان من ميادين العلوم الطبيعية أو علوم الأحياء، وما يتفرع منها، مما صار يطلق عليه العلوم التجريبية أو المحضة، من كيمياء، وفيزياء، وفلك، وطب، ورياضيات تطبيقية، وتقانة (تكنولوجية)، وذلك في عدد محدود من الصفحات، وتصميم مضبوط، ولغة ميسرة.

كان ظهور المقالة العلمية مواكبًا لظهور المجلات والجرائد، وصارت أكثر رواجًا مع تطور الصحافة والتوسع في انتشارها، وتعميم التعليم، وازدهار البحث العلمي والرقي الفكري، وهناك عاملان أساسيان ساعدا على بروز المقالة العلمية في الكتابة العربية الحديثة هما:

- التأثر بالكتابات الأجنبية فيما يخص هذا النمط، بحكم السبق في البحث العلمي الحديث، وفي ميدان الصحافة الذي حققته الدول الغربية.

- الاطلاع على الجهود التي بذلها أسلافنا من العلماء العرب والمسلمين في التصنيف العلمي، خاصة تلك الكتابات التي تقرب من المقالة العلمية أو تطابقها، وبعض هذه الكتابات أطلق عليه أصحابه لفظ مقالة مثل ما فعله جابر بن حيان المتوفى (ت:٢٠٠هـ)(١)، في كتابه (الخواص الكبير)، المعروف بالمقالات الكبرى والرسائل السبعين، وهو أهم كتبه في الكيمياء، قسمه إلى عدة مقالات، ويريد بلفظ مقالة ما يفهم من كلمة «باب أو فصل» من الكتاب، وهذا ما فعله أيضًا أبو بكر الرازي المتوفى (ت: نحو ٣٢٠هـ(٢)، الذي يعني بلفظ مقالة تأليفًا صغير الحجم ، وفي موضوع محدد، وهذا المعنى يطابق مفهوم «المقالة» إلى حد كبير، كما هو معروف حديثًا، ولولا ما يلاحظ أحيانًا من طول، مما يجعلها أقرب إلى مفهوم البحث. ومن مقالاته «مقالة في الجدري والحصبة».

كما نجده أيضًا يستعمل المقالة في موقع الفصل من الكتاب، حيث قسم كتابه «المنصوري» في علم الطب والتشريح والتشخيص وفي الأدوية والأغذية وحفظ الصحة وغير هذه الموضوعات إلى عشر مقالات.

كما أن لابن الهيثم (ت:نحو ٤٣٠هـ(٣)، تأليفًا عنوانه: «مقالة في التحليل والتركيب» وآخر عنوانه: «مقالة في استخراج سمت القبلة».

لم يشع استعمال لفظ «مقالة» قديمًا لدى العلماء فقط، ولكن اتخذه المؤلفون عنوانًا لمصنفاتهم الأدبية واللغوية والفكرية عمومًا.

تلك نبذة عن لفظ مقالة في التراث، فكيف ارتبطت بالمادة العلمية؟ وما الدافع إلى اتخاذ العلماء هذا النمط من الكتابة لموضوعاتهم العلمية في عصرنا؟ وما مميزات المقالة العلمية في موضوعها وحجمها وخصائصها الأسلوبية وبنائها؟ وما الأهداف المتوخاة منها؟. هذه الجوانب هي ما سنتناوله في هذه الدراسة الموجزة.

تنامي العلوم وتفرعها

ما فتئ الإنسان منذ أقدم العصور يحاول تفسير الواقع من حوله مسخراً في دأبه المتواصل إمكاناته الحسية والعقلية وما توصل إلى ابتكاره من أدوات، يكتشف بملاحظاته وتجاربه، فيضع القواعد والقوانين التي تخضع لها الطبيعة بما أودعه الله فيها وما جعل فيها من أسرار، فكأن الإنسان، بفضل ما زوده الله به من عقل ودوافع، يسعى لمعرفة الحقائق بقدر طاقته، وكل ذلك من أجل إثبات ذاته، إذ هو سيد المخلوقات، وجلب المنافع التي توفر له حاجاته المادية وتحقق له سعادته الروحية، فانبثقت عن تلك الجهود مختلف العلوم التي ظلت في تنامٍ وتفرّعٍ مستمرين.

ومن نافلة القول التذكير بشمولية النظر إلى الكون ثم كيف صار الإنسان يجزئ ويحصر اهتمامه في هذا المجال أو ذاك، فكانت الفلسفة بنظرته العامة، وكانت العلوم باهتمامه الجزئي.

وكلما اكتمل علم بحصر موضوعه ومنهجه استقل. وهكذا عرفت علوم مستقلة منذ القديم، استقل الطب على يد أبقراط، والرياضيات بجهود إقليدس وفيثاغورس، والميكانيكا على يد أرخميدس، وكان ذلك في القرن الثالث قبل الميلاد، وفي بداية العصر الحديث استقل علم الفلك على يد كوبيرنيك Copernicفي القرن السادس عشر الميلادي، وكبلر Kepler وكاليليوGalileo، وازدهرت الفيزياء في القرن السابع عشر الميلادي على يد كل من ب. باسكال B. pascal وهوينغنيزhuyghnes ثم الكيمياءفي القرن الثامن عشر الميلادي مع لافوازييهLavoisier، ثم علوم الأحياء في القرن التاسع عشر مع بيشا Bichat وبلانفيل Blainville، ثمّ قامت

حركات وجهود تم بها استقلال العلوم الإنسانية والاجتماعية(٤).

هذه الريادة المنسوبة إلى علماء الغرب في حاجة إلى تصحيح واستدراك، وليس هنا مجال ذلك، فقد اعتاد مؤرخو العلم الحديث ألا يلتفتوا ـ في الغالب ـ إلى إنجازات علماء العرب والمسلمين وما لهم من قدم سبق؛ مع أنه ثبت بالبرهان القاطع أنهم كانوا أسبق إلى وضع قوانين ونظريات علمية ومناهج لتحديد ميادين البحث وطرقه لكثير من العلوم، فنظريات ابن الهيثم والبيروني وابن النفيس وغيرهم، قد استفاد منها علماء الغرب دون أن يعترفوا بذلك. أما ما كتبوه عن المناهج الاستقرائية والاستنتاجية والتجريبية الميدانية فقد كانوا أسبق إليها من ديكارت وفرانسيس باكون بآماد طويلة.

هذه العلوم بفروعها المختلفة وماينجز في كل الجهات والدول هي التي صارت موضوعات للمقالة العلمية. إذ لما كانت المعرفة العلمية مطلبًا ملحًا من لدن جمهور المتعلمين من قراء المجلات والصحف، ولما كان العصر الحديث عصر تعميم المعرفة العلمية التي غدت ذات أهمية بالغة في حياة الناس، مثلها في ذلك مثل الأخبار السياسية والأحداث والوقائع الطارئة والمقالات السياسية الوطنية والصراعات الحزبية، وغير هذه مما يعج به العالم، فقد انبرى العلماء لسد هذه الحاجة وتلبية هذا المطلب إشباعًا لرغبات الناس، وتطلعًا من الدول والجمعيات لترقية المواطنين والرفع من مستواهم العلمي كما هو الشأن في سائر الميادين، ولعلهم اهتموا بذلك لأن المقالة العلمية موجهة في الأساس إلى غير المتخصص.

ميادين المقالة العلمية وأصنافها

يمكن أن نجمل الميادين التي استأثرت باهتمام كتاب المقالة العلمية في نطاق الدوائر الكبرى الآتية:ـ

ـ الإنسان والحيوان والنبات والحشرات المرئية والمجهرية وغير المجهرية ـ الفيروسية.

ـ الفلك والفضاء الخارجي والطقس.

ـ الأرض وطبقاتها وسطحها (الجبال والبحار والأنهار والصحارى والغابات والمياه الجوفية والمعادن والزلازل والبراكين).

ـ الصناعات الآلية والغذائية والدوائية ومختلف الاختراعات التكنولوجية والإلكترونية.

من الملاحظ أن كل دائرة تتفرع إلى عدة فروع ليس هنا مجال استيفائها وتتبع تفريعاتها.

أما أهم أصناف المقالة العلمية فيمكن إجمالها في الأصناف الآتية:

ـ مقالة تاريخ العلوم، حيث يتم عرض تطور نظرية أو اختراع أومجال من مجالات العلم كتاريخ الطب أوالكيمياء أو الفيزياء أو تاريخ دواء أو مرض من الأمراض.

ـ مقالة الأمراض المعدية أو غير المعدية، وأعراضها ومضاعفاتها، ومخاطرها ، وكيفية الحد منها أو التطعيم ضدها، أو التعرض للآفات التي تصيب صنفًا من النبات أو الحيوان

ـ مقالة الإسعافات الأولية من حروق أو جروح أو صدمات أو صداع مما يتعرض له الإنسان بكيفية مفاجئة.

ـ مقالة منافع أو مضار بعض الأعشاب أو النباتات أوالثمار من فواكه أو خضار، كمنافع العنب أو الثوم أو الطماطم أومضار الفلفل الحرِّيف أو التوابل.

ـ مقالة منافع أو مضار بعض المنتوجات الحيوانية كالعسل أو الشحوم أو الزبد أو اللحوم الحمراء أو البيض أو الأسماك.

ـ مقالة عرض الكتب العلمية بكيفية مبسطة تقرب محتوياتها إلى القارئ.

ـ مقالة الأخبار العلمية والاختراعات الجديدة.

ـ مقالة التعريف بالمصطلحات العلمية وشرح دلالاتها.

ـ مقالة الدفاع عن تعريب العلوم في المستويات الدراسية الجامعية والمهنية، واقتراح الحلول لمواجهة المشكلات التي تعترض تحقيق هذا المطمح العربي القومي.

ـ مقالة البرهان على تطابق القرآن الكريم أو الحديث النبوي مع ما وصل إليه العلم في مختلف مجالاته لإثبات الإعجاز العلمي لمصدري الشريعة والعقيدة.

وهناك أصناف أخرى أقل حضورًا مما ذكر مثل ما يتعلق بالزلازل والبراكين والفضاء والأفلاك والمعادن، وغير هذا ممايطول تتبعه في هذا المقام. على أن هناك قضايا كبرى في المجالات العلمية صارت تحظى باهتمام كتاب المقالة العلمية، وتكاد لا تخلو مجلة أو صحيفة من مقالة عنها مثل ما يأتي:

ـ مشكلات تتعلق بالطبيعة خاصة، مثل ثقب الأوزون، والتلوث ومشكلات الطاقة، وانقراض بعض أصناف الكائنات الحيوانية والنباتية، وتضاؤل الموارد الطبيعية، وجوائح الجفاف والقحط وزحف الصحارى وقلة المياه وتقلص مساحة الغابات.

ـ في مجال الصحة البشرية أو الحيوانية كظهور أمراض غير ما استطاع العلم إيجاد أدوية أو لقاحات له فيما سبق، من هذه الأمراض السرطان والإيدز أوالسيدا (فقدان المناعة الطبيعية) وأنواع من الأوبئة كجنون البقر. وما صار يظهر في بعض المناطق من حين لآخر من أنواع الحمى القاتلة.

ـ تهديد السلم العالمي وسلامة الكائنات والطبيعة، من ذلك الأسلحة الفتاكة كالقنابل النووية والكيماوية والعنقودية وأسلحة الدمار الشامل.

ـ بذل الجهود لتفادي الآفات التي تلحق الكوكب الأرضي والبحث عن سبل لتكثير المواد الغذائية، وإيجاد سلالات حيوانية ونباتية أكثر عطاءً ونموًا بما عرف بالهندسة الوراثية لسد الحاجات المتزايدة، واستنبات نباتات تتحمل عوامل الطقس الجاف والحار والبادر.

ـ الطموح لمزيد من اكتشاف الكون أوالفضاء الخارجي، أو التطلع إلى السيطرة على الكواكب، والتطور العظيم في مجالات التواصل عن طريق الشبكات الفضائية والكواكب الاصطناعية.

هذه القضايا أو المشكلات والتطلعات هي التي صارت مدار اهتمام المقالة العلمية، وبخاصة كتّاب الدول الغربية، وعلى كتّاب المقالة العلمية في المجلات العربية ألايتخلفوا عن الركب، وبصورة أكثر الحاحًا تلك القضايا والمشكلات التي تهم الأقطار العربية.

لو استعرضنا أغلب ماكتب من مقالات علمية منذ بداية هذا القرن العشرين لتبين لنا أمران:

ـ ما حققه العلم من تطور كبير، وما توصل إليه الإنسان من اكتشافات.

ـ الانشغالات التي اهتم بها الناس من الوجهة العلمية عبر عقود هذا القرن، مما يعطينا صورة عن التفكير العلمي.

أهداف المقالة العلمية

أما أهداف المقالة العلمية، فإن كتّابها، على اختلاف الموضوعات التي يعالجونها، يتوخون بلوغ المقاصد الآتية:

ـ المقالة العلمية تمد القارئ غير المتخصص بزاد علمي يغني ثقافته، ويوسع مداركه، وذلك من شأنه أن يجعله مواكبًا لما يجدُّ في المجالات العلمية، ويطرأ من اكتشافات واختراعات في عصر يسير فيه البحث العلمي بوتيرة سريعة لم يُعرف لها نظير فيما سلف. ويُعدّ عصرنا هذا أغنى العصور علميًا، حيث علت فيه مكانة العلوم التجريبية، وصارت حياتنا الحالية في كل مجالاتها، حتى أيسر الأمور فيها، متوقفة على المعرفة العلمية، مما جعل هذه الفترة، وخاصة العقود الثلاثة الأخيرة، تنعت بنعوت من قبيل عصر السبيرنتيكا، أو عصر الاتصالات الفضائية والإنترنت، وما إلى ذلك، بعد أن كانت في العقود السابقة يطلق عليها

عصر البخار أو الآلة أو عصر الذرة أو الصواريخ.

لقد بالغ الإنسان في بعض تصرفاته العلمية إلى درجة التطرف مما أدى إلى ظهور نداءات صارخة من مفكرين كثيرين تنادي بضرورة الحد من الغلو، ورجوع الإنسان إلى ذاته، والتفكير في وجوده وفي الطبيعة وصلاح الكوكب الأرضي وما يتصل به، والإقلاع عن السلوك الذي أحال بعض رجال العلم إلى عقول تخلت عن الأخلاق واستحضار القيم الروحية، واشتد طغيان الشره لدى بعض السياسيين والعسكريين إلى التسلط، وتطلع الشركات الكبرى إلى مزيد من الأرباح والثروات دون إعارة أي اهتمام لمصير الإنسان.

نظرًا لكل هذا فإن للمقالة أهمية كبرى في حياتنا، فهي تساهم بنصيب وافر في نشر الوعي العلمي لدى عموم القراء غير المتخصصين، وتنبه إلى المخاطر المحدقة بالإنسان وبالجو والمياه والكائنات الحية من حيوان ونبات، وكل ذلك من أجل ترسيخ مبادئ وقيم تنأى بالإنسان عن الأطماع الزائدة والشره الأعمى الذي أنسى الإنسان نفسه، ومن أجل تكوين رأي عام ليصير قوة تقنع مَنْ بيدهم القرار لإعادة عجلة الحياة إلى الجادة، وإقامة التوازن بين العلم والأخلاق والقيم الروحية، بحيث تصرف كل الجهود العلمية لخير البشر وصلاح أحوالهم، وهذا التوجه أكثر بروزًا في المقالة العلمية في الدول الغربية، وقد أثر بالفعل في قطاعات واسعة، ومصداق ذلك ظهور جمعيات وتكتلات تجهر بالتذمر من التسابق العلمي المدمِّر، مثل جماعة الخضر وأنصار البيئة. وكان النداء بتوقيف التجارب النووية والتخلص من أسلحة الدمار، والكف عن التجارب الكيماوية التي تقضي على العناصر الحية الضرورية للحياة. ومنذ وقت مضى أخبر عالم الفيزياء النووية ماكس بورن: بأن تلاميذه قد فجروا القنبلة النووية التي تسببت في وفاة مئة وخمسين ألف نسمة في مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين، فعلّق على هذا الحدث بقوله: يؤسفني أنني علمتهم العلم ولم أعلمهم الأخلاق»(٥)

- تعويد قارئ المقالة العلمية التفكير المنطقي السليم وتنمية هذه النزعة بما يسلكه كاتب المقالة العلمية من منهج في تقديم المادة العلمية، حيث يتم ذلك بطرق العرض والاستقراء والاستنتاج، والتدرج في تقديم الحقائق العلمية وإماطة الحجب عن أسرار الظواهر، مما يؤدي إلى الاستنارة بالعقل وبالحجة والبرهان، وفي هذا محاربة للعقلية الخرافية والشعوذة، وتقوية الإيمان بالله بإظهار قدرته في مخلوقاته وما أودعه بحكمته من أسرار دالة في الكون والطبيعة.

- إغناء المحصول اللغوي للقارئ بما يرد في ثنايا المقالة العلمية من التعابير والمصطلحات الضرورية والرائجة والتي لا يصح أن يجهلها أي متعلم في عصرنا، وبيان مدلولاتها ليتيسر استيعابها، سواء ما كان قديمًا أم حديثًا، أو ما يعد عالميًا في كل اللغات.

من أجل أن يحقق كاتب المقالة العلمية المقاصد التي سلف ذكرها بيسر ونجاح، لا مندوحة له من أن يصدر عن مبدأ أساسي وهو: التجرد من النزعة الذاتية ، من عواطف وميول خاصة أو خيالات ، والتشبث بدل ذلك بالموضوعية والحياد لإيصال الأفكار والحقائق والنظريات العلمية إلى القارئ، ولهذا فإن المقالة العلمية يجب أن تتسم بخصائص في موضوعها، ومميزات في أسلوبها ومنهج في بنائها، ووسائل إيضاحية يستعين بها الكاتب.

خصائص المقالة العلمية

- من الضروري أن يكون موضوع المقالة العلمية محددًا أو محصورًا في نطاق لا يتجاوزه الكاتب، وأن يكون الموضوع ذا أهمية للقارئ في حياته الفكرية والعملية يهم الجانب الصحي أوالسكني أوالبيئي أو ما له علاقة مؤثرة وأساسية، أما الموضوعات المعمقة والجزئية فلا شأن للقارئ العادي بها. وموضوعها خاص بالأبحاث العلمية.

فالموضوع الذي يقبل عليه القارئ غير المتخصص ما كان من صميم حياته، يلامس واقعه ويستجيب لحاجته ويساعد على ترقية مداركه، فإذا كان موضوع المقالة العلمية بهذه الصفات تجاوب معه القارئ ووجد في نفسه حافزًا ملحًا على قراءته، وحتى يكون هذا الذي نسوقه منسجمًا مع واقع المقالة العلمية نذكر هنا بعض الموضوعات التي سبق أن نشرت في المجلات العربية:

«التعرض للشمس والحرارة»(٦) «الشيخوخة لها أمراض خاصة»(٧) «غرائب المخلوقات والحياة»(٨) «التدخين وأمراضه العشرون»(٩) «الاستخدام السيئ للمبيدات الكيماوية»(١٠) «مأساة انقراض الأنواع الحسية»(١١). من هذه العناوين تتبين لنا أهمية الموضوعات العلمية بالنسبة إلى القارئ غير المختص.

- من حيث أسلوب المقالة العلمية، فإن كاتبها لابد أن يولي عنايته انتقاء الألفاظ المؤدية للدلالة بدقة ووضوح، وعلى وجهها الذي وضعت له، وكذا اختيار المصطلحات العلمية المناسبة للحقائق والأفكار التي هو بصدد عرضها مع شرح هذه المصطلحات شرحًا يبين المقصود منها، دون إسهاب أوتعقيد، وقد تكون هذه المصطلحات عربية أصيلة أو معربة أو موضوعة مستحدثة، وقد تدعو الضرورة - أحيانًا - إلى الإبقاء على مصطلحات ذات صبغة عالمية في كل اللغات كالأكسجين، والهيدروجين، والنترون والأوزون. وهو في هذه الحالة مطلوب منه أن يأتي بما يقرب دلالتها الاصطلاحية بجملة أو أكثر دون تفصيل لا يستوعبه القارئ غير المتخصص. ومن الضروري أن نقف على مثال: يقول الدكتور سمير رضوان في مقالة علمية بعنوان: «احتضار البحار» (بحار الأرض ومحيطاتها مريضة، والأحياء البحرية يغتالها التلوث، لذلك فحياة الإنسان الذي يعتمد في جزء من غذائه على هذه الأحياء أصبحت مهددة. ويرفع التلوث من حرارة الجو فتتمدد المياه في البحار، ويرتفع منسوبها باستمرار، وقد تفضي هذه التغيرات البيئية يومًا إلى طوفان يغمر اليابسة ويغرقها)(١٢).

نلاحظ أن الكاتب قد اختار ألفاظه بعناية راعى فيها ما سبقت الإشارة إليه من سمات.

أما التراكيب فمن المألوف والمرغوب فيه أن تكون متّسقة ودون تقديم أو تأخير في بناء الجملة، حتى لا يؤدي ذلك إلى غموض أو التباس، كما أن المقام يقتضي أن تسلم التراكيب من الأخطاء اللغوية، وإذا عمد الكاتب إلى اقتباس قول أوفقرة من كاتب أجنبي، فلا مناص من أن يراعي في الترجمة طبيعة الجملة العربية، لأن الترجمة الحرفية تعوق القارئ عن الفهم.

يقتضي عرض المقالة العلمية عرضًا منطقيًا أن تقسم إلى فقرات، ثم لا بد من ترتيبها وفق النسق الذي يقتضيه سَوْق المعلومات، بحيث يقدم ما يستحق التقديم، ثم تأتي بعد ذلك المعلومات الأخرى.

بفضل هذا التنظيم المنطقي المنسجم مع تتابع المعلومات وتدرجها واختيارمواقعها، تبرز شخصية الكاتب، وما له من براعة في التنسيق والقدرة على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، ومدى تحكمه في المعلومات وتمكنه منها، كما تبرز شخصيته أيضاً في الأسلوب المتسم بالوضوح وصحة التعبير وخلوّه من كل غموض في لغته وتراكيبه، وفي هذا أيضًا يكمن جانب مهم من قيمة المقالة العلمية، إذ هي بالدرجة الأولى أفكار وحقائق محددة، وألفاظ دالة مباشرة أو اصطلاحية، وعبارات قوية وبناء متراص محكم.(١٣)

هناك أيضًا مظاهر أسلوبية في المقالة العلمية، يتوسل بها الكاتب لبلوغ غرضه لتقديم الحقائق والمعلومات وشرحها وهي:

اقتباس آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو مثل رائج أو بيت شعري أو قول مشهور، كما يلجأ إلى الإتيان بأمثلة أو تشبيهات، أو بعض التعابير المجازية مثل: التلوث يغتال الطبيعة، ويتسبب في مرض البحار. وقد تدعوه الضرورة إلى طرح تساؤلات ثم الإجابة عنها، أو اللجوء إلى اصطناع الحوار، أو الاستعانة بمقطع قصصي، وبهذا فهي لا تخلو من ملامح الأسلوب الأدبي.

من الوسائل التوضيحية أيضًا، تقديم إحصاءات وجداول ورسوم بيانية أو تشجيرية والإتيان بصور مختلفة الأحجام.

إن التعبير العلمي لا يختلف الناس في فهمه لأنه خلو من العواطف والخيال، وليس إيحائيًا بمعان غير ما يدل عليه ظاهر الألفاظ والتراكيب، ولا يقبل التأويل إذ ليست هناك دلالات إضافية غير ظاهرة.

بناء المقالة العلمية

للمقالة العلمية هيكل أو بناء يتجلى في العناصر الآتية:

- عنوان المقالة
- مقدمتها.
- جسمها
- خاتمتها.

لقد درج كثير من كتابها أن يكون العنوان واضحًا ينم عن المضمون ويثير انتباه القارئ، وليس من الضروري أن يكون مجازيًا أو رمزيًا مثل: «الأذن السحرية»(١٤) ليعني بذلك «الرادار» أو «الذهب الأبيض» بمعنى «الفوسفات»، ويراعي الكاتب أن يكون العنوان قصيرًا ما أمكن ذلك، أما من حيث دلالة الصياغة، فقد يكون إخباريًا مثل «التدخين وأمراضه العشرون»(١٥)، أو يكون تشاؤميًا مثل: «ماذا يخبئ المستقبل نحو اكتشاف الفضاء؟»(١٦) أو مثل «هل تفكر الحيوانات ؟»(١٧)، وقد يكون توجيهيًا مثل: «اضطجع على جنبك الأيمن»(١٨) أو مُلخِّصًا مثل: «الديموغرافيا»(١٩).

يغلب على المقدمة أن تحصر الموضوع، وتكون المنطلق الطبيعي له، ولا يحسن أن تطول أو تخوض في التفاصيل، وقد لا تتجاوز فقرة أو فقرتين حسب نوعية الموضوع.

أما جسم المقالة فهو الذي يُكوّن صلبها، يستوعب موضوع المقالة بفقراته المتتابعة على النحو الذي سبقت الإشارة إليه.

أخيرًا تأتي الخاتمة التي تتناول النتائج أو خلاصة المقالة بحيث يحس القارئ أنه قد خلص إلى نهاية ترضيه وتحقق المراد من الموضوع.

لنا أن نتساءل بعد هذا : هل تعد المقالة العلمية من ضمن الكتابة العلمية الخالصة؟ أم تعد من الكتابة الصحفية؟

إن كثيرًا من الذين ألّفوا في الكتابة الصحفية لا يتطرقون إلى المقالة العلمية، فهم يقتصرون في الغالب على تناول مقالة العمود الصحفي أو المقالة الافتتاحية، أو مقالة التعليق، أو الاستطلاع الصحفي، أو التقرير، وقد يلمون إلمامًا سريعًا بالمقالة النقدية أو الاجتماعية أو القصصية. (٢٠)

وذلك أن البعض ربما يرى أن مهمة كتابة المقالة العلمية من مهام العلماء في الاختصاصات المختلفة، ثم إن رجال الصحافة تغلب على اهتمامهم الأصناف المذكورة، أما الكتابات الأخرى كالمقالة الاقتصادية والقانونية والدينية والتاريخية والفلسفية والنفسية والتربوية ثم العلمية، فمن المألوف أن يتصدى لكتابتها المتخصصون من غير الصحفيين. الذين صارت الصحف الكبرى والمجلات الواسعة في انتشارها تعتمد عليهم في هذه الميادين الحيوية، ولهذا صارت كليات الصحافة والإعلام تولي اهتمامها لهذه التخصصات في برامجها، وتستقبل المتخصصين في ميادين العلوم الإنسانية والتجريبية ضمن من تهيئهم ليزاوجوا بين التخصص العلمي والتكوين الصحفي.

يجب ألا ننسى أن هذه الأصناف المقالية ليست بحوثًا في ميادينها، لأنها لا توجه إلى المتخصصين، ثم إنها محدودة من حيث الحجم ومن حيث الموضوع، إذ ليست ذات عمق لتغوص في نظريات وقضايا دقيقة، ولكن غايتها أن يتناول كتابها الموضوع برفق، ويكتفوا بما هو أقرب إلى الفهم والاهتمام العام، وعدم الاستغراق في المنهجية الصارمة والمعادلات والرموز العلمية، أو الأسلوب العلمي الصرف المختزل الصارم الدقيق الذي لا يفهمه إلا أهل الاختصاص.

إن المقالة العلمية ترتفع عن الحديث العادي ولا ترقى إلى لغة البحوث، إنها في موقع وسط يستجيب لهدفها والموجهة إليهم. لهذا فإن كُتّاب المقالة العلمية هم علماء متعمقون في اختصاصاتهم إلا أنهم يمتلكون إلى ذلك، مقدرة فائقة لتبسيط المعلومات، فهم يقربون البعيد وييسرون الصعب، وهذا يتطلب امتلاك ناصية اللغة التواصلية المباشرة، لا تلك اللغة العاطفية الإيحائية والتأثيرية، ولكنها لغة للفهم يخاطبون العقول بها في المقام الأول، وفي حيز محدود.

بهذا العرض الموجز تتبين لنا أهمية المقالة العلمية في واقعنا الحالي الذي يوصف بأنه واقع علمي، ولكن نتطلع أن يكون إلى جانب ذلك واقعًا أخلاقيًا ودينيًا وأدبيًا نشدانًا لسعادة الإنسان، وتعميم السلام والإخاء والتعاون انسجامًا مع قيمنا الخالدة التي يدعو إليها ديننا الحنيف.

فعلى كُتّابنا أن يعمقوا هذا التوجه، كلٌ في ميدانه، حتى تحقق أمتنا ما هي جديرة به ولتكون - كما أراد الله لها - خير أمة أخرجت للناس.

الهوامش:

١- جابر ابن حيان. د. زكي نجيب محمود - أعلام العرب (٣): الناشر مكتبة مصر: بدون تاريخ، ص١٥، ٢٩، ٣٥.
٢- تاريخ الفكر العربي. د. عمر فروخ. دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م - ص٣١٥- ٣١٦.
٣- المرجع السابق. ص٤٢٧ - ٤٢٨، انظر أيضًا. الحسن بن الهيثم لأحمد سعيد الدمرداش. أعلام العرب (٨٥)، دار الكاتب العربي القاهرة، ١٩٦٦، ص٢٩ - ٦٦.
٤- الفلسفة ومشكلات الإنسان. د. رضا سعادة. دار الكتاب اللبناني بيروت.ط١، ١٩٩٠م، ص٣٤، انظر دروس في الفلسفة تأليف جماعة دار النشر المغربية، الدارالبيضاء، ١٩٦٦م ص١٥، ١٦.
٥- مجلة الفيصل العدد ٢١٠، ذو الحجة ١٤١٤هـ/أغسطس ١٩٧٥م. مقالة «العلم والأدب» د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي، ص١٠٠.
٦- د. محمد محمد أبو شوك. العربي العدد ٢٠١، أغسطس ١٩٧٥م ص١٠٦- ١٠٩.
٧- للكاتب نفسه. العربي. العدد ١٥٨، يناير ١٩٧٣ ص١١١- ١١٨.
٨- د. عبدالمحسن صالح، الفيصل. العدد١٩٧٨/١١م،ص١١٥ - ١٢٠.
٩- د.مصطفى السمري. الفيصل، العدد ١٩٩٣/٢٠٤م، ص٧٥-٧٩.
١٠- د. خالد على الرويشدي. الفيصل. العدد١٩٩٤/٢٠٥م، ص٨٧ - ٩٠.
١١- درويش إبراهيم يوسف. الفيصل. العدد٢٠٦ /١٩٩٤م، ص٨٢ - ٨٥.
١٢- د. سمير رضوان. العربي. العدد ١٧٣/أكتوبر١٩٨٩م، ص١٩١.
١٣- الأسلوب للأستاذ أحمد الشايب. مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط٧، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص٥٧، ، ٦١/٩٣- ٩٥.
انظر أيضًا كتاب: المدخل في فن التحرير الصحفي. د. عبداللطيف حمزة. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، ص١٤١- ١٥١.
١٤- المرجع نفسه، ص١٤٧.
١٥- د. محمد مصطفى السمري، الفيصل. العدد١٩٩٣/٢٠٤م ص٧٥.
١٦- درويش إبراهيم يوسف. المجلة العربية (السعودية) العدد١٩١.ص٧٨.
١٧- د. محمد نبهان سويلم. الفيصل العدد ١٩٩٤/٢٠٥م، ص٨٢.
١٨- د. ظافر العطار، العربي، العدد٢٠٥، ديسمبر. ص٥٠.
١٩- د. محمد على الفرا. العربي. العدد ١٥٣ أغسطس ١٩٧١، ص٢٠.
٢٠- انظر مثلاً: فن المقال الصحفي، د. عبدالعزيز شرف، دار المعارف كتابك (١٣٥)، ١٩٩١م ، فن تحرير الصحف الكبرى، د. فهمي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٢م. مدخل إلى لغة الإعلام جان جبران كرم. دار الجيل، بيروت ١٩٨٦م، هؤلاء لم يلتزموا المقالة العلمية، واكتفوا بالأصناف المشار إليها مما اعتاد المؤلفون في الكتابة الصحفية الحديث عنه. في حين نجد أن الكتب الأجنبية تتطرق إلى المقالة العلميةمثل:
The Magazine Article how to think it plan it write it.هذا الكتاب للمؤلف بيتر جاكوبي Peter Jacopi انظر عرضًا عنه، لياسر الفهد. الفيصل. العد٢١/ ١٩٩٤/١٤١٤ ص١٠٧، وهناك كتاب آخر لماكس جنثر وعنوانه: WITTING THE MODERN MAGACINE ARTICLEوحلله. ياسر الفهد في الفيصل العدد٣٨، ١٤٠٠/ ١٩٨٠. ص٨٣.

البريد الثقافي

هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة - وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر - ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهراً للغضب، وبالعفة تؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س «الحوار الحضاري»، بين الإسلام والغرب يحتل بؤرة الاهتمام في عدد كبير من وسائل إعلامنا، أليس الأجدى أن نتناول قبل ذلك الحوار الحضاري بين المسلمين أنفسهم ؟

إبراهيم صقر الرشودي
الكويت

VIA AIR MAIL
PAR AVION

بلى. لى الأقل من الناحية المبدئية يجب أن نتحاور نحن المسلمين فيما بيننا قبل أن نتجه إلى الآخرين سواء أكانوا غربًا أم شرقًا. وأسباب هذا عديدة وملحة، إذ إن ذلك على أغلب الظن سوف يجعل من المسلمين قوة عالمية قادرة على الدخول في حوارات مع أطراف أخرى، وتكون قدرتهم هنا متعددة الأوجه، أهمها القدرة على الاستمرار في الحوار من طرفهم أو تركه إن كان في ذلك وجاهة.

والحوار بين المسلمين ضرورة، لأن المسلم الحق يعلم أن قوته الحقيقية هي في قوة المسلم الآخر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ما نراه اليوم في الساحة الدولية وبمنتهى الوضوح هو عداء سافر للإسلام كأيديولوجية وكدين ونظام حياة بعد أن نجح الصهاينة في توجيه الإعلام العالمي، خاصة في الغرب، نحو هذا العداء، فأصبح قتل يهودي في حادث وُجد فيه بعض العرب أبشع عند الشارع الغربي من قتل مئات بل آلاف العرب أو المسلمين في هجمة منظمة يقوم بها أي طرف، سواء أكان ذلك الطرف يهوديًا أم أمريكيًا أو إفريقيًا كما رأينا من هجمات الأمريكيين على ليبيا والعراق مثلاً، ومن اليهود على الفلسطينيين واللبنانيين، ومن أطراف إفريقية عديدة على السودان. وأشد ما رأينا بشاعة هو ما يفعله الصرب الآن بالمسلمين في قلب أوربا تحت أعين وسمع العالم كله. هذا غير ما سجله التاريخ الحديث مما فعلته الشيوعية في الاتحاد السوفييتي المنحل بالمسلمين هناك.

ثم إن الحوار بين المسلمين هو الأحق بالبداية لأن عدوهم الذي يسعون للحوار معه لا يفرق بينهم كمسلمين. فالغرب يعمل بشكل منظم لإنهاك المسلمين وتفريقهم واستنزاف مواردهم بأساليب مختلفة. فمرة يُدخِلهم في حروب مع جيرانهم، ومرة يُدخلهم في معارك مع أنفسهم، أي بين الدول الإسلامية، ومرة يثير الفتن والصراعات الداخلية في بلادهم وهكذا. ثم، وهو الأخطر، إن هذا العدو يغزو الجانب الاقتصادي الإسلامي بعنف، فهو يفرض مرة ضرائب على وارداته من النفط بوقاحة عجيبة، ثم هو يتلاعب بتكتل غير شريف بأسعار النفط الذي يمثل عصب التنمية والحياة في دول إسلامية كثيرة. ثم نجده يلعب على وتر ما يسميه بالديموقراطية في دول إسلامية كثيرة أيضًا حتى يرفع عملاءه إلى السلطة كما حدث في تنزانيا وأرتيريا وغيرها، ويحدث الآن بشراسة في نيجيريا.

لقد قال الكاتب اليهودي الأصل صموئيل هنتجتون في مقالته صدام الحضارات المنشورة في دورية «ينورين أفيرز»، والتي استشهد بها الدكتور مصطفى السعدني في عدد جريدة الأهرام الذي صدر يوم ٥ يونيو/حزيران ١٩٩٨م، قال هذا الكاتب: «إن الصراع في العالم سيكون صراعًا بين الحضارات بدلاً من كونه صدامًا لأيديولوجيات. والصدام متوقع بين الغرب والحضارتين الإسلامية والكنفوشيوسية على وجه الخصوص». وأنا أزعم في هذا السياق أن الغرب لا يخشى كثيرًا تأثير الحضارة الكنفوشيوسية على مستقبله

وذلك لمحدوديتها وانغلاقها، في حين أن الحضارة الإسلامية تمثل بصدق تحديًا جادًا لهؤلاء الذين يسعون للسيطرة على مقدرات الشعوب ومصائر الأمم.

إن الحوار، أي حوار، يفترض أن يكون بين أطراف تتسم ببعض التكافؤ ولا نقول كل التكافؤ، على الأقل في المقومات الأساسية التي تجعل من الحوار حوارًا وليس إملاء شروط أو إعطاء نصائح، إذ إن الإسلام يقضي بأن يكون المسلم عزيزًا كريمًا، وللمسلمين الحق - كل الحق - في أن يسمع العالم لهم صوتًا لا أن يُحاربوا وهم يسعون بكل الإخلاص إلى ما يسمى بالحوار.

د. عبدالفتاح حسن

أبداً إنّ ما يدعونه بالحوار الحضاري بين الإسلام والغرب حوار قائم بين قويّ وضعيف .

وإذا كانت هناك نتيجة من هذا الحوار فإنها ستكون الانقياد التام والخضوع المطلق من الضعيف للقويّ.

إنّ المسلمين في واقعهم اليوم قد بعدوا عن دينهم، وخالفوا أوامر ربهم في كثير من شؤون حياتهم، فكان أن تخلفوا عن ركب الحضارة علميًا واقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا.

لقد أمرهم ربهم بأن يُعدّوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة، فقعدوا عن ذلك وخالفوا أمره، فآلت أوضاعهم إلى ما هم عليه، يقول الله تعالى: وأعِدّوا لهم ما استطعتم من قوة. الأنفال: ٦٠، وهذا النص دال على العموم، فهم مطالبون بإعداد القوة في شتى جوانبها.

ومن هذا الحوار بين الغرب والمسلمين (الحوار المسيحي الإسلامي)، والذي يتابع هذا الحوار يجد أنه كان موظفًا لخدمة أغراض سياسية بحتة. وقد بدأ هذا الحوار في وقت مبكر، وإني لأذكر أن مؤتمرًا عقد في بحمدون اللبنانية أواخر الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات من القرن الميلادي الحالي، وحضر هذا المؤتمر عدد من علماء المسلمين وعدد من رجال الكنيسة في الغرب، فتبين لمن حضر من أهل الوعي أن أغراض المؤتمر بعيدة عن المعاني الدينية، وأذكر أنه كان من بين العلماء الشيخ مصطفى السباعي - رحمه الله - الذي خرج من المؤتمر وفضح أهدافه المغرضة، وأعلن ذلك في الصحف.

ولا يزالون يعملون على متابعة هذا الحوار وغيره لخدمة أغراضهم المشبوهة.

وإني لأرى الحق مع السائل الكريم الذي يقول: أليس الأجدى أن نتناول قبل ذلك الحوار بين المسلمين أنفسهم؟!

أجل.. إن ذلك الحوار أجدى وأولى، وهو الذي يجب أن يكون، وإذا أردنا أن يكون الحوار بين المسلمين نافعًا فلابد أن يكون من ضمن دائرة الأصلين الأساسيين اللذين يقوم عليهما الإسلام وهما: الكتاب والسنة. وعندئذ فسيقوم هذا الحوار بين الاتجاهات الإسلامية التي لا تخرج عن هذا الإطار.

ولابد أن يتحقق شرط آخر وهو أن يكون عند أصحاب كل اتجاه الاستعداد التام للتخلّي عن آرائهم إذا تبين لهم غلطها ومخالفتها للكتاب والسنة أو للمصلحة، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا خلع كل واحد من المتحاورين ثوب التعصب، أو صدق في رغبته في الوصول إلى الحق.

إن اختلاف الناس أمر لا مفرّ منه، ولكن لا يجوز أن يُصعَّد هذا الاختلاف حتى يصل إلى درجة القطيعة أو العداوة، فاختلاف الرأي لا يفسد للود قضية، كما يقولون.

إن الحوار بين علماء المسلمين ومفكريهم ودعاتهم ينبغي أن يكون ملتزمًا مبدأ الوصول إلى الحق. ولله در الإمام الشافعي - رحمه الله - الذي كان يقول: ما ناظرت أحدًا إلا دعوت الله أن يظهر الحق على يديه.

إن المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى أن يتوحدوا، لأن الحرب التي توجه إليهم وإلى دينهم حرب شرسة مدمرة، قد استحدثت أحدث ما وصلت إليه التقنية في الحضارة الحديثة.

وهذه الوحدة التي يتطلع إليها الواعون من المسلمين لابد أن يسبقها حوار بناء يجمع القلوب والأفكار، ويمهد لتلك الغاية المرجوة.

إن وجودهم مرتبط بذلك.. بل إننا لنعتقد أن مصلحة البشرية كلها في أن تسود القيم المثلى التي جاء بها الإسلام.

هذه البشرية المعذبة التي تلقى أنواعًا من الظلم ومن الطغيان تحت شعارات كاذبة خادعة.

إن بقاء الإسلام بعيدًا عن قيادة ركب العالم سيقضي على البشرية بالدمار المحقق.

إننا نعتقد جازمين - وأمامنا حقائق التاريخ وأمامنا الواقع المؤلم - أن سعادة الدنيا مرتبطة بتقدم المسلمين وسيادة مبادئهم.

والمسلمون، إن اتحدوا، قوة عظيمة ذات شأن كبير، فعددهم كثير وثروات بلادهم هائلة، ويقيمون في منطقة استراتيجية.

سدّد الله الخطى، وهو سبحانه ولي التوفيق.

د. محمد بن لطفي الصباغ

ليست كل تسوية قياسًا!



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

المقدمتان ونتيجتهما عند أهل المنطق قياس وبرهان، ولم أر أحدًا سمى ذلك بالقياس الشمولي قبل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وإذا حكى شيخ الإسلام الخلاف في القياس بين العلماء قبله، فإنه يذكر المذاهب وفق اصطلاحه هو. قال: «وقد تنازع الناس في مسمى القياس، فقالت طائفة من أهل الأصول: هو حقيقة في قياس التمثيل، مجاز في قياس الشمول كأبي حامد الغزالي، وأبي محمد المقدسي، وغيرهما.

وقال طائفة: بل هو بالعكس: حقيقة في الشمول، مجاز في التمثيل كابن حزم وغيره.

وقال جمهور العلماء: بل هو حقيقة فيهما، والقياس العقلي يتناولها جميعًا. وهذا قول أكثر من تكلم في أصول الدين، وأصول الفقه، وأنواع العلوم العقلية. وهو الصواب، وهو قول الجمهور من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم كالشيخ أبي حامد، والقاضي أبي الطيب، وأمثالهما، وكالقاضي أبي يعلى، والقاضي يعقوب، والحلواني، وأبي الخطاب، وابن عقيل، وابن الزَّاغُوني، وغيرهم، فإن حقيقة أحدهما هي حقيقة الآخر، وإنما تختلف صورة الاستدلال.

والقياس في اللغة تقدير الشيء بغيره، وهذا يتناول تقدير الشيء المعيّن بنظيره المعيّن(١) وتقديره بالأمر الكلي المتناول له ولأمثاله؛ فإن الكلي هو مثال في الذهن لجزئياته؛ ولهذا كان مطابقًا موافقًا له»(٢).

قال أبو عبدالرحمن: أما مذهب أبي حامد الغزالي، فهذا نص كلامه: «أما قول من قال في حد القياس: إنه الدليل الموصل إلى الحق أو العلم الواقع بالمعلوم عن نظر، أو رد غائب إلى شاهد: فبعض هذا أعم من القياس، وبعضه أخص، ولاحاجة إلى الإطناب في إبطاله. وأبعد منه إطلاق الفلاسفة اسمه على تركيب مقدمتين يحصل منهما نتيجة، كقول القائل: كل مسكر حرام، وكل نبيذ مسكر، فيلزم منه أن كل نبيذ حرام. فإن لزوم هذه النتيجة من المقدمتين لا ننكره، لكن القياس يستدعي أمرين يضاف أحدهما إلى الآخر بنوع من المساواة؛ إذ تقول العرب: لا يقاس فلان إلى فلان في عقله ونسبه، وفلان يقاس إلى فلان، فهو عبارة عن معنى إضافي بين شيئين(٣).

قال أبو عبدالرحمن: من المسلم لأبي حامد ـ رحمه الله ـ أن تعريف القياس بأنه الدليل الموصل إلى الحق غير صحيح من جهتين:

أولاهما: أنه خارج مفهوم القياس لغة. وكل اصطلاح لا يتعلق بمعنى المادة لغة لا يكون صحيحًا. فليس العيب أن هذا التعريف أعم من القياس وحسب، بل العيب أنه غير مفهوم من كلمة قياس لغة.

وثانيتهما: الدعوى بأن كل قياس موصل إلى الحق؛ لأنه عرّف القياس بإطلاق. وهذا غير مسلم ؛ للاتفاق على أنه ليس كل قياس موصلاً إلى الحق.

وأما تعريف القياس بأنه رد غائب إلى شاهد: ففيه معنى القياس لغة، وإنما العيب من جهتين أيضًا:

أولاهما: ما ذكره أبوحامد من كون هذا أخص من القياس.

وثانيتهما: أن رد الغائب إلى الشاهد قياس أنتجه البرهان، وليس قياسًا أنتج البرهان. والقياس عند القوم دليل كاشف للحكم. إذن هذا القياس ليس دليلاً، وليس منتجًا للدليل، وليس كاشفًا للحكم. وإنما هو صورة تعبير عن الحكم أنتجها البرهان كما سيأتي بيان ذلك من كلام الإمام أبي محمد بن حزم.

وصدق أبو حامد في إخراجه المقدمتين ونتيجتهما من اسم القياس، وهذا الإخراج لا يمنع من رد المقدمتين ونتيجتهما إلى صورة قياس ادعاءً؛ لأن حقيقة البرهان المنطقي أنه قائم على غير قياس؛ ولهذا فمن الخطأ المتوارث تسمية المنطقيين وبعض الأصوليين هذا البرهان قياسًا منطقيًا.

قال أبو عبدالرحمن: إذن لم يدَّعِ أبو حامد أن القياس مجاز في قياس الشمول، بل قال: إنه أبعد في البطلان.

وأما الإمام أبو محمد بن حزم فلم ينف تسمية البرهان المنطقي قياسًا، جريًا منه على اصطلاح المنطقيين الخاطئ، واعتد بهذا القياس، فجعله برهانًا.

ولم ينف أبو محمد اسم القياس عن قياس التمثيل، ولكنه لم يره حجة. قال أبو عبدالرحمن: ولا أعلم أي مصدر لابن حزم أخذ منه شيخ الإسلام أن القياس عند ابن حزم حقيقة في الشمول مجاز في التمثيل؟ وهذه كتب ابن حزم الأصولية حاضرة، وليس له في المنطق غير كتاب واحد، وهو مطبوع موجود. قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله: «واعلم أن المتقدمين سموا المقدمات قياسًا؛ فتحيّل إخواننا القياسيون حيلة ضعيفة سوفسطائية بأن أوقعوا اسم القياس على التحكم والسفسطة؛ فسموا تحكمهم بالاستقراء المذموم قياسًا. وسموا حكمهم فيما لم يرد فيه نص بحكم شيء آخر مما رد فيه نص لاشتباههما في بعض أوصافهما قياسًا، واستدلالاً، وإجراءً للعلة في المعلول.

وقد جاء عن الرسول عليه السلام أنه أنذر بقوم يستحلون الخمر يسمونها بغير اسمها. وهذه حيلة مموهة لا تثبت على التخليص. وقد قلنا قبل: إنه ليس في العالم شيئان إلا وبينهما شبه ما وافتراق ما ضرورة لا بد من ذلك.

فإن كان الشبه يوجب استواء الحكم فليحكموا لكل ما في العالم بحكم واحد في كل حال من أجل اشتباهه في صفة ما، ولو كان الاجتماع في الشبه يوجب استواء الحكم، ولم يكن الافتراق في الشبه يوجب اختلاف الحكم؛ فينبغي على هذا أن لا نحكم لشيئين أصلاً بحكم واحد، لأجل اختلافهما في صفة ما. وكل هذا خطأ، وحيرة، ومؤد إلى التناقض والضلال، ونعوذ بالله، من ذلك كله ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٤).

قال أبو عبدالرحمن: إذن أبو محمد لم ينكر إطلاق الأصوليين اسم القياس على غير البرهان المنطقي. ومحال أن ينكر الإطلاق، لأنه مفهوم من اللغة، وعباراته في كتبه الأصولية لا تحصر عن إقرار التسمية. وإنما ينكر أن يكون هذا القياس حجة.

قال أبو عبدالرحمن: وما دام هذا هو الشأن مع عالمين فقط - هما أبو حامد الغزالي وأبو محمد بن حزم - فلا بد من وجود تنصيص عن الآخرين الذين ذكر شيخ الإسلام عنهم أنهم قالوا: القياس حقيقة في القياس المنطقي والأصولي معًا، ووصفهم بجمهور العلماء، وذكر منهم أبا يعلى وأبا الخطاب وابن عقيل ..إلخ.

قال أبو عبدالرحمن: وإن كان القصد أنهم قالوا بحجية القياسين: فذلك قضية أخرى، ولا يلزم من ذلك إسناد حقيقة أو مجاز إليهما في التسمية وإن قالوا بحجيتهما معًا.

ولما ذكر شيخ الإسلام تعريف القياس بأنه «تقدير الشيء بغيره» بنى على ذلك تناوله بتقدير الشيء المعيّن بنظيره المعيّن. ولم يبين رحمه الله: هل هذا التناول في التسمية، أو في الحكم، أو فيهما معًا؟ ولم يبين هل المعينان الاثنان حاضران، أو أن أحدهما غائب؟ إلا أن ذكره «المثال في الذهن» دل على أن أحدهما غائب».

قال أبو عبدالرحمن: وقبل تحقيق كل ذلك أحب أن أنقل جواهر ودررًا من كلام الإمام أبي محمد بن حزم - مع بعض المداخلة - عن حكم ماسماه شيخ الإسلام بتقدير المعيّن بالمعين. قال رحمه الله: «باب ذكر أشياء عدها قوم براهين، وهي فاسدة، وبيان خطأ من عدها برهانًا؛ فمن ذلك شيء سماه الأوائل الاستقراء. وسماه أهل ملتنا القياس. فنقول وبالله التوفيق: إن معنى هذا اللفظ هو أن تتبع بفكرك أشياء موجودات يجمعها نوع واحد أو جنس واحد، أو يحكم فيها بحكم واحد؛ فتجد في كل شخص من أشخاص ذلك النوع، أو في كل نوع من أنواع ذلك الجنس صفة قد لازمت كل شخص مما تحت النوع، أو كل نوع تحت الجنس، أو كل واحد من المحكوم فيهم. إلا أنه ليس وجود تلك الصفة مما يقتضي العقل وجودها في كل ما وجدت فيه، ولا تقتضيه طبيعة ذلك الموصوف. فيكون حكمه لو اقتضته طبيعته أن تكون تلك الصفة فيه ولا بد، بل قد يتوهم وجود شيء من ذلك النوع خاليًا من تلك الصفة.

وكذلك أيضًا لم يأت لفظ في الحكم بأنه ملازم لكل شيء مما فيه تلك الصفة، فيقطع قوم من أجل ما ذكرنا على أن كل أشخاص ذلك النوع (وإن غابت عنه) ففيها تلك الصفة، وأن كل ما فيه تلك الصفة من الأشياء فمحكوم فيه بذلك الحكم.

ولعمري لو قدرنا على تقصي جميع الأشخاص أولها عن آخرها حتى نحيط علمًا بأنه لم يشذ عنا منها واحد، فوجدنا هذه

الصفة عامة لجميعها، لوجب أن نقضي بعمومها لها. وكذلك لو وجدنا الأحكام منصوصة على كل شيء فيه تلك الصفة لقطعنا أنها لازمة لكل ما فيه تلك الصفة. فأما ونحن لا نقدر على استيعاب ذلك، ولا نجده أيضًا في الحكم منصوصًا على كل ما فيه تلك الصفة: فهذا تكهن من المتحكم به، وتخرص وتسهل في الكذب، وقضاء بغير علم، وغرور للناس ولنفسه أولاً التي نصيحتها عليه أوجب، ونمثل لذلك مثالاً عيانيًا، فنقول وبالله التوفيق: وصف الموصوف بالصفة ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: صفة لا بد للموصوف منها ضرورة كعلمنا يقينًا أن كل ذي روح فمتنفس، وكل متنفس فذو آلة يتنفس بها. إما يقبض بها الهواء ويدفعه، وإما يقبض بها الماء ويدفعه إن كان من سكان الماء؛ فهذا قسم قائم في العقل معلوم ضرورة ولا محيد عنه، ولو عدمت النفس تلك الآلة لفارقت الجسد.

والقسم الثاني: صفة قد توجد ملازمة للموصوف بها، ولو عدمت لم تضره كالمرارة: فإنك إن تقرّيت أكثر أصناف الحيوان وجدتها فيه إلا الجمل فلا مرارة له. وقد ذكر قوم أن الفرس لا طحال له، وكالعلم الفاشي بين الناس أننا لم نشاهد قط بغلة تلد، ولا بغلاً يولد، وككوننا لم نر قط كبشًا من الضأن ذا لحية.

وقد أخبرني مخبر في مجلس بعض الرؤساء أنه شاهد بغلة ولدت في بلد ذكره، وشهد له بصحة ذلك قوم كانوا في تلك الناحية.

وأخبرني من أثق به أنه رأى كِبَاشًا بلحى، وتيوسًا بلا لحى. وأنا رأيت سنينيرًا صغيرًا ولد ذا جسدين متميزين منحازين تامين لا ينقص منهما عضو أصلاً، في كل جسد ذنب ويدان ورجلان، يجمعهما رأس واحد ليس فيه إلا عينان وأذنان وفم واحد. ورأيت أيضًا فروجًا وفرخ وزة تفقست البيضتان عنهما ولكل واحد منهما أربعة أرجل، وأريت الفروج جماعة كانوا معي. فالقطع على أن هذا لا يكون هو التحكم المذموم الذي قد يخون»(٥).

قال أبو عبدالرحمن: للإمام بقية سياق تأتي له مناسبة إن شاء الله. والمهم ها هنا عدة وقفات:

أولها: أنه لا بد من التفريق بين استقراء ما مضى للحكم فيه ذاته، وبين استقراء ما مضى للحكم به على ما يستقبل.

فاستقراء ما مضى للحكم فيه ذاته حجة قاطعة إذا كان الاستقراء حاصرًا للمستقرأ - بفتح الراء - مثال ذلك في الشرعيات: قولنا: الحروف المقطعة دالة على القرآن الكريم؛ لأنها كلها في سياق الإشارة إليه؛ فهذا استقراء حاصر للحروف المقطعة وسياقها.

الوقفة الثانية: هذا الاستقراء ليس قياسًا لمعيّن على معيّن، لأنه ليس حرف من الحروف المقطعة وسياقه أولى من غيره بأن يكون مقيسًا عليه، وإنما الحجة ها هنا وجود مقتضٍ، وتخلف مانع. فالمقتضي السياق في كل آية حروف مقطعة، وتخلّف المانع انتفاء دليل يبطِّل دلالة السياق، واتفاق كل السياقات على معنى واحد، فهذا تضافر أدلة.

الوقفة الثالثة: أن استقراء ما علم حجة على أن ما لم يعلم مثل ما علم. وليس معنى ذلك انتفاء موجود بخلاف ما علم. وإنما معنى ذلك أن ما سيعلم من موجود بخلاف ما علم يقتضي تسمية جديدة، أو تقييدًا للتسمية القديمة. دليل ذلك اللغة لا العقل. ووجه الدلالة أن معنى الحيوانية تم استقراؤه من حيوانات معلومة؛ فتحدد بذلك معنى الحيوانية لغة، فإذا رأينا طائرًا من ذهب وفضة وعظم وخشب، وهو لا يتحرك بالإرادة، لم نسمه حيوانًا، وإنما نسميه صورة متخيلة لنوع من الحيوان هو الطير.

الوقفة الرابعة: حتى لو قدر أبو محمد على تقصي جميع الأشخاص لما ساغ له أن يقضي بالتسوية بينها وبين ما سيوجد؛ لأن الموضوع ها هنا حكم بما علم على ما لم يعلم، ولا دور للعقل في ذلك؛ بل الدور للغة؛ فإن كان ما سيوجد مطابقًا لمعنى ما وجد لغة كان ذلك إحالة إلى معرفة سابقة؛ لأن معاني اللغة تدور على أشياء قد علمت من جهة الماهية والصفة.

الوقفة الخامسة: علِمْنا بأن كل ذي روح متنفس علم ضروري بالنسبة لما سبق لنا العلم به بمقتضى معنى اللغة. وليس علمًا بأن كل ذي روح في المستقبل لا بد أن يكون كذلك.

الوقفة السادسة: الصنف الثاني الذي ذكره الإمام أبو محمد عن صفة غير ملازمة، يعني تحديد مفهومنا اللغوي لبعض النوع كالجمال من الحيوان: فتستبعد مفهوم المرارة من معنى النوعية الأعم بناء على ما علمناه من حيوان لا مرارة له. وهكذا تظل تفاصيل النوعية في تقييد بقدر ما ظهر لنا في الوجود من استثناءات. وكل معرفة لغوية، وكل استثناء لغوي: فإنه حكم فيما علم، وليس حكمًا على ما لم يعلم .. والله المستعان

الهوامش :

١- قال أبو عبدالرحمن: القياس ليس هو برهانًا في ذاته؛ لأنه ليس من ضرورات الفكر البدهية أو الاكتسابية، وإنما القياس عمل يقوم به المستدل بحثًا عن برهان يريده، وهو لا يعدو أمرين لا ثالث لهما:

أحدهما: أن يساوي شيئًا بشيء، فهذا يصح له عندما تثبت له التسوية بغير فارق مؤثر.

وثانيهما: أن يكون باحثًا في معنى يوجد في الشيء الذي عنده، وله أثر فيه، فيقيس عليه شيئًا آخر ليرى هل ذلك المعنى أيضًا موجود فيه، فتكون النتيجة إثبات معنى في أمرين يشتركان فيه مع اختلافهما في معان أخر، فهذا خبر عن واقعة، وليس حكمًا بالتسوية بين أمرين.

٢- الرد على المنطقيين ١/١٣٠، تحقيق الدكتور العظم.

٣- المستصفى ٢/٢٧٩، طبع دار الأرقم.

٤- التقريب، ضمن رسائل ابن حزم ٤/٣٠٨ - ٣٠٩.

٥- التقريب ضمن رسائل ابن حزم ٤/٢٩٦ - ٢٩٧.

حوار مع دلال كبّاس
أمينة سر ندوة الأدب العربي في الأرجنتين:

انفرط العقد ولا أحد يستطيع جمع حباته !!

أجراه في بيونس أيرس: **محمد بن علي القعطبي**

لمّا حطّت بنا الطائرة في بيونس أيرس في شهر تموز/يوليو الماضي، وشهر يوليو شهر قيظ لا تقل درجة الحرارة فيه عن ٣٢ درجة مئوية في الرياض إلا نادرًا، أشارت مضيفة الطائرة إلى أن درجة الحرارة الخارجية هي ١٢ درجة مئوية، فجمعت عليّ ملابسي وطافت بذاكرتي أخبار أدباء المهجر، وكنت أسائل نفسي ترى هل سأجد أحدًا من تلك الكوكبة التي ملأت أسماع العالم العربي أدبًا تدفقت فيه عواطف الشوق والحنين والغربة، وقاد ثورة من التجديد في الشكل والمضمون، ففوجئت أن النادي قد انفضّ، وطوّحت الخيام ولم يبق إلا الأطلال، فوقفت أبكيها، ثم قدر لي أن ألتقي واحدًا من بقايا تلك الكوكبة، إنها أمينة سرّ ندوة الأدب العربي، ورئيسة تحرير القسم العربي في الجريدة السورية اللبنانية التي كانت تصدر باللغتين العربية والإسبانية، فكان هذا الحوار:

«ندوة الأدب العربي» اسم اشتهر بالعناية بأدباء المهجر، ما ظروف نشأة هذه الندوة؟

نشأت ندوة الأدب العربي عام ١٩٦٤م إثر شعور الأدباء بالخطر الذي يهدد الحرف العربي المغترب بالانحسار والفناء، من أجل مدّ حياة الحرف العربي المغترب إلى أطول أجل مستطاع، وكان على رأس الذين دعوا لإقامتها مطران الرعية الأرثوذكسية، المطران ملاتيوس صويتي، وهو سوري أديب، وهذا ما جعل الأدباء يطلقون عليه لقب عميد الندوة.

ـ مَنْ أشهر أدباء هذه الندوة؟

كان الأدباء في الأرجنتين كثيري العدد منهم الشعراء ومنهم الكتّاب والخطباء، ضمّت الندوة أربعة إخوة من عائلة قنصل هم: إلياس وزكي ويوسف وجورج، كما ضمت ثلاثة من عائلة كبّاس هم: عزيز ونقولا ودلال، ثمّ جواد نادر ويوسف العيد وعبداللطيف الخشن وأحمد موسى وفؤاد حداد، وبيدرو تشكميكيان وخير الله عبود ورامز شقرا وسليم مفرج وزكريا الصارمي وعبداللطيف اليونس النائب السوري الأسبق والأديب والشاعر والخطيب.

ـ كيف أسهمت الندوة في هذه البلاد البعيدة عن موطن اللسان العربي في خدمة اللغة العربية والأدب العربي؟

شجعت الندوة الأقلام العاملة فجعلتها أكثر عطاء، وأيقظت تلك التي كانت نائمة فإذا هي تعطي وتجود، فتألق الأدب العربي في هذا المغترب، وازدهر.

وكانت الندوة تحتفل بالأعياد الوطنية العربية، فتعقد لها المهرجانات الأدبية، وتلبي الجالية دعوتها، وكان المستمعون حتى سنوات خلت، ممن يفهمون اللغة العربية ويتذوقون الأدب العربي، كثيرين.

أقامت الندوة مهرجانات تكريمية للعديد من أدباء الوطن وأدباء المهجر منهم: أحمد شوقي وجورج صيدح وبدوي الجبل ونزار قباني وإلياس قنصل وآخرين غيرهم، وكان يشارك فيها أغلب الشعراء والأدباء.

كما أحييت ذكرى العديد من الشخصيات الوطنية العربية منهم سلطان باشا الأطرش وفارس الخوري، وكانت القصائد والخطب تنشر في صحف الجالية وأحيانًا تخصص لها مجلة الحياة الجديدة ـ لصاحبها آنذاك وعضو الندوة جواد نادر ـ عددًا خاصا.

لم تكن الندوة منغلقة على ذاتها فلم تشترط على عضو الندوة أن يكون شاعرًا أو ناثرًا فحسب، ولكنّها وسعت العضوية بحيث إنها كانت تشمل حتى الذين يتعاطفون مع الحرف العربي، ويتذوقون أدبه، وهذا ما جعل باب الندوة مفتوحًا على مصراعيه، بإمكان أي مواطن أن يجتازه، وأن يستمع إلى ما يجري فيها، بالإضافة إلى هذا، كانت الصحف تتناول كثيرًا من الجلسات المهمة التي تعقدها، ثمّ كان على كلّ عضو من الأدباء أن يرفق توقيعه لكل عمل أدبي يرسله إلى الصحف والمجلات بعبارة «عضو ندوة الأدب العربي»، وهكذا طارت أخبار الندوة إلى كلّ بقعة من بقاع هذا المغترب، فإذا الانضمامات تأتيها من العديد من محافظات هذه البلاد ومن المغتربين القاطنين فيها.

كان هدف ندوة الأدب العربي أن تمتد حياة الحرف العربي المغترب إلى أطول زمن ممكن

ـ ندوة الأدب العربي في بلد ينطق بالإسبانية لابد أن تؤثر في لغة البلاد وآدابها وتتأثر بها، فهل نشأت بين الندوة والمؤسسات الأدبية في الأرجنتين صلات؟

لم يكن للندوة صلة بالأدباء الأرجنتينيين إلا على صعيد شخصي، فتباعُد الحرف واختلاف اللغة هما السبب ولا شكّ، ومع ذلك فقد فتحت الندوة المجال أمام من يحضر من الأعضاء من مواليد هذه البلاد، ليشاركوا في مهرجاناتها الأدبية بكلمةٍ باللغة الإسبانية.



صورة جماعية لبعض أعضاء الندوة تبدو بينهم الأديبة دلال كباس

ـ كيف كانت الندوة تعقد؟ ومن كان يرأسها؟

لم يكن للندوة رئيس دائم، رئيس الجلسة ينتخب لإدارة الجلسة، وتنتهي رئاسته بانتهائها، ولم يكن للندوة قانون ولا دستور، والمتعارف عليه بين الأعضاء أن الدستور إنّما ينبع من ضمير كلّ عضو فيها، وكان للندوة أمين سرّ وكاتب وقائع وأمين صندوق. وكانت جلسات الندوة تعقد كل ليلة أربعاء ابتداء من الساعة التاسعة ليلاً حتى الثانية عشرة، هذا مبدئيًا، ولكن الجلسات كثيرًا ما كانت تمتدّ إلى أبعد من ذلك التوقيت بكثير.

ـ هل كانت للندوة نظام معين؟ وأين كانت تعقد اجتماعاتها؟

أطلق على الندوة في بادئ الأمر اسم ليالي الأربعاء، ثم استبدل بهذا الاسم اسم ندوة الأدب العربي، حرصا من الأدباء على ذكر الحرف العربي وجعله شعاراً للندوة، ولم يكن للندوة قانون مكتوب، ومع ذلك فقد حظر القانون غير المكتوب كلّ بحث يتعلق بالأديان أو السياسة أو الحزبيات، أمّا المواضيع القومية والوطنية فإنّه لا يمسّها هذا الحظر، فقد ضمت الندوة أعضاء من مختلف البلدان العربية ومن أحزاب وأديان متعددة.

كان المركز الدائم للندوة هو قاعة المطرانية الأرثوذكسيّة، ومع هذا فكانت الندوة تعقد اجتماعاتها بين الحين والآخر في أماكن أخرى من نوادي وجمعيات الجالية.

وكانت اجتماعات الندوة بحق أسواقًا عكاظية يتبارى فيها الشعراء والكتاب، سواء أكان ما يلقونه من إنتاجهم أم مما وقع في أيديهم من أدب جيد، لتلحق بعد ذلك بنقد يشارك فيه الجميع.

ولم تكن اجتماعات الندوة جافة، بل كانت يتخللها الدعابات الأدبية التي كانت تضفي عليها جوّا حلوا مرحا محببا.

ـ في كل تجمع أدبي شخصيات لابدّ أن تترك بصمات واضحة، مَنْ أبرز الذين تركوا آثارًا لا تنسى في الندوة؟

وجد أثناء المرحلة الأولى من تأسيس الندوة في هذا المغترب نائب سوري سابق هو الأستاذ عبداللطيف يونس الكاتب والخطيب والشاعر والأديب، كان موسوعة من المعارف، سخّر حياته للقلم والكتاب، وهو الذي أنشأ جريدة الوطن في بيونس أيرس بعد أن احتجبت جميع الصحف فيها، لقد منح الأستاذ عبداللطيف اليونس للندوة حياة وزخما، فهو إن تكلم فكتاب مفتوح، وإن خطب فسيل جارف يتدفق بلا هوادة، وقد منحته جامعة توكمان الأرجنتينية شهادة الدكتوراه الفخرية.

لقد أصبح يوم الأربعاء بعد تأسيس الندوة يوما للحرف العربي، كان يأبى أعضاء الندوة ويرفضون أي دعوة تأتيهم في هذا اليوم، ثم لا يكتفون بهذا، بل كانوا يحتجون على كل ناد أو مؤسسة تقيم أي حفل أو احتفال في مساء

دلال كباس في سطور

- سورية من مواليد مدينة اللاذقية.
- حاصلة على بكالوريوس علوم سياسية من جامعة السلفادور في بيونس أيرس بالأرجنتين، وشهادة دار المعلمات في سورية.
- عملت ١٢ سنة في الصحافة بالجريدة السورية اللبنانية، وهي الجريدة الوحيدة التي كانت تصدر يوميًا في أمريكا الجنوبية وذلك باللغتين العربية والإسبانية، وقضت عشر سنوات منها رئيسة تحرير للقسم العربي. وعملت مترجمة في بعثة جامعة الدول العربية في الأرجنتين لمدة ١٧ سنة، مع إعداد التقارير الصحفية.
- عملت مدرسة في الوطن والمهجر: في المدرسة العربية الأرجنتينية، وفي المركز الثقافي الليبي الخاص بأبناء الدبلوماسيين الليبيين، وحاليا في المركز الإسلامي.
- رافقت ندوة الأدب العربي من نشأتها إلى نهاية رحلتها، أمينة سر، تراسل أدباء الوطن والمهجر البرازيلي والتشيلي وفي باريس باسم الندوة.
- شاركت في جميع الاحتفالات والمهرجانات الأدبية التي أقامتها الندوة في مناسبات مختلفة وطنية وتكريمية.
- راسلت العديد من صحف الوطن والمهجر.
- قامت بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، وكان من ضمنها دورات مجانية.
- قامت بزيارة الوطن سورية عام ١٩٩٠م برفقة وفد من الأطباء والمهنيين من أصل عربي وبدعوة من الحكومة السورية بصفتها الصحفية.
- ألقت هناك كلمة ارتجالية بالعربية في هذه المناسبة، وقام مترجم سوري بنقل الكلمة مباشرة إلى الإسبانية لكي يفهمها الوفد الذي كانت برفقته.

تقول الأديبة: زرت في رحلتي هناك وزير الإعلام السيد محمد سليمان، وقد عرض عليَّ الوزير أن أكتب في جريدة تشرين. قمت بزيارة جريدة البعث، وقد نشرت عنّي كلمة على صفحاتها.

- قامت بنشر كتاب عن محرر الأرجنتين خوسيه دي سان مارتين سيطبع قريبًا.
- عملت في السفارتين السعودية والسورية لأشهر قليلة بعد أن أغلقت بعثة جامعة الدول العربية أبوابها.
- قامت بأعمال الترجمة لبعض من الإمضاءات الأرجنتينية.
- منحها النادي السوري اللبناني (شرف ووطن) عضوية فخرية إلى جانب عدد من الأدباء والصحفيين المهجرين.

الأربعاء، وترى أن هذا انتهاك للحرف العربي. وقد لاقت ندوة الأدب العربي تشجيعًا كبيرا من سفارات البلاد العربية، وبخاصة السفارتان السورية واللبنانية، وكانت تدعى لإقامة اجتماعاتها في دار السفارة.

ـ متى أسست الجريدة السورية اللبنانية؟ وما ظروف تأسيسها؟

أسست الجريدة في كانون الثاني/ ينايرعام ١٩٢٩م، أسسها السيد موسى عزيزة، وهو سوري من مدينة حماة، ثم باعها لصهره أمين قسطنطين من لبنان، وأعتقد أنه في عام ١٩٦٨م اشترتها الجالية من السيد أمين قسطنطين على يد السيد حافظ قصبجي، وهو رجل أعمال سوري المولد، وأول رئيس لفيراب (اتحاد المؤسسات العربية الأرجنتينية) هنا.

كانت الجريدة تصدر يوميًا باللغتين العربية والإسبانية، ماعدا يومي السبت والأحد، واستمرت الجريدة في الصدور حتى عام ١٩٧٤م عندما صمتت إلى الأبد أمام موجة التضخم الهائلة التي كانت تجتاح الأرجنتين.

ـ كيف كانت مساهمتك فيها؟

بدأت العمل في الجريدة على إثر وصولي إلى هذه البلاد عام ١٩٥٩م.

كنت أعد أولاً الأخبار الاجتماعية في الجريدة مع وصف الحفلات، وغيرها من الاجتماعات، ثم بدأت أكتب الافتتاحيات لتسند إليّ فيما بعد مهام الجريدة التحريرية بأكملها.

ـ ما الموضوعات التي عنيت بها الجريدة؟

كانت تهتم الجريدة بنشر أخبار العالم العربي عامة، وما يتعلق بسورية ولبنان خاصة، فالجالية العربية كانت آنذاك تقتصر على السوريين واللبنانيين، كما كانت تهتم بأخبار الجالية بحفلاتها وأعراسها، بالولادات والوفيات فيها، بالأسفار والرحلات، بالذاهبين والعائدين، هذا إلى لمحة عن أهم أخبار البلاد هنا.

ـ رئيسة تحرير الجريدة هي أمينة سرّ ندوة الأدب العربي؟ ترى هل كان بين الجريدة والأدب العربي صلات؟

كانت الجريدة تفتح صفحاتها للأدباء والشعراء، كانت المنبر الذي يتغذون به ويغذونه، تعطيهم ويعطونها، وكان للجريدة مشتركوها، تصل إلى منازلهم بوساطة البريد، لتتحول إلى الجسر الدائم بين أبنائها، منها يتعرفون أخبار بعضهم بعضا، فتعمل على توطيد الصلات وتوثيق الأواصر، ولمّا توقفت الجريدة عن الصدور شعرت الجالية آنذاك بأنها أصيبت باليتم، لا صدر ولا منبر.

كان قراء العربية آنذاك كثيرين والأقلام وافرة، والأجواء العربية هنا كثيرة الظلال واسعة المدى.

ـ وبعد، فكيف ترين حاضر الأدب العربي هنا؟ وهل ترين له مستقبلاً مبشرًا؟

تسألني عن رأيي في الأدب العربي هنا حاضرًا ومستقبلاً، ويؤسفني أن أقول: هل بقي له حاضر؟ ومن ليس له حاضر هل يمكن أن يكون له مستقبل؟ لقد انفرط العقد وليس بإمكان أحد أن يجمع حباته، ويعاود نظمها من جديد.

إنّ المهجر لا يمكن أن يمدّنا بالأدباء، ثمّ لا مدارس بإمكانها إعداد مثل هؤلاء الأدباء.

ـ وأخيرًا، ماذا بقي من أمنيات؟

أما أمنياتي فسأحاول جمع ما كتبته وما راح يتبعثر هنا وهناك، وقد أعمل على مراسلة بعض صحف الوطن، ثم، وبعد أن أنتهي ممّا عليّ هنا من واجبات، سأحاول العودة إلى جمع ما بقي في سلالي من بعض زاد.



صفحة ١٠

«الوطن»

دمعة ابنة الجيران

دلال كباس

وقفت عند محراب «بدوي الجبل» اتهيب الدخول ولم اشأ ان اطأ العتبة الا بعد ان خلعت نعليّ رهبة واحتراماً، وهناك تسمرت قدماي وعندها آثرت البقاء.

ورحت اجمع طاقة للمت وحداتها من تلك الازاهير التي تحملها الرياح من رياض الشاعر وتنثرها على دروب المارة، عطرا ونعماء، وكنت اود لو اجوب شعاب تلك الرياض واقطف الازاهير من على الاغصان واطير بينها كالفراشات الملونة متنقلة ما بين زهرة وزهرة تمتص منها الرحيق لتحوله اصباغ والوان ومفاتن.

ولكن رب من يتطلع من وراء الثقوب ادرى بما يجري في داخل الدار من ذاك الذي يقطنها، ومن ينظر من الكوى اكثر معرفة بمداخل الامور ومخارجها من ذاك الذي تشرئب امامه النوافذ مفتوحة مشرعة، ومن ينظر من فوق الجدران اعرف باسرار العظمة ممن يتخطاها.

فانا امام دنيا من الوحي والجهاد والوطنية، امام قمة من قمم الادب التي تشرئب الى السماء لتقطف منها النجوم ووكر من اوكار النسور التي لا تختار لنفسها الا الاماكن الشاهقة تلك التي لا تستطيع ان تطالها من طيور الفضاء الا ذوات الاجنحة القوية، فكيف بامكاني ان اصلها بقدمي الواهيتين واجنحتي المتكسرة وقد حطمتها عجمة الغربة فظلت تحلق ما بين بين.

امام قائد من ذاك الرعيل الذي لم يرم السلاح الا بعد ان امن ان الوطن اصبح

مقالة للأديبة دلال كباس

أدب القصة البوليسية

«العصر الذهبي»

ميسون عبدالرحمن النحلاوي

تختلف القصة البوليسية في خصائصها عن الروايات المثيرة وقصص الجريمة والجاسوسية وقصص الأسرار، وإلى غير ذلك من القصص التي قد تتشابه في بعض الجوانب مع القصة البوليسية، إلا أنها لا تتطابق معها.

وحيث إن القصة البوليسية تعدّ نوعًا من أنواع الأدب له خصائصه وسماته المميزة، فإنها تعود بجذورها إلى القرن التاسع عشر في قصة كاليب ويليمز Caleb Willisms للكاتب الإنجليزي غودوين (١٧٥٦م - ١٨٣٦م) ورواية تشارلز ديكنز(١٨١٢ - ١٨٧٠م) منزل بليك Blake house التي ظهرت أجزاءشهرية، أما النموذج الأصلي للرواية البوليسية الطويلة، فقد تم وضعه من قبل الكاتب الإنجليزي ويلكي كولنز Wilkie Collins من خلال روايته البوليسية جوهرة القمر Moon stone، (١٨٦٨م). وإذا كان ديكنز وويليامز قد وضعا نواة القصة البوليسية، فإن الإنكليز يرون الأديب الأمريكي أدغار آلن بو Allan Poe هو الجد الأعلى لهذا النوع من الأدب، أدب القصة البوليسية القصيرة، كما أنهم لا ينكرون أثر الكاتب الروسي غوغول Gogol، إلاّ أن تأثير بو كان أكبر من خلال مجموعته التي برز فيها التحري دوبين Chevalier Dupin أنموذجًا متميزًا.

لقد تأثر كل من الكاتبين كونان دويل Conan Doyle ١٨٥٩ - ١٩٣٠م، وتشسترتون G.K Chesteston ١٨٧٤م - ١٩٣٦م، بأدب ألن بو ليجعلا من القصة البوليسية القصيرة فعلاً شكلاً من أشكال الأدب، لها سماتها الخاصة، ومكانتها المتميزة في أدب القرن العشرين الإنجليزي.

جوانب اختلاف القصة البوليسية

تتعامل القصة البوليسية مع الجريمة من حيث فاعلها بالدرجة الأولى، أي: مَن ارتكب الجريمة، لماذا وأين؟ ولكن ليس من الضروري كيف ارتكبت الجريمة؟ وهذه الأخيرة يتم التركيز عليها في القصص المثيرة. كما أن في القصة البوليسية يتم ارتكاب الجريمة، وليست جريمة قتل بالضرورة، من قبل واحد من مجموعة الأشخاص، ويتم كشف هوية المجرم في النهاية، عبر مجموعة من التحريات والملاحظات والاستنتاجات من قبل متحرٍ محترف، قد يكون رجل أمن أو متحريًا خاصًا، وهذا النوع من الأدب يختلف عن رواية الجريمة التي يتم فيها تعرف المجرم منذ البداية، ويتم توجيه اهتمام القارئ إلى متابعة تقلبات المجرم النفسية ومحاولاته في الهروب من العدالة؛ أما روايات الأسرار التي يتم فيها كشف الشرير، وليس بالضروري أن يكون مجرمًا، بالتدريج ودون تحريات متتالية، كما أنها تبتعد عن قصص الجاسوسية والمؤامرات والعصابات التي تهتم بمعركة العقول والعنف بين جانبين يعرفهما القارئ منذ البداية، وهناك قصص التشويق، وغالبًا ما يكون التركيز فيها على محاولات البريء للهروب من المجرمين.

على الرغم من هذا التنوع الذي كتب فيه العديد من الأدباء، فإن شكل القصة البوليسية القصيرة يبقى هو الشكل التقليدي الأشهر (الكلاسيكي).

وبعد مناقشات وحوارات متعددة توصل بعضهم إلى تعريف القصة البوليسية بأنها القصة التي تهتم أكثر ما تهتم بتقديم جريمة، ولكن من الصعب في الواقع التزام هذا التعريف السريع والصعب، والقليل من كتاب القصص من يلتزمه عمليًا، ومهما بلغت اختلافات وجهات النظر حول خصائص القصة البوليسية تبقى هناك خاصية مقبولة لدى الجميع، وهي أنها يجب أن تطرح مشكلة، وأن يتم حل المشكلة سواء من قبل متحرٍ محترف أو ناشئ من خلال تطور منطقي في الاستدلال أو الاستنتاج يحيط القارئ بجو من الرضا والاقتناع الفكري. ويعدّ حل اللغز الذي طرح للقارئ هو العنصر الأكثر أهمية، حيث يدخل القارئ في معركة ذكاء مع الكاتب تمامًا كما لو أنه يلعب معه الشطرنج.

قواعد القصة البوليسية

وبسبب هذه العلاقة بين الكاتب والقارئ فإن هناك قواعد معينة يجب اتباعها في إبراز الدلائل ، وهذا مايراه المونسينيور رونالد كنوكس Monsigonr Ronald Kinox (١٨٨٨ - ١٩٥٧) في كتاباته عمّا أصبح يعرف فيما بعد ب «العصر الذهبي للقصة البوليسية»، فقد وضع عشر قواعد محددة لكتاب القصة البوليسية مشى عليها معظمهم وتقيد بها. وتضيف دورثي سيرز Dorthy Sayers (١٨٩٣م - ١٩٥٧م)، قاعدتها الخاصة وهي أنه كلما كان هناك مشاعر حب أقل، كان ذلك أفضل، إلا أنها في أعمالها الأخيرة تخلت عن هذه القاعدة وبدأت تركز أكثر على البنية والشكل. ويقول هاوارد هايكرافت Howard Hay-graft في دراسته للقصة البوليسية «جريمة من أجل المتعة»، إن القصة البوليسية هي وسيلة فقط للوصول إلى نهاية ما، وهي الاكتشاف، وبكلمات أخرى يجب تقديم مفاتيح لحل اللغز، وفوق كل شيء على الكاتب أن لا يضلّل القارئ أو يكذب متعمداً، فإذا كانت الحقائق واضحة للقارئ وتمكن من تحليل الأدلة وتفسيرها بشكل صحيح، فإن الحل يصبح قاب وقوسين أو أدنى، وهذا ما تقصده دورلي بقولها:

«عندما تهمل كلّ الأشياء غير المعقولة يكون ماتبقى هو الحقيقة ولو كان بعيد الاحتمال. في الواقع لا يلتزم جميع كتاب القصة البوليسية هذه القواعد، إذ يؤخذ على كل من كونان دويل وتشسترتون أنهما لا يكشفان عن المفاتيح كلها، بينما اتهمت أجاثا كريستي بتحايلها على القارئ بجعلها الشخصية الأقل احتمالاً غالبًا في القصة هي المجرم أو القاتل، فمثلاً في أشهر رواياتها «مقتل روجر أكرويد»، لا يكتشف القارئ القاتل، أو حتى يصعب عليه تخمينه حتى النهاية ليفاجأ به أنه راوي القصة نفسه! أو باستخدامها لحيلة بارعة كوسيلة لكشف المجرم كما في قصة «مأساة في مارسدون مانور».

أما دورثي سيرز فقد ضمنت أعمالها خلفيات أكثر مما يعدّ ضرورياً أو مرغوباً فيه، وعلى الرغم من خروج بعض الكتاب عن بعض القواعد، إلا أنهم جميعاً ظلوا متقيدين بفكرة الحبكة المتفقة مع القاعدة».

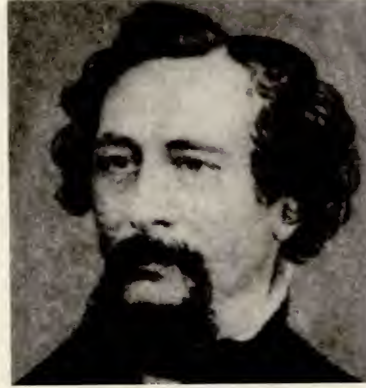
إن أولئك الذين فكروا بالحل المفاجئ أو بالصدمة والنهايات المؤثرة فقط دون إدراك أهمية العناصر المنطقية في حل المعضلة، سببوا الازدراء والسخرية للقصة البوليسية، وإذا كانت حجة بعضهم أن التركيز على القواعد ومفاتيح الألغاز والاستدلال يقلل من أهمية القصة الإنسانية، فإن هذا لا ينطبق على القصص القصيرة لأنه لا وقت فيها ولا مكان لتطوير الشخصية أو لإدخال وصفٍ واسع للخلفيات.

القصة البوليسية: طويلة أم قصيرة؟

ولكن هل يجب أن تكون القصة البوليسية طويلة أم قصيرة؟ دارت مناقشات جدية حول الطول المناسب للقصة البوليسية، وقد رأى تشسترتون أنها يجب أن تكون قصيرة، ووجهة نظره هي أن القصة برمتها وجدت من أجل لحظة المفاجأة، فهي إذن ليست سوى لحظة، وهو لا يعتقد أنه من الممكن دراسة الشخصية من خلال الأحداث، لأن القصة البوليسية بالنسبة له هي «دراما الأقنعة والوجوه» قصة لا يكشف الناس فيها عن حقيقتهم إلا في النهاية.

كتّاب آخرون، ممن يرون أنفسهم قصصيين بالدرجة الأولى، وجدوا أنه من الأساسي تضمين خلفية اجتماعية ومجموعة من العلاقات الإنسانية وتحليل للشخصيات في القصة، ويقترح وورد A.C Word في مقال له عن القصة البوليسية أنه ربما تأتي القصة على نهايتها بسرعة فائقة لا تتناسب مع توضيح أثر الحبكة البوليسية والتشويق الذي يجب أن يستمر لوقت أطول، إلاّ أنه لا يلبث أن يعترف بأن القصة القصيرة ليس لها مثالب، وأنه بإمكان الكاتب الماهر خلق جو من التشويق القوي، وإطالة وقته.

من أهم شخصيات القصة البوليسية القوية المتحري القوي الذي يظهر في القصة تلو القصة إلى أن يتمكن من بناء علاقة حميمة مع القارئ كما هو الحال مع شرلوك هولمز في قصص كونان دويل، والاب براون بطل قصص الكاتب تشسترتون. هذان المتحريان بدا أثرهما واضحاً في القصص البوليسية التي كتبها من خَلَفَهم، بينما استخدمت أجاثا كريستي هوكول بوارو ذلك المتحري الفرنسي الغريب الأطوار، والآنسة ماربل العجوز التي تتميز بالخصائص البريئة نفسها التي رسمها تشسترتون في الأب براون. وكما هو الحال مع الأب بروان فإن السيدة ماربل وهوكول بوارو يقومان بدراسة نفسية للشخصيات التي تحيط بهم، ثم يبنون افتراضاتهم على ملاحظة السلوك الإنساني الطبيعي. ومن جهة أخرى تستخدم دورث سيزر في قصصها اللورد بيتر ويمزي وهو الابن الأصغر لإيرل، وله طريقة خاصة في التحريات الأرستقراطية، وهو أيضًا شخصية غريبة الأطوار، لباسه أنيق يرتدي نظارة بعدسة واحدة، ويتكلم بطريقة الطبقة الأرستقراطية المؤثرة، أما في قصص مارغري ألينغهام Margrery Allingham فيبرز المتحري «ألبرت مامبون» الذي يحمل سمات كثيرة مشابهة، فهو من مولد ارستقراطي أيضًا إلا أن ذاكرته ضعيفة نوعاً ما.


شارلز ديكنز

وغالبًا ما يكون للمتحرى صديق أو شخص يثق به ويناقش معه المشكلة، وهو بدوره يقدم اقتراحاته الشخصية وتفسيراته الخاصة للأدلة، بوارو مثلاً، لديه صديقه الغبي جداً وهو الكابتن «هاستنغز» وويميزي عنده كبير الخدم «بنتر» الذي يبقى دائمًا في انتظاره، ويساعده في العديد من تحرياته بوصفه رجله الموثوق به وبوليسه السري، بينما يبقى إلى جانب ألبرت كامبيون في معظم قصصه خادمه «ماغيرز فونتين لاغ».

أدب القصة البوليسية «العصر الذهبي»

وتعدّ الكاتبات الثلاث، آغاثا كريستي، ودوروني سيزر، ومرغريت ألينغهام، من الأسماء البارزة فيما يسمى بالعصر الذهبي للقصة البوليسية على الرغم من أن قصصهن القصيرة إجمالاً لم تكن ناجحة بمستوى رواياتهن الطويلة. وتمثل قصص الكاتبين المشهورين جون شتاينك John Steinbeek وغولد كوزنس Gould Cozzens بشكل واضح بعض الخصائص الأساسية للقصة القصيرة، ويركز كلاهما على الشكل وقوة التجربة، ويستعملان لغةً وأسلوباً بسيطين دون إقحام أي شيء غير ضروري.

شكل القصة البوليسية

يقول سيد هذا الأدب أدغار ألن بو: «يجب ألاّ يكون في التركيب بإجماله ولا كلمة مكتوبة دون هدف مباشر أو غير مباشر مخطط له مسبقًا. وهذا ما يرتئيه أيضًا كاتب القصة الروسي تشيكوف: «إذا وصف الكاتب بندقية معلقة على الحائط في الصفحة الأولى فيجب أن تنفجر هذه البندقية عاجلاً أم آجلاً»، وعلى هذا يعدّ قصة جيمس غولد كوزنس «خطأ مطبعي» مثالاً ممتازًا لرأي تشيكوف، ففي الفقرة الأولى يلتقي القارئ برجل شاحب بدين ينظر إلى عمود الوفيات من الأسبوعية الدينية ويضع جانبًا ملاحظة على ورقة. القصة بكاملها تتعلق بهذه النقطة بالذات إلا أنها لا تتضح حتى اللحظة الأخيرة. إذًا يمكن هنا اعتبار عمود الوفيات والورقة هما البندقية في قاعدة تشيكوف، وينكشف نفاق الرجل وشيطانيته معًا خطوة بخطوة إلى أن تصل القصة إلى نهايتها دون أن نجد فيها أي كلمة ضائعة أو دون معنى.

القصة القصيرة بشكل عام لها تنوع لا نهاية له من حيث الشكل والمضمون والشخصية، وتتيح حرية عظيمة للكاتب، وهي تروى بسرعة في سلسلة متتابعة من المشاهد والأحداث، ولحظات مهمة تقود إلى لحظة الأزمة، أما الوصف المتضمن فنجده مسخرًا لما هو ضروري لخلق الجو المناسب للقصة فقط.

ويبرز اسم سيرل هير، Cyril Hare بوصفه كاتبًا يمتلك الكثير من خصائص العصر الذهبي، وعلى الرغم من أنه لم يكن ملازمًا له، فقد استفاد تمامًا من معرفته القانونية، فحبكته محكمة بشكل منطقي. ويقدم هير حقائق معقدة بشكل واضح ومختصر، ويرسم الدلائل بدقة وحذر، إلا أنه يعتني كثيرًا في قصصه بالناحية النفسية للمجرم، وكذلك الخلفية الاجتماعية التي جاء منها هو والضحية، وهذا الأخير يعد من الخصائص التي سادت في العقد الذي تلا العصر الذهبي، لذلك تبدو قصة «الشعلة القديمة» قصة حقيقية بالدرجة الأولى.

بعد العصر الذهبي شهدت القصة البوليسية القصيرة هبوطًا في أهميتها وتدنيًا في خصائصها، إلى أن أعاد إحياءها الكاتبان شاندلر Chandler وهاميت Hammet في أمريكا، إلا أن خصائص هذه الأعمال الجديدة كانت مختلفة عن الشكل الكلاسيكي، فالمتحري الجديد يبدو قاسيًا، وحديثه فظ، يعمل ضمن عالم فيه الكثير من الأسلحة، وقطاع الطرق، والعنف، والجريمة، ويستخدم في رواية هذه القصص اللهجة الأمريكية من خلال أسلوب موجز مجرد وزاخر بألفاظ الجريمة العامية، لذلك تظهر المفردات صعبة الفهم في معظم الأحيان. وبناء على ما تقدم لا يمكن أخذ قصة «الباب البرونزي» لشاندلر على أنها عمل نموذجي لأسلوبه في الكتابة، فأحداث هذه القصة تأخذ مجراها في إنجلترا كما أنها خالية من ألفاظ الجريمة الأمريكية القاسية، ويبدو الاهتمام بالحوار ظاهرًا جليًا.

ويهتم شاندلر، بعيدًا من كتاب العصر الذهبي، بالحبكة والأسلوب، وبالدوافع الإنسانية والخلفية الاجتماعية. وعلى كل حال فهو أيضًا له متحريه الخاص المدعو «فيليب مارلو».

ولكن على أي أساس يمكن تقويم شعبية القصة البوليسية أو قصة الجريمة سواء كانت طويلة أم قصيرة؟ نظريات عديدة طرحت بهذا الشأن، إلا أن أغلبها كان يرتئي أن التشويق لحل اللغز أو كشف الجريمة وتتبع الأدلة ليس وحده هو الدافع وراء الانتشار، بل إن الإشباع الكافي الذي تجده نزعة العنف الموجودة داخل كل منا والمسيطرة عليها بشكل جيد في القراءة عن العنف والقسوة عند الآخرين، له دوره، كما أنه يجب عدم إغفال المتعة المعنوية التي يستشعرها القارئ عندما تتحقق الفضيلة في الكشف عن المجرم ومعاقبته. رأي آخر أكثر طرافة يقول بأن القصة البوليسية تتمتع بشعبية كبيرة في المناطق الريفية فقط، حيث للقانون والنظام والعدالة وجود قوي، ويتمتع الإنسان بحريته الشخصية دون المساس بها، بالإضافة إلى الأمان الموجود في تلك المناطق.



إدجار آلان بو

بعد الحرب العالمية الثانية بدأت القصة البوليسية تنهج نهج المدرسة الأمريكية العنيفة، وبذلك أخذ تأثير الأدب «الكلاسيكي» للقصة البوليسية يضمحل، والتفت بعض الكتاب الذين لا يتفقون مع القصة البوليسية للعصر الذهبي في بعض خصائصها مثل - حسب رأيهم - الكبر، والوطنية، وانعدام الاهتمام بالخلفية الاجتماعية، التفتوا إلى قصص الجاسوسية والجريمة التي لم يعد الصراع فيها بين العدالة والمجرم من طرف واحد فقط. بينما تخلى بعض الكتاب الذين ظلوا مخلصين للشكل الكلاسيكي أمثال ميكائيل جيلبرت إليزابيث فيرارس، إيليس بيترز، تخلّوا عن رجل التحري الهادئ، وأصبح اعتمادهم أقل على أساليب الجريمة الصريحة، وأكثر على الخصائص الواقعية.

وإذا كان العصر الذهبي قد تمكن من إضفاء الصفة الأدبية على القصة البوليسية فقد بقيت بحق تتمتع بطعم خاص يستشعره القارئ، ولا يمكن أن يجده في أي من قصص المذاهب الحديثة.

يامنار التوحيد

جاسم محمد الصحيح

في ظلال اليوم التاريخي الخالد.. يوم توحيد المملكة العربية السعودية تحت رفيف راية العز

هرّبتني نجواك من أبعادي   فتخطّيْتُ في مداها امتدادي
واَقْتَحَمْتُ التاريخ فانتفض الرمـ   ـلُ وهزّتْ عظامها، أجدادي
فإذا كلُّ فكرةٍ في خيالي   تتهاوى في حضرة الأمجادِ
هذه التربةُ التي صاغها التَّوْ   حيدُ لحنًا مُقدّس الإنشادِ
تُربتي حيث شعَّ أوّلُ فجرٍ   بدويّ لم يحْدُ مسراه حادِ
أوغلت في الضياع أنوارُه الأو   لى وغابت عن منهج الإرشادِ
كُلُّ (نُورٍ) قبيلةٌ تقدح النا   رَ فينفضُ قدْحُها عن (رمادِ)
وتمرُّ الأجيال أحفاد فجرٍ   يتَشظّى قبائلاً من (سواد)
همُّها أن تحوك من فروة الليـ   ـلِ خيولاً لِغارة الأحقادِ
هكذا كانت الحياة وكُنَّا   في يَدَيْها، رهائن الأصفادِ
وتجَلَّى (يوم) تعانقت الأضـ   ـواءُ فيه عبر الضُحى الميّادِ
فاتحدنا في رايةٍ خفق القر   آنُ فيها بهديه والرشادِ
وانطلقنا إلى العلى فإذا الشمـ   ـسُ حنينٌ هُناك للميعادِ
عانقتنا فأينعت نبتة الخُلـ   ـدِ وهبّتْ أعمارُنا للحصادِ
وانتصبنا - مع الجبال - على الدهـ   ـرِ جبالاً من عزّة واعتدادِ
أيُّ عيدٍ أطلَّ من مخْدعِ الفطـ   ـرَةِ في شوقنا إلى الأعيادِ
وعلى راحتيه تستبق الأر   واحُ في شوطها إلى الأجسادِ
إنّه مبعثُ الغرامِ فيا أر   ضُ استعيدي طهارة الميلاد
واهطلي يا سماءُ من شُرفة الليـ   ـلِ نجومًا تشُعُّ بالإسعادِ



مـــا تبـــقّى في أُفق أيّامنا البـــيـ ـــض مكـانٌ مُلوّنٌ بالحِــــدادِ

طفح الأُفْقُ بالزغــاريد حــتّى غــرِقتْ فـيـه مُنية الصـيّـادِ

يا منار التـوحـيـد شُـدَّ جناحيـ ـكَ وخُــذْنا في رحلة الآبادِ

إنّ شـعـبًا لَملمْتَ فـيك شظايا هُ كـيـانًا مـدجّـجًا بالعِنادِ

لا يزال الطمـوح في لَمْح عـينيـ ـهِ يُغذّي مجامر التسهادِ

وأمـانيـه لم يزل جِيدُها الشا مِـخُ يُدمي بكارة الأطـوادِ

ذلك الشـعب لا يزالُ يُؤدّي منسك المجدِ في سماء الجهادِ

شامخًا يمتطي الليالي على أطـ ـرافِ سيفٍ من عزمِه الجلّادِ

يُوقد الهمّ في قلوب أعاديـ ـهِ ويغتال بهجة الحُسّادِ

ويُغنّي على هدير الرزايا والرزايا مواسم للأعادي

هذه التربةُ التي صاغها (التّوْ حيدُ) لحنًا مُقدّس الإنشادِ

وطني حيث أفرغت ريشة الحُبْـ ـبِ صداها على عروق (الضاد)

حيثُ شاد الغرامُ محرابه الأسـ ـمَى فصلّى (التراب) بالعُبّادِ

وطني نغمةٌ على شفةِ الشمـ ـسِ تهادت طليقة الأبعادِ

حُبُّه خير بذرةٍ دسّها الآ باءُ والأمّهاتُ في الأولادِ

قَفَزَتْ من جذورها في الأضاليـ ـع وشقّت مرائر الأكبادِ

واشرأبت عن نخلةٍ أومأ الغيـ ـمُ إليها بقطرةٍ من وِدادِ

فإذا الأُفق ملعبٌ لسباق الـ ـجذعِ والسعفِ والعذوق الصوادي

اشمخي كيفما تريدين يا نخـ ـلَةُ بل جاوزي حدود المُرادِ

الوفاء العريقُ في فَرْعك المُتْـ ـلَعِ لم ينْسَ جذرهُ في فؤادي

وطني يا خزائن الدفء لم تُو صَدْ أمام ارتعاشة الوُرّادِ

وبَرُ الضأن في نسيجك لا يقْـ ـصُرُ دفئًا عن لبدة الآسادِ

واحدٌ في هواك قلبي فأزْها رُكَ عندي توائم للقَتادِ

أنا ذا فكرةٌ بها عشقُك انْصَبْـ ـبَ فثارتْ جوامحًا في مدادي

فإذا صححتَ بي وراء المآسي سبقتْ شوطَها إليك جيادي

فاسْتلِمْني إذعانةً رفرفت في روحها رُوحُ طاعتي وانقيادي

شخصية أدبية

عيسى الجراجرة وإسهاماته في قصص الأطفال

يوسف حمدان

ولد عيسى الجراجرة في مدينة الكرك الأردنية عام ١٩٣٧م، وفي مدارسها تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي، وكان أحد أوائل الثانوية العامة لعام ١٩٥٧م، فأرسل في بعثة للدراسة في جامعة دمشق، ومنها حصل على الإجازة في الآداب من قسم التاريخ عام ١٩٦١م. وتابع دراسته العليا في الجامعة الأردنية فحصل على دبلوم الدراسات العليا في التربية وعلم النفس عام ١٩٧٣م بدرجة جيد جداً، كما حصل عام ١٩٨١م، من الجامعة نفسها على الماجستير بمرتبة الشرف الأولى في التربية وعلم النفس..ولم يتوقف طموحه عند هذا الحد فهو يعد للحصول على درجة الدكتوراة في التربية من جامعة دمشق.

وعيسى الجراجرة من النوع المثابر المكافح الذي يقطف الثمار من كدّه وتعبه وعرق جبينه... فقد عمل وثابر على دراسته أثناء العمل، فلم يقعد على بساط الوظيفة المتواضع، بل راح يجد ويجتهد ليبني له صرحًا من القيم العلمية والمعرفية، وقد بنى ذلك الصّرح فعلاً وما زال يطمح إلى المزيد.

عمل كاتبنا في التدريس بعد تخرجه عام ١٩٦١م في الجامعة مباشرة ليصبح مديرًا لعدة مدارس .. ثمّ معلمًا في أكثر من معهد عال للمعلمين، فموجهًا تربويًا، فرئيسًا لعدد من الأقسام في الوزارة، وآخرها عمل رئيسًا لقسم الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم الأردنية.

وعندما أسست وزارة للثقافة والشباب أواخر عام ١٩٧٦م تمّ نقل الأستاذ إليها كاتبًا لرفدها بأصحاب العلم والمعرفة وحملة الأقلام والمفكرين من الكفاءات الأدبية المتميزة لكونها وزارة جديدة، تحتاج لمثل هذه التوجّهات المهمة. وفي هذه الوزارة أوكلت إليه مسؤولية رئاسة قسم الدوريات وتحرير المجلات الثقافية، كمجلة «أفكار» و«الشباب» و«الفنون» كان ذلك في عام ١٩٧٧م، وفي العام الذي تلاه نقل للعمل رئيسًا لقسم نشر الإنتاج الثقافي في دائرة الثقافة والفنون التي كانت تابعة للوزارة، لينقل بعد ذلك للعمل مساعدًا للمدير العام للمكتبات والوثائق الوطنية.

والكتابة الأدبية التي يعشقها كانت هاجسه الدّائم، ومن أجلها استقال من عمله وتفرّغ لها في الأعوام ١٩٨٠- ١٩٨٤م، ثم عين مستشارًا لوزير الثقافة والسياحة والآثار في ١٥تشرين الأول/أكتوبر١٩٨٤م ليثبت في تلك الوظيفة الرفيعة حتى ١٨تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٧م.

انضمّ عيسى الجراجرة إلى عضوية رابطة الكتّاب الأردنيين منذ تأسيس هذه الرابطة. وفي فترة من فتراتها كان عضوًا في لجنة العضوية فيها، وهو عضو فعّال فيها.

وعلى صعيد النشاطات الثقافية والأدبية، سواء في كتاباته أم في مشاركاته في الندوات والمؤتمرات والمعارض، فقد كان له حضور قويّ وفعّال. ومثّل الأردن في أكثر من مؤتمر وأكثر من لقاء أو ندوة ومهرجان.

وهو يحدثنا عن طفولته كما حدّثته عنها أمه فيقول: «قضيت أغلب طفولتي في حمّالة متواضعة، صنعتها أمّي من بطانية قديمة أو ملحفة قماش، بعد أن لفّتها بإحكام على حبلين متوازيين، وكانت والدتي تعلّق مهاد حمّالتي في قنطرة البيت، أو في أحد أغصان شجرة المشمش التي كانت تتوسط «حوش» بيتنا القديم في الكرك. أو في «سيبة»خضّ الحليب «والسّيبة حاملة خشبية ثلاثية الأرجل» لتتمكن من هزّه، لتؤرجحني ذات اليمين وذات الشمال».

ويطول حديث الأستاذ عيسى عن طفولته التي نشأها في كنف أسرة فلاحية جنوبية متدينة ومحافظة شأن معظم الأسر الكركية، وعن والده الذي عمّر «١٠٥»سنوات أخذ وتعلّم الكثير.

وكان والده قدوته الدائمة،«وبوصلته» نحو العلم القرآني والديني باعتباره الأنفع والأبقى. وذلك العلم هو الذي صقل لغته وهذّب سلوكه وأبعده عن كثير من الآفات السلوكية التي لاتقود إلا إلى الخسارة في الدنيا والآخرة.

ويُعزو عيسى توجهه إلى الأدب والفكر والثقافة إلى تلك التربية

الدينية الحكيمة التي تشرّبها من نصائح والده وتوجيهاته له. وهو يعد نفسه إنسانًا محظوظًا لأنه كان ابن رجل تقيّ وورع يصلي صلواته الخمس في أوقاتها. وكان ما سمعه من تلاوات قرآنية وأدعية وأوردة من أبيه عُدّة وعتادًا له لمستقبل الأيام. وفي النهاية «حصد ما زرع» وكان الحصاد نافعًا وخصبًا وهو كل ما وصل إليه هذا الأديب الأردني اللامع والمجتهد اللّماح.

كان عيسى شديد التعلّق بأبيه ويقول عن ذلك بأنه كثيرًا ما كان يتسلل خارج البيت حافي القدمين وراء أبيه عندما كان يذهب إلى الحقل للحراثة أو العمل تلبية لأحاسيسه وخوفه على أبيه من أن يأخذه اهتمامه بالحقل والحراثة منه.

أما عن شخصيته فقد نقل عيسى لنا رأي أصحابه به وقولهم عنه بأنّ له وجهًا «يحمل تعبيرين مختلفين يتزاحمان على السيادة والظهور، ولكن ما أسرع أن يترك أحدهما المكان والمجال للآخر». كما أنّ آخرين من أصحابه أكدوا له أن حالته تلك ما أسرع أن تزول وتضمحل وتحلّ محلّها مشاعر الود والحب الفجائية وبشكل عارم. وخاصة عندما يكون للحديث علاقة بالأطفال أو الأشخاص المتميزين أو الكتب الرائعة. ثم يعترف عيسى ويصف نفسه بأنه «إنسان حساس» يحب العدل ويثور ضد الخطأ والظلم ويؤكد بأن حساسيته تلك حساسية مضبوطة ومسيطر عليها.

وفي مجال العلاقات والصداقات لا يوجد لديه منطقة وسطى أي بمعنى أنه لا يحب «اللّون الرمادي» في العلاقات فالأبيض أبيض والأسود أسود.

ولأنّ عيسى الجراجرة شخصية غنية بالعطاء، وعميقة وواسعة في حدودها ومداها فهو لا يترك شيئًا للمصادفات كما يقول!!

ويكدح ليلاً ونهارًا من أجل أن يعدّ لكلّ شيء عدّته في تأنّ وصبر ودقة متناهية. ولعل هذا ينطبق على أعماله الأدبية ومنشوراته أيضًا التي لا يقبل لها إلا النجاح وبتفوّق.

وعيسى في نهاية ذلك كله يقول: ليس هناك من مستحيل في الحياة والعمل، إنها حكمةٌ توجّه عملي وتقود حياتي .فكلّ من جدّ وجد، ولانجاح بدون إرادة أكيدة وصلبة فالإبرة تقول: أعطني إرادة وأنا أفتح لك طريقًا في الجبل.. كما أنّ الموهبة ليست سوى «شرارة في كومة قش كبيرة» إذا تهيأت لها رياح مواتية من الثقافة والاطلاع الواسع والمواظبة على التعلم المستمر، فإنها لن تنطفئ أبدًا».

مؤلفاته للكبار

١ـ شاعران من البادية، دراسة في الشعر الشعبي البدوي وشعر اثنين من فرسانه، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان ١٩٨٣م.

٢ـ المتحف الأردني، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والآثار، عمان ١٩٨٤م.

٣ـ التعليم والتدريب المهني في الأردن ـ واقعه وتطلعاته المستقبلية ١٩٨٦م.

٤ـ ريادة الإسلام في تفهم خصوصية عالم الأطفال، دار ابن رشد ودار الكرمل، عمان ١٩٨٨.

٥ـ هنيئًا للحسين العظيم، قصة لكل الأردنيين،عمان ١٩٨٥م، دار مؤاب للنشر والتوزيع. وله كتب أخرى مخطوطة.

أما في مجال الكتابة للأطفال فالكاتب عيسى الجراجرة يُعد بحقٍّ من كتاب أدب الطفل الأردني المرموقين. وخاصة في تحويل التراث الشعبي «الحكايات» إلى نصوص قصصية أدبية مقروءة وذات أسلوب رشيق وبديع لا يقدر عليه إلا أصحاب الدُّربة والغلبة في عالم التربية النفسية والإبداع الأدبي واللّغوي.

من كتبه للأطفال

١ـ العصفور يحاول منع انطباق السماء على الأرض، مجموعة من القصص الشعبية، عمان، منشورات وزارة الثقافة ١٩٨٣م.

٢ـ ثماني قصص للأطفال مستوحاة من التراث الشعبي الأردني كل قصة في كتاب منفرد في «١٦» صفحة نشرت بالألوان عام ١٩٨٢، في اليابان وهي: ورد، عريب الذكية، قرنزح وبرنزح، القطة وذيلها، القطة والفأرة والكلب، حديدون، النصائح الثلاث، الذبابة سوسو.

٣ـ السيارة العجيبة، مستوحاة من التراث الشعبي الأردني، دار ابن رشد، عمان ١٩٨٥م.

٤ـ أربعة كتب قصص للأطفال مستوحاة من التراث الشعبي الأردني كل قصة في كتاب منفرد «١٦» صفحة من القطع الكبير، عمان، ١٩٨٥م. مرسومة بالألوان، عناوينها هي: الولد سر أبيه، الأصدقاء الثلاثة، الحائك الحكيم، طويلة وقصيرة وجريئة.

٥ـ أردنية تحلم بنصرفي فلسطين، دار ابن رشد، عمان ١٩٨٥م.

٦ـ عشق حتى الموت، مجموعة من القصص الشعبي الأردني، دائرة الثقافة والفنون، ١٩٨٥م.

٧ـ يزن يكشف سرّ الخراف الباكية، مستوحاة من التراث الشعبي الأردني، عمان، ١٩٨٨م.

٨ـ هنيئًا للحسين العظيم، قصة لكلّ الأردنيين، عمان، ١٩٨٥م.

وفي الختام: يعدُّ الأديب الكاتب عيسى الجراجرة قيمة قلمية وإبداعية رفيعة وقصرًا عاليًا من أمجاد أدبية يجدر بنا أن نعتز ونفتخر بها.

المراجع:

١ـ ملحق عن حياة عيسى الجراجرة تضمنه كتاب «ريادة الإسلام» من إعداد زوجته السيدة هناء السلطي، دار ابن رشد عمان ١٩٨٨م.

٢ـ ثقافة الأطفال في الأردن، طه عثمان وروضة الهدهد ـ عمان ١٩٩٣م، منشورات الرابطة الوطنية لتربية وتعليم الأطفال في الأردن.

٣ـ الأدب والأدباء والكتّاب المعاصرون في الأردن، محمد حسن المشايخ مطابع الدستور ١٩٨٩م، عمان.

٤ـ أوراق خاصة من الأديب عيسى الجراجرة أرسلها إليّ بناءً على طلبي مؤرخة في أيار /مايو ١٩٩٤م.

آليات النقد الأدبي المعاصر

الطيّب بوعزة

إن الناظر في الصفحات الأدبية الصادرة في صحفنا، وفيما يطبع من كتابات نقدية يلاحظ ولا شك حدوث تبدل نوعي في أساليب النقد الأدبي ومناهجه ولغته عما كان سائداً في النصف الأول من هذا القرن، ولست هنا في مقام يسمح بالمقارنة المفصلة أو التأريخ لهذا التطور المعرفي، إنما قصدي من هذه السطور إطلاق صيحة لعلها ستكون غالبًا في واد! لأن هذا الزمن طغت فيه موجة الآلية حتى غزت مجال المشاعر والأذواق وتحكمت فيه بشدة. صيحة في واد؟ أجل إذ يبدو أن «مكننة الذوق النقدي الأدبي الراهن قد ذهبت به أشواطًا بعيدة حتى لم يعد يستسيغ تناول نص أدبي من دون هندسة وحساب!. خذ صفحة من صفحات الذوق الأدبي الحداثي ستجد افتعالاً وتعالمًا، ورياضيات هندسية وحسابية بمربعات ومنحنيات وأرقام يزعم الناقد واهمًا أن هذه الأشكال الميتة قادرة على الإمساك باختلاجات العواطف وتموجات النفوس والمشاعر والتقاط وهج الانفعال. لكن قبل رسوم الناقد ولغطه الهندسي، اقرأ أولاً النص الأدبي المنتقد، ستجد كلامًا لا يجمعه سياق ولا ينظمه معنى، ألفاظ منثورة متراكمة بعضها يصفع بعضًا تسمى شعراً أو خاطرة أو قصة. دون اشتمالها على ذرة تناسق وتكامل أو اجتماع على إنشاء معنى وتركيب مدلول. في الشعر مثلاً غموض مطلق، يلقاه الناقد بالعملية نفسها. وبدل رفض هذا النتاج الغريب وفضح عدم شعريته ومعارضة سخفه، يأبى إلا أن يكون ناقداً، فماذا يفعل؟ إنه يجيب الشاعر باللغة الحريصة نفسها على عدم الإيصال، فالشاعر يخاطبه بهلوسات السحرة وهذيان الكهنة والناقد يجيبه بمثلثات ومربعات المنجمين والفلكيين. ويتلقى القارئ المسكين هذا النتاج الغريب، ويأبى إلا أن يفهمه فيعجز. ومن ثم ينسب العجز إلي مقدرته المعرفية وعدم تمكنه من هضم ثقافة العصر والتماشي مع أذواقه المستجدة، لذا يعود القارئ وبلا وعي منه إلى لعبة نفسية ذهنية، هي لعبة الإسقاط، فيخلع النص الشعري من ذاته بحوراً من المعاني والدلالات، وهكذا يتواضع الجميع على التزييف والتخدير والتعالم الأجوف. لا أطلب بهذه السطور تسطيح الشعر وإغراقه في اللغة المباشرة، وجعل لفظه مشابهًا للفظ النثري، لا، فللشعر لغته الخاصة الحافلة بالمجاز والأخيلة، وبالانزياح الدلالي لألفاظها وغنى معانيها، لكن لا يشفع هذا التعدد والانزياح الدلالي للغة الشعرية أن تصل بالقصيدة إلى درجة من الغموض تنفي عنها كل دلالة وتفرغها من كل معنى، إن ثمة فرقًا كبيراً بين تعدد الدلالة بالإيحاء وعدم المباشرة الفجة في الخطاب، وانتفاء الدلالة كلية بالغموض المطلق. والخطير في الأمر أن هذا الانحراف الذي أصاب الإبداع والنقد، لم يقتصر على إبداعات الشباب، بل تخلل أعمال أكبر نقادنا ومبدعينا، وأعطيك مثالاً من أشهر نقاد الأدب في المغرب، أقصد الناقد البنوي المتميز محمد مفتاح، ففي إحدى مقالاته النقدية تناول قصة أحمد بوزفور «الغابي الظاهر» وذهب في تحليلها وتفكيكها وتقطيعها إلى أبعد حد ليخلص إلى حسابات ونماذج ميتة فارغة، وأشكال هندسية لا يسوغ الإتيان بها إلا الافتعال والتظاهر، ولا تفيد الإيصال في شيء، إنما تصنعه وتغمض ولا تبين، وأقتصر على مقتطف موجز يختصر ذلك. يقول الأستاذ مفتاح: «ولكن رجال البلاد مع اعترافهم بأن الزمان فاسد والجيل ماسخ لم يهتدوا إلى حل، وإنما صلوا وركعوا، أو على الأقل صلوا الفجر جماعة أي التوسط هكذا يضع الناقد هذا الشكل الهندسي بعد نقطتي تفسير! فهل فسر بتلك الخطوط المفتعلة شيئًا؟ وهل اختزل معنى؟ أراد أن يقول إن الفجر ليس نهاراً وليس ليلاً، بل هو غير النهار وغير الليل. وسيط بينهما! فما الداعي إلى ترجمة هذا التخريف إلى نص أو(قليدي)؟ أليس هذا هو الافتعال بعينه؟ بقي أن أضيف أن الأستاذ محمد مفتاح عنون مقالته النقدية هذه بـ «رسالة التخريف»، ولعل هذا من قبيل التواضع والأمانة في تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية!.

ليس لدينا إبداع أدبي وإنما تبعية للإبداع الغربي، فالشعر عندنا مولع بالتمارض بأمراض الغرب، تقليد أنينه في الضياع واللاإرادية، والنقد الأدبي العربي آلة تصوير تعكس بتقليد محكم مدارس النقد الغربي ونظرياته، ولذا بما أن النموذج الرياضي غزا العلوم والحياة الاجتماعية والمجال الفني والأدبي في الغرب، فإن نقادنا يأبون إلا أن يكونوا رياضيين على أحدث طراز، فيستحضرون على مكاتبهم أقلامًا ومسطرة وفرجاراً، استعداداً لرسم الدوائر والمثلثات والمربعات مشوهة بألفاظ وخطوط، ولا يكتمل المقال النقدي في حسهم وذوقهم المقلد بدون هذه الأشكال الهندسية السخيفة. إنها حركة ثقافية تابعة لا بد من مواجهتها بتأصيل واع مستنير قادر على إعطاء البديل الفني والنقدي المطلوب.

وخلاصة القول في نقد هذه الآلية الشائعة في النقد الحداثي هو أن لوعة القلب وهزة الوجدان واصطراع الانفعال في دواخل النفوس أبعد وأثقل من أن يحتويها رقم حسابي أو يختزلها شكل هندسي.

هامش

انظر أنوال الثقافي ع ٣٧. مارس ١٩٨٧م

محمد هارتزوج

من الكنيسة إلى باحة المسجد

في الشطر الغربي من ألمانيا، والذي كان يعرف باسم ألمانيا الاتحادية، ولد هارتموت هار تزوج في أسرة نصرانية متوسطة الحال، ولم تختلف طفولته عن أمثاله من الأطفال الألمان الذين رأوا بلادهم والخراب يحل بها، وترابها ينفصل عن ترابها، فتصبح دولتين على الرغم من الأصل الواحد واللغة المشتركة، بل والعقيدة الواحدة.

لم يكمل هارتموت تعليمه الجامعي، إذ تقلبت به أحوال الحياة، فعمل في مهن مختلفة، ممرضًا، فبائعًا، حتى استقر به الحال في إحدى الكنائس المنتشرة.. فكان عمله في الكنيسة - ويا للعجب - بداية تعرّفه الإسلام.

ولو أن أحدًا سأل هارتموت قبلاً عن مدى معرفته بالإسلام، لما زاد في إجابته على أنه دين يعتقده العرب وبعض الأتراك، إلا أن الوضع تبدل حين عمل بالكنيسة، وتعرّف على أسرة تركية مسلمة تقيم بجوارها، ومن خلال تلك الأسرة بدأ يتعرّف الإسلام.

القرآن يُتلَى والروح تنصت

كانت البداية حين زار هارتموت الأسرة المسلمة، وكأيِّ منزل مسلم كانت ربة البيت قد أدارت المذياع على إذاعة للقرآن الكريم، فاستمع الضيف إلى القرآن يُتلَى، وعلى الرغم من عدم معرفته اللغة العربية، فإن جسده انتفض، واستغرق تمامًا في الإنصات لآيات الذكر الحكيم، وبُهِرَ بها، وسأل مضيفه عما تعنيه، فشرح الأخير له ما قدر على شرحه، ثم أرشده إلى أن هناك تراجم باللغة الألمانية لمعاني القرآن الكريم يمكنه الحصول عليها من المكتبات، وفيها كل ما يحتاج إلى معرفته حول القرآن الكريم وآياته.

بادر هارتموت إلى شراء إحدى التراجم الألمانية لمعاني القرآن الكريم، وعلى الرغم من عدم قدرة الترجمة على الوفاء بالإعجاز القرآني، فإن ما قرأه فيها من معاني السور الكريمة قد أذهله، إذ وجد في كتاب الله ما كان يؤمن به دون أن يدري، وما كان يبحث عنه منذ زمن، إذ إن نظرته السليمة كانت ترفض فكرة الثالوث التي هي صلب عقيدة النصارى، ولا تفهم كيف يمكن أن يكون ثلاثة في إله واحد، فجاءت ترجمة سورة الإخلاص، لتكشف زيف عقيدة التثليث، ولتؤكد وحدانية الخالق عز وجل، وتفرده، وتساميه على أن يُشَبَّهَ بمخلوقاته في سنتها من زواج وتناسل، الأمر الذي لاقى قبولاً عقليًا لدى هارتموت، وهو قبول يستند إلى الفطرة السليمة ثم إلى المنطق الذي يرفض تعدد الآلهة، الذي يتعارض مع ناموس الكون والحياة.

إجابات للأسئلة المؤرقة

وأسهمت ترجمة معاني القرآن الكريم في إيضاح نقطة أخرى طالما أرقت فكر هارتموت: ألا وهي مسألة صلب المسيح عليه السلام، والادّعاء بأنه عليه السلام افتدى بذلك خطيئة البشرية، إذ قرأ معنى قوله تعالى: «وما قَتَلُوه وما صَلَبُوه ولكن شُبِّه لهم وإنَّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه ما لهم به من علم إلا اتِّباع الظنّ وما قتلوه يقينا» النساء:١٥٧. وأحس أن المنطق يتسق مع ما ذهب إليه القرآن الكريم من نجاة السيد المسيح عليه السلام من القتل والصلب، وتوقف كثيرًا متأملاً وهو يقرأ في سورة آل عمران قوله تعالى: «قلْ آمنَّا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباط وما أُوتيَ موسى وعيسى والنبيُّونَ من ربهم لاَ نفرّق بين أحد منهم ونحنُ له مسلمونَ» آل عمران:٨٤

لم يكن هارتموت في حاجة إلى مَنْ يقنعه بصدق القرآن الكريم أو أن الإسلام دين الحق، فقد اقتنع ذاتيًا، وآمن به، وبخاصة بعدما وجد في الإسلام دينًا يدعو إلى الحرية، ويجعل علاقة العبد بخالقه علاقة مباشرة لا تحتاج إلى واسطة أو كهانة، مثلما تفعل النصرانية حين تجعل من القس واسطة النصراني إلى ملكوت الله.

عندئذ قر قرار هارتموت على اعتناق الإسلام، لكنه ارتأى أن يسافر إلى بلد مسلم ليعرف أكثر عن الإسلام، فاستجاب لدعوة من أسرة أردنية مسلمة تربطه بها علاقة صداقة، وسافر بالفعل إلى الأردن في شهر رمضان ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) إلا أنه صدم حين وجد بعض المسلمين يأكلون ويشربون نهارًا جهارًا، فعاد إلى برلين دون أن يشهر إسلامه، معطيًا نفسه بعض الوقت للتفكير.

إشهار إسلامه

وحل عام ١٩٧٩م (١٣٩٩هـ) ولم يكن هارتموت قد دخل الإسلام بعد، رغم أنه سعى جهده لأن يبتعد عما تنهى عنه الشريعة الإسلامية من شرب خمر أو فجور، ثم اتخذ قراره، وبالفعل توجه إلى الأردن، وقبيل عيد الأضحى المبارك عام ١٣٩٩هـ، وتحديدًا في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة أشهر إسلامه في المحكمة أمام قاضي القضاة ونطق بالشهادتين.

اختار هارتموت اسم «محمد» تيمنًا بسيد ولد آدم عليه السلام، وعاد إلى بلاده وقد صار «محمد هارتزوج»

حين عاد محمد إلى برلين في ألمانيا لم يصعب على أشقائه ملاحظة ما طرأ على سلوكه وشخصه من تغيرات، إذ لم يعد يشرب الخمر أو يأكل لحم الخنزير مطلقًا، وأثار انتباههم حرصه الشديد على أداء الصلوات الخمس، إلا أن أحدًا منهم لم يعترض أو يحاول إجباره على فعل ما لا يريد، فقط كانوا يحيطون به ويتساءلون لماذا يحرم الإسلام هذا؟ فكان يبادرهم إلى شرح أضرار الخمر، ثم ما اكتشفه علماء النصارى أنفسهم - مؤخرًا - من أضرار لحم الخنزير. والذي يؤكد أن ما جاء في القرآن الكريم قبل خمسة عشر قرنًا إنما هو إعجاز علمي، لا قدرة للبشر على استبطان أسراره لأنه من لدن حكيم خبير.

تأسيس جمعية المسلمين الألمان

كانت تلك التساؤلات التي يواجَه محمد بها من قبل الآخرين حافزًا له لأن يوجه جهوده لخدمة الإسلام والتعريف به، فأسس عام ١٩٧٩م جمعية للمسلمين الألمان في برلين، مهمتها مساعدة أي ألماني يرغب في تعرّف الإسلام والرد على أية استفسارات للمسلمين الألمان الذي لا يجدون من يرشدهم في أمورهم الشرعية، لكون كثير منهم لا يعرفون سوى اللغة الألمانية، وقامت الجمعية بوضع خط تليفوني لخدمة هذا الهدف النبيل.

ومحمد هارتزوج وزملاؤه في الجمعية يقومون حاليا بدور عظيم في خدمة الجالية المسلمة الألمانية، إلا أن الجمعية بحاجة إلى دعم المنظمات الإسلامية عبر إمدادها بالكتب والمراجع الإسلامية باللغة الألمانية، حيث إن جميع أعضائها متطوعون لخدمة أهداف الدعوة، ولأنهم لا يعرفون اللغة العربية، ووجود كتب إسلامية بهذه اللغة يساعدهم كثيرًا على أداء مهمتهم النبيلة، وبخاصة مع وجود كتب وكتابات مغرضة تدس السم في الدسم لخلخلة العقيدة في نفوس المسلمين الألمان. فهل يتحقق رجاؤهم ورجاؤنا معهم؟

قصة قصيرة

الكوة

غياث فؤاد الأسد

في تلك الأيام البعيدة من أيام كانون الباردة كنت تحس بالدفء أكثر من إحساسك به الآن، كانت مواقد الحطب تمدك بدفء من نوع خاص لا تستطيع أنْ تمدك به تلك المدافيء التي تفننت العقول في تصميمها والتحكم بدرجة حرارتها... في ذلك الماضي البعيد كنت تشعر بنشوة عارمة تجتاحك وأنت تتعمد السير ببطء إذا فاجأك المطر... كنت ترغب أنْ تسقط الأمطار فوق رأسك وحدك لتغسل روحك وأنت تمني نفسك بالموقد الذي ما إنْ تدخل باب منزلك الطيني حتى يلفح وجهك وهج جمره المتوقد... كنت تنظر إلى أطفالك بحب كبير ثم تتحول بنظراتك عنهم إلى الكوة الضيقة التي لا تكاد تريك حقول القمح وهي تغتسل مثلك... كم كنت تدمن النظر من تلك الكوّة إلى الحقول وإلى ذلك الجدول الصغير، لقد كانت مياهه تجرف الأغصان والأوراق اليابسة... كانت تجرف بقايا ورواسب قد تكون عالقة في داخلك الذي كان طاهرًا...؟! كان عبدالله - «أو عبود» كما كان يعرف في قريته - يسترجع ذكرياته وهو ينظر من خلال نافذة عريضة إلى الشوارع الفسيحة التي كانت شبه خالية إلاّ من بعض المارة.

«ملعونة تلك الساعة التي غادرت فيها قريتي، وملعونة أكثر هذه المدينة التي لم أجن منها سوى آلام الظهر المبرحة».

قال عبدالله في سره... وقرر العودة إلى منزله الذي بقي له في قريته بعد أن باع أرضه ليشتري بثمنها تلك الوظيفة التي حوّلت عالمه إلى أرقام وحسابات لم يكن يحلم بها، وتحول العمل إلى مضاربات وتعهدات... وآلام شديدة في العمود الفقري. «لعن الله تلك الآلام»... قالها بألم ظاهر وقرر في سره:

«لا بد من العودة إلى القرية، وخصوصاً أنَّ الأطباء نصحوني بالسير وعدم الجلوس الطويل».

فكر عبدالله قليلاً ثم رفع سماعة الهاتف... تحدث مع وكيل أعماله وطلب منه أنْ يباشر بتصفية أعماله وبيع ممتلكاته، ثم أنهى المكالمة والبهجة تعلو وجهه، التفت عبدالله إلى زوجته وأخبرها بقراره المفاجيء... لكنه لم يبال لأنها رفضت الفكرة من أساسها في البداية، فهي رضخت في النهاية للأمر الواقع. اقترب عبدالله من النافذة العريضة وراح يراقب الشارع... تخيل نفسه أصغر بكثير والآلام قد فارقته... تخيل النافذة كوة ضيقة لكنه كان يرى من خلالها العالم.

تزايد المستنقعات في الشارع أعاده إلى واقعه... أحس أنَّ السيل المتشكل يصب في أعماقه فأدرك سر انقباض نفسه التي تاقت إلى الاغتسال، وتساءل بينه وبين نفسه عن عدد السنوات التي لم تهطل خلالها قطرة مطر واحدة على وجهه. توكأ على ابتسامة شاحبة وهو يمني نفسه قائلاً في سره:

«في الغد عندما أعود إلى قريتي لن تكون هناك مظلات تحجب عنّي المطر... ولا نوافذ داكنة تحجب عني رؤية الأرض وهي تتوضأ متأهبة للصلاة».

رنين الهاتف المزعج سرق عبدالله من أحلامه... تناول السماعة ببرود وعندما عرف حقيقة محدثه ارتفعت لهجته... لحظات قليلة وتنتهي المكالمة مصحوبة بآيات الشكر والثناء.

التفت إلى زوجته بفرح ظاهر وأخبرها قائلاً:

باركي لي يا زوجتي العزيزة، لقد تحدّث معي الوزير شخصيًا وأخبرني أنَّ منصبًا رفيعًا بانتظاري.

قطع حديثه وتناول الهاتف:

دع الأمر كما كان عليه وأوقف معاملات البيع.

كان يتكلم مع وكيل أعماله.. وهو ينظر من خلال النافذة العريضة فبدت له كوّة صغيرة لا يرى من خلالها سوى الشارع الفارغ إلاّ من بعض السيارات الإضافية التي ستزين موقف منزله... ابتسم ابتسامة عريضة وهو يبتعد عن النافذة حتى لا يصاب بالبرد... جلس بجانب زوجته وراح يهمس في أذنها كلمات هلاميّة عن رحلة علاجية سياحية تعيد إليه شبابه الذي كان قد نسيه هناك عند عتبة ذلك البيت الطيني القديم.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

هل مقدمة صحيح الإمام مسلم تُعدّ كتابًا مستقلاً؟

د/ مصطفى ع ع أ.

ج.م.ع

لا يتم صحيح مسلم إلا من خلال مقدمته التي كتبها بنفسه، إذ بيّن فيها كثيرًا من منهجه الذي سار عليه فهي: مقدمة وتمهيد ومفتاح للصحيح في الجملة.

وقولي: لا يتم بمعنى أنه لا يصح الصحيح إلا وهي مقرونة به؛ لأنه ـ رحمه الله تعالى ـ فصل القول في اللقاء والعنعنة وما سوى ذلك. فإذا جُعلت في كتاب مستقل قد يظن قليل العلم أو ضعيف الخلفية أن مسلمًا أخطأ، أو تجاوز المنهج، أو تعجَّل في الوصل والإرسال والتدليس والرواية عن بعض الضعفاء، فيحكم على الإمام حكمًا جائرًا، بينما هو له منهجه ورأيه السديد فيما أثبته في صحيحه. وبالسَّبر نجد مسلمًا إمامًا فحلاً تقيًا ورعًا نزيهًا ذا رواية ودراسة، فليس يصلح جعلها كتابًا مستقلاً، حتى وإن أشير إلى أنها مقدمة الصحيح.

ما حكم شرب البيرة؟

م.م.م ـ سوريا

البيرة ليست نوعًا واحدًا، لكنها أنواع، فما خالطها كحول ولو كان قليلاً فحرام بنص السنة الصحيحة، وما خالطها كحول سمي بغير اسمه فكذلك؛ لأن الكحول نفسه ليس نوعًا واحدًا، فهناك أنواع كثيرة منه تتخذ أسماءً متعددةً، وهي كحول، لكن ضابط ذلك هو تحليل البيرة، والكحول إن وجد فسوف يتبين. إن كانت من الشعير وتخمرت بما يضاف إليها من مواد مثبتة وحافظة وسكر فالقياس على ما تقدم. وإن لم تضف إليها مواد تخمرها إنما هي مجرد شراب دون الشعير فمباح، والله تعالى أعلم.

أيهما أصح حديث عباده أو حديث أبي سعيد الخدري في الأعيان؟

عبدالعزيز م / جدة

لعلك تريد حديثهما في الربا وما ورد فيهما عنهما من النهي عن: بيع الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل يدًا بيد، والفضة بالفضة مثلاً بمثل يدًا بيد، وكذا البر والشعير والتمر والملح. وحديثهما صحيح جدًا سندًا ومتنًا وحديث عبادة بن الصامت عمدة في هذا.

ما ترون في لبس (دبلة) الذهب مع اعتقاد التحريم؟

خالد ل/ ج.م.ع القاهرة

سبحان الله! مسلم يعتقد التحريم لدبلة الذهب ثم يلبسها، هذا إما مكابر فهي مصيبة، وإما متساهل، وإما يتمنى على الله بالمغفرة مادام لم يعتقد الإباحة.

والتساهل ضعف في العقل، والتمني من صفة دين اليهود. لكن المسلم الحر القوي يلتزم، فمن لبس (دبلة ذهب) مع اعتقاد تحريم ذلك فقد ارتكب إثمًا صريحًا؛ إذ لا مخرج له من الإثم لكونه يعتقد التحريم.

هل يلزم من الطواف ركعتاه؟

عمر أ / مكة ـ الحجون

ركعتا الطواف التي يؤديها الحاج أو المعتمر بعد الطواف سنة لا يلزم أداؤها، لكن الأفضل الإتيان بها وعدم تركها.

من نام عن الصلاة ثلاثة أيام كيف يقضي؟

محمود زين مبارك /الأردن

يصليها إذا أفاق من نومه مرتبة تباعًا ولا يصلي كل وقت مع الوقت الموافق له، لكن يقضي الصلوات ولو في يوم واحد حسب ترتيبها الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء.

الأخ عبدالرحمن/ أبها

يردك جواب خاص

الأخ سالم بن براك الرشيدي/ السودان

هذا يعود إلى سفارة بلدك ولا علاقة للمملكة فيه، ومصر فاتحة أبوابها لكل مستفسر.

كارلوس الخامس في تونس

مصطفى بوهلال

كارل الخامس هذا أو شارل كان ملك إسبانيا من سنة ١٥١٧م إلى ١٥٥٧م، حلَّ بتونس في يوم مشهود، فما الخبر، أهي زيارة دولة أو ضيافة مجاملة أو زورة سياحة واستجمام، أهي رحلة استشفائية لعلاج الأعصاب وتنقية الدم، أم قدوم لتوطيد العلاقات الودية وفتح مجالات أرحب للتّعاون وخدمة السلم والإنسانية!؟.

لا .... حلوله لم يكن لشيء من ذلك كله، إنما هو الاحتلال والاعتداء وعون الظالم ومواصلة التلاعب به - وهو البيدق الطّيع - على رقعة الشّطرنج لإماتة الإسلام والدّعاية للصّليب، فالحلول الكارلوسي المشؤوم كان حملة صليبية شرسة تنضمّ إلى سلسلة الحروب الصليبية بكل ما يقتضيه هذا الانضمام من فاسق كيد، وفاحش إراقة الدماء، من أشد إرهاب وتدمير، وأبشع عمليّات الابتزاز والحرابة.

وإن كان اتفاق المؤرخين مؤكّدًا أنها أصابت العالم الإسلامي، ومركزه بيت المقدس، بشر مستطير، فإن الكتابات التاريخية العربية الحديثة - في المشرق - عن الحملات الصليبية الضارية على المغرب العربي متواضعة مقلّة إن لم تكن مفقودة. وبيّن أنّ هذا التوجه يغيّر من المعطيات مع ما فيه من تشويه وبتر لصفحة من صفحات التاريخ الإسلامي، ذلك أن تناول الحديث عن الحملات الصليبية خارج المشرق، على الرغم من شموله لما شن على الأندلس وصقلية، كان كالمعدوم في غيرهما من أقاليم الغرب الإسلامي، وأذكر شاهدًا واحدًا: الكتاب القيم «ماهية الحروب الصليبية» للدكتور قاسم عبده قاسم(١)، وربما نهض هذا موعزًا لإنجاز جزء من هذا المبحث.

وإذا كان القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي أخطر فترة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية على الإطلاق، إذ تعين على العالم آنذاك أن يلتزم جانب الدفاع إزاء الهجوم الذي كان يتعرّض له من الشرق والغرب على حدّ سواء، ففي الأندلس كانت المساحة الإسلامية على خريطة إسبانيا تتراجع أمام الهجوم الكاثوليكي، في الوقت الذي كانت قوات الحملة الصليبية السابعة تنزل على شاطئ البحر الأبيض المتوسط أمام دمياط، وكانت جحافل التّتار بقيادة هولاكو تطوي بلدان المشرق الإسلامي وتقترب من عاصمة الخلافة العبّاسية الواهنة في بغداد)(٢).

وإذا كانت الإمارات الصليبية المتكتلة في إسبانيا قد أحكمت الانقضاض على ما بقي من المسلمين ودويلاتهم إلى أن سقطت غرناطة سنة ١٤٩٢م فأنهت دولة الإسلام بشبه الجزيرة، وإذا كان المسلمون قد تنفسّوا الصّعداء - في القرن الثالث عشر من ميلاد المسيح - بخروج الصليبيين من فلسطين والمشرق(٣). وعلى الرغم من «لجوء فلول الصليبيين والفرسان إلى قبرص ورودس لتتخذهما مقرًّا للقرصنة والإغارات السّريعة على شواطئ الشام ومصر في القرن الرابع عشر الميلادي وبداية القرن الخامس عشر الميلادي، وقد تكفّلت دولة سلاطين المماليك في مصر والشّام (٦٤٨-٩٢٢هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، بمواجهة هذا العبث الصليبي»(٤).

وإذا كانت كبرى الوقائع تجري هكذا بالشرق الإسلامي فإن أحداثًا جسامًا أيضًا قد شهدها العالم في القرنين الثالث عشر الميلادي والرابع عشر الميلادي - بالمغرب الإسلامي الذي كانت تحميه - جملةً - الإمبراطورية الموحديّة، تلك التي عرفت فترة مجيدة من الاستقرار والازدهار. غير أن تمرّد الانفصاليين أصابها بالتدهور وتلاشي الأمن، ولم تسلم من مناورات الإسبان والنورمان، ولم يتراجعوا في مساعيهم لتقويضها، ولذلك طفق الإسبان يوحّدون صفوفهم، ويجمعون الأنصار من شتى الأقطار النصرانية، ولما تيقنوا من وفرة عددهم وقوة معداتهم شرعوا في التضييق على المسلمين بالأندلس، وفي غزو بلادهم، مما جعل الموحّدين يسارعون بإيفاد جيشهم إلى إسبانيا يقوده السلطان محمد الناصر، وذلك سنة ١٢١١م، قاصدين من وراء ذلك نجدة الأندلسيين ولكنهم لم يتوقّعوا أن يستصرخ الإسبان البابا وأن هذه الحرب ستصطنع صفة جهاد صليبي نادى به البابا نفسه،

وأقبل للمشاركة فيه عدد هائل من النصارى من مختلف الأقطار، ودارت رحى الحرب بمكان يعرف بالعُقاب، وكانت نتيجتها أن هزم جيش الموحّدين هزيمة نكراء، وعدّ النصّارى يوم ١٦تموز/ يوليو عام ١٢١٢م، يوم نصر ديني مشهود(٥).

نعم هنا بالمغرب العربي احتدت المواجهة الصليبية لمّا انتهت هناك بالمشرق العربي بقضاء المماليك على صليبيّي قبرص القراصنة: «وكان مشهد ملك قبرص الصليبي من آل لوزنيان وهو يمشي ليلاً والأصفاد تكبّله في شوارع القاهرة في القرن الخامس عشر الميلادي إعلانًا بنهاية المواجهة العسكرية»(٦).

واتفق أن تزامن الاحتداد ودبيب الضعف في هيكل الدولة واشتعال الفتن والمطامع والعصيان والتّصدعات، فقام بنو مرين بإنشاء إمارتهم بفاس سنة ١٢٦٩م، وبنو زيّان بتلمسان سنة ١٢٣٦م، واستقل بنو حفص بإفريقية بمقاطعة طرابلس الغرب والبلاد التونسية ومقاطعة بجاية بالجزائر ومثلها وهران.

الحفصيّون وابن عرفة وابن خلدون

اتّخذ الحفصيّون مدينة تونس عاصمة لهم، يقيمون ببناية القصبة (قصر الحكومة الآن)، ففيها مساكنهم والديوان وبيوت جيش الحراسة.

يهمنا هنا أن الدولة الحفصيّة حين قيامها في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي «أتتها بيعة الأشراف من بيت الله وحرم الأمن ومهبط الوحي وموضع ضجيج التلبية، حين كانت أقرب إلى خلال الخير وأثّل ملوكها في الحاضرة وغيرها المصانع الجليلة والأبنية النافعة، كالزوايا في الطرق لأبناء السبيل والمساجد والمدارس للمهاجرين في طلب العلم والمكاتب للقرآن العظيم، ووقف الكتب العلمية في أماكن حفظها إعانة لأهل العلم، وإجراء الماء لتسهيل العبادة، إلى غير ذلك مما يفنى أثره ولم ينس خبره. وفي أيامهم نفق سوق العلم وظهر من الراسخين في هذا القطر التونسي أعلام تباهي بهم الملّة الإسلامية، ويفاخر بهم المغرب العربي والمشرق ومصنّفاتهم تشهد بذلك»(٧).

مدوّنة تاريخ الحفصيّين تحفل بالإنجازات العمرانية المتقدّمة (أسواق، حمامات، معاهد، صهاريج، قنوات جلب الماء) والازدهار الاقتصادي، والتوسع التجاري الخارجي الذي حدا بالدولة إلى تركيز ديوان البحر كإدارة جمركية منظّمة، وإلى عقد معاهدات عديدة مع جهات تجارية أجنبية، وفي المجال الدّيني والفكري «كان عصرهم من عصور ازدهار العقيدةالإسلامية الصحيحة، إذ تشدّد العلماء والقضاة في العقاب على البذاءة، وفي مقاومةالسحر وفي القضاء على العادات والاحتفالات التي تتنافى مع الدّين، وقد كان الإمام ابن عرفة(٨) في هذا الباب مشكاة أنارت سبيل المسلمين بما جاء به من اجتهاد»(٩).

ولا ننسى أنّه قد «انضاف إلى أهل البلاد عنصر جديد هم لاجئو الأندلس، فقد هاجر إلى تونس نخبة ممتازة من كبار علماء العدوة الإسبانية وأدبائها، وما انفكت هجرتهم إلى إفريقية في نمّو وازدياد حتى أصبحت تونس أم البلاد المغربية وقصبتها الكبرى دون منازع.

ومما أعانها على ذلك وجود جامع الزّيتونة»(١٠) الذي هو أسبق المعاهد التعليمية للعروبة مولدًا، وأقدمها في التاريخ عهدًا، وقد حمل مشعل الثّقافة العربية اثني

> **إذا كانت كبرى الوقائع جرت في الشرق الإسلامي، فإن أحداثًا جسامًا شهدها المغرب الإسلامي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين**

عشر قرنًا ونصف القرن بلا انقطاع ولا انفصال، تجّرد في خلالها لدراسة العلوم الإسلامية، وذلك منذ سنة ١٢٠هـ/٧٣١م(١١). ولعل التذكير بعلم ثان من أعلام الزيتونة في عهد الحفصيين، كاف للتدليل على النبوغ الإسلامي في المغرب - وذلكم هو عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ-١٣٣٢-١٤٠٥م) ولد بحضرة تونس بالنهج المعروف اليوم بتربة الباي، تولى كتابة تاريخ الإمارة الحفصية بتونس، وأقام بتلمسان، ثم فاس، والأندلس، وغرناطة - حيث كلّفه أميرها بسفارة إلى أمراء الإسبان وعاد الى بجاية فتونس، حيث قدم إلى السلطان الحفصي مؤلّفه (كتاب العبر)، متولّيا رئاسة دواوينه، ومدرسًا بجامع الزيتونة، إلى أن قصد الحج، ليستقر بمصر قاضي قضاة المالكية فيها.

ترك ابن خلدون نسخة من كتابه في قصر القصبة بتونس ليقرأ منه السلاطين والعامّة بيانًا رصينًا يقعّد السّياسةالمبتغاة: «تبين أن خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية، فإذا نظرنا في أهل العصبية، ومن حصل لهم من الغلب على كثير من النواحي والأمم، وجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزّلات والاحتمال من غير القادر، والقِرَى للضيف وحمل الكلّ وكسب المُعدم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الأموال في صون الأعراض، وتعظيم الشريعة وإجلال العلماء الحاملين لها، والوقوف عند ما يحدّدونه لهم من فعل وترك، وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين، وأمثال ذلك علمنا أن هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أو على العموم، وأنه خير ساقه الله تعالى إليهم.

وبالعكس من ذلك إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم علي ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها، فتُفقد الفضائل السياسية منهم جملة، ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيًا عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير: وإذا أَرَدْنا أن نُهلكَ قريةً أمرنا مُتْرَفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القولُ فدمّرناها تدميرًا. الإسراء:١٦. واستقر ذلك وتتبعه في الأمم السابقة تجد كثيرًا مّما قلناه ورسمناه وربّك يخلق ما يشاء ويختار. القصص: ٦٨(١٢).

مثلّث الفسوق والذّيلية

وتتبعناه فظهر كلّه حقًا واقعًا وعلمنا أن ملكًا شاذًا من آخر ملوك بني حفص عمي عليه، وعلى ابنيه جميع ذلك فضلّوا وأضلّوا، سجّل مؤرخ كان حيًا أواخر القرن الحادي عشر للهجرة: «سمعت من يذكر من أهل تونس أن السّلطان الحسن ساءت سيرته في الناس واضطربت عليه البلاد وخرجت عن طاعته»(١٣) اغتروا بصداقة الأجنبي الأقوى متجاهلين أنّه أعدى أعداء للمسلمين فكانوا يده التي يبطش بها، وبذلك تلاحقت أركان المملكة في الانهيار وبعد تبحّر في التعمير واليقظة الفكرية لحوالي ثلاثمئة وخمسين عامًا(١٤).

لأن «الوازع في أول ملك القوم على قانون شرعي أصوله الكتاب والسنة دانوا به في أنفسهم، وحضوا عليه من ورائهم وانسلخ أواخرهم عن هذا الخلق، وأرسلوا سوائم نفوسهم في مراتع الشهوة الحيوانية. مَنَ الجرأة على القتل وأخذ الأموال بغير وجه شرعي ولا سياسي والتصرف بالقوةالحيوانية بلا وقوف عند حد»(١٥).

أتى هذا سببًا رئيسًا في التعجيل بسقوط سلطنة بني حفص وإيقاع البلدان في أتون حارق، والزج بمواطنيها في متاهات حالكة خانقة ماسخة، فقد لاح - في كل

مكان ـ تطاول رؤوس شقّ عصا الطاعة والتمرد، وتكشير الطامعين في الاستيلاء على مقدّرات البلاد عن الأنياب الفتاكة الحادّة. من ذلك تلهّف أمراء المسلمين بالمغرب الإسلامي على التطاحن السّخن فيما بينهم، والإغارات على المناطق الحدودية بغية الافتكاك والضم إلى دائرة العرش، وإنك إن نظرت في تصانيف التاريخ وجدت اشتداد التنافس السّلبي وتصاعد غيوم العداء وهدم جسور التواصل السياسي بين بني حفص وبني مرين وبني زيّان، مما أوهن قواهم في الحروب بين الإخوة الأجوار وقساوة الثورات الأهلية كحركة سوسة ـ جوهرة الساحل التونسي ـ الانفصالية، وقيام الشّابيّين بالقيروان، فقد استطاع عرفة الشابي إنشاء الدّولة الشّابية بالقيروان سنة ٩٤٢هـ ١٥٣٥م وإرساء أسسها»(١٦).

ومن المآسي المقرفة أن أسالت علل التدهور والانحطاط لعاب العدّو المتربص وهاجت شراهته للوثوب والسّحق: «إن الحركة الصليبية ظلت تحكم الأفكار والمشاعر في الغرب الأوربي فيما بين سنة ١٠٩٥م وسنة ١٤٠٠م، بصورة شاملة كما ظلت للحروب الصليبية جاذبيتها في أوربا الغربية حتى القرن الثامن عشر»(١٦).

لتغذية الشّهية الصليبية منابع وروافد وتلك إحدى المحّفزات ـ وللمصائب عند أقوام فوائد ـ ومن جهة ثانية احتدت المراودات البابوية لأمراء الدّول المغاربية، وهاته رسالة من البابا بتاريخ ٣١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٢٤٦م يلمح فيها إلى التنازل للنصارى عن بعض الثغور الاستراتيجية بسواحل البحر الأبيض المتوسط: إن لك أعداء متحمسين وأقوياء يسعون للاستيلاء على ملكك بالحيل وبالسلاح، واعتقاد المسيحيين بأن النصر متوقّف على توفيق الله أكثر من توقفه على وفرة العدد الذي جعلهم يقفون في وجه هؤلاء المعتدين، وقد نجحوا في غالب الأحيان في الدّفاع عن عقيدتهم وفي المحافظة على دولتكم. وربما أن يؤخذوا على حين غرة فنخشى بطول الزمن أن تتغلب وفرة عدد الأعداء على قيمة رجالنا، ولذلك نرجو من حضرتكم أن تمكّن المسيحيين من بعض المراكز المحصنة كي يأووا إليها في أوقات الشدة، ونطلب منك أن تعهد إليهم بحراسة بعض الموانئ الساحلية ليمكن لهم عند الحاجة أن ينطلقوا منها، ويستعدوا، ثم يعودوا، ومعهم ثروات جديدة يساعدونك بها»(١٧)، ولّما لم تنفع هاته البسبسة الزّنيمة لجأ البابا إلى التهديد الصريح، ففي رسالة إلى السلطان سنة ١٢٩٠م، قال: «فإذا أنت أردت أن تكون عدو المسيح عوضًا عن أن تكون صديق المسيح فإننا لا نستطيع السّماح للمسيحيين بأن يبقوا في خدمتك»(١٨).

تلك هي لغة الكنيسة للتفاهم مع المسلمين، رؤوس حراب ملغومة، وصنارات قنص مسمومة!

ومن جهة ثالثة مساندة، قويت التطلعات الديبلوماسية والعسكرية لإحكام القبضة على عجلة التجارة العالمية لصالح الغرب النصراني في حوض البحر الأبيض المتوسط، إذ «من الجدير بالذكر أن القرن الخامس عشر الميلادي قد شهد بداية المحاولات الأوربية للسيطرة على تجارة البحر الأحمر وتجارة المحيط الهندي أيضًا»(١٩) ولا يقبل إغفال انتشار شبكات القرصنة في البحر الأبيض المتوسط خاصة، وسقوط بعض الحصون البحرية والمواقع في أيدي دهاة الصليبية كوهران والجزائر

لما تغلب الإسبان على تونس في أواسط القرن العاشر الهجري، هاجموا الزيتونة وبددوا نفائس دررها، فذهبت أدراج الرياح

وبجاية وطرابلس وجربة وعنّابة، وإزاء هياج هاته الروح النصرانية المسعورة وعجز الإمارات عن دفع أوارها الملتهب، تحرك قوّاد بحريون أتراك كانوا هم أيضًا يتحركون في دائرة القرصنة، وأشدهم بأسًا: الأخوان عرّوج وخير الدين بربروس.

«وعندما استدعى سكان مدينةالجزائر عرّوج قام هذا الأخير باحتلال المدينة، وحاول إنشاء دولة قادرةعلى العمل على وحدة المغرب إلا أن هاته البداية الناجحة قد فشلت عندما تحالف الإسبان مع بعض المواطنين من القبائل»(٢٠).

لكن أخاه خيرالدين لّما تم له القضاء على الحامية العسكرية الرهيبة للإسبان قريبًا من الجزائر العاصمة سنة ١٥٢٩م، التفت إلى تونس المحتضرة: «وقد استقبل الأميرال خير الدين من طرف الشعب أحسن استقبال، واستولى بسهولة على مدينة تونس يوم ٨ نيسان/ أبريل ١٥٣٤م ونادى بسقوط الحفصيين»(٢١).

إن دخول خير الدين لتونس فرضته هاتيك الأحوال المتعفنة وما يكتنفها من أطماع صليبية دنيئة، وما حل بها من اقتطاع إسباني لبعض الموانئ:«فعزم على امتلاكها، وربما كان ذلك بإيعاز من السلطان سليمان القانوني، وخطب بها للسلطان العثماني، وسكّن الثائرة، وأمّن الناس، فاستتب بها الأمر»(٢٢).

في هذا الزمن ـ القرن الخامس عشر وما بعده ـ تعاظم تنافس القوتين العظميين

١ـ الخلافة العثمانية، حيث قويت شوكة آل عثمان في المشرق واستفحالها في الشام ومصر والحجاز، وفي آسيا الصغرى وشرق القارة الأوربية.

٢ـ دولة الإسبان الذين ساسوا القسم الأوفر من غربي القارة الأوربية، خصوصًا تحت قيادة الامبراطور كارلوس الخامس(٢٣). صحيح أن «الحملة الصليبية السابعة آخر جهد أوربي كبير ضد مصر، ولكنه لم يكن آخر الجهودُ الصليبية على أيّ حال»(٢٤)، ذلك أنّ المغرب العربي قد ابتلي بشواظها الصاهر بشكل أعنف من ذي قبل.

ورغبة من دولة الخلافة في إيقاف نزوح الصليبيين وتحكمهم بالدّيار، عنوة أو بحيل سلمية، وفي إنهاء التحرك الهمجي الإرهابي سواء بحجة الحج المسيحي، أو الرحلة المقدسة، أو الحرب المقدسة ضد المسلمين كما سمتّها الكنيسة، كانت سياساتها صارمة وسريعة للتدخل في شمال إفريقية المسلم، غير أن المعوقات متنوعة، ويبدو أن أعوصها خيانة بعض الأمراء من بني حفص لدينهم ووطنهم استجداءً وتفرداً في ذلة، واستعانة منحرفة بالعدو الصليبي تشبثًا بالكرسي المهترئ كما فعلها المخلوع الظالم الملاحق، إذ التجأ الأمير الحسن إلى إسبانيا مستنجداً بالإمبراطور كارلوس الخامس: شارلكان الذي دخلها قسراً سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥م(٢٥)، ورخّص لجنوده نهب المدينة فاستباحوا حماها بالقتل والأسر بأفظع مايسمع، وقد فرّ خير الدين بمن معه إلى الجزائر، ونصّب الامبراطور كارلوس الأمير الحسن على كرسي تونس للمّرة الثانية، وأقام معه شريكًا أحد قواد عسكره للنظر في شؤون البلاد، وبمقتضى هذه الحملة التزم الحسن الحفصي التنازل عن عدّة مدائن تونسية للإسبان، وبدفع خراج سنوي قدره اثنا عشر ألف دوكة (٢٦) كما اضطر لتحمل شروط أخرى قاسية ومهينة مّما اعتاد الأقوياء فرضه على الضّعفاء(٢٧) وقاسمه

في أمر دولتـه الكونت سربلوني الإسبـاني نائبًا عن الامبراطور، ولاقى التونسيون في تلك الأثناء الجور المرير من أنواع الظلم، مما حملهم على الفرار إلى البوادي والاختفاء بالشعاب والكهوف، ونالهم من التشرد وضروب الهوان ما لا يوصف(٢٨).

وبالحُلل وصف للتحرك، قال: «ولمّا تمكن خير الدين من تونس وردت عمارة [أي قوة عسكرية] من النصارى استنجد بها الحسن من قبل الامبراطور بها مئة ألف مقاتل، ولمّا نزلت النصارى وتلقاهم جند الترك ومن انضاف إليهم من أهل الحاضرة، وكانوا قدر ثمانية عشر ألفًا، والتقى الجمعان شرقي تونس، وخير الدين يحّرض المؤمنين على القتال، وظهر في ذلك الحرب ثبات وشدة إقدام وتمكّن في أنواع الحرب، وكاد أن يكون الظفر في أيدي المسلمين»(٢٩).

لم يعط الحسن للرّعاية حقوقها وفرّ من خير الإسلام ومحبة شعبه، لذا التقى في تزاوج غير شرعي ـ ثالوث الادّعاء بشرعية وراثة ملك منهار والنهيق الصليبي من أمراء إيطاليين أن (صيدك لا تحرمه) يا كارلوس أوربا، ونعيق الحرب المقدسة الذي يصرخ به البابا النصراني! وكانت المهزلة إجلاس عميل للمرتزقة على بقايا كرسيٍ منحنٍ للصليب، بل قل هي المأتم عينه سادته قتامة واكفهرار على مذبح العزة والكرامة والحرية، فقد قيدت المصادر أن الطاغية النصراني جعل على كل أسير فار أُتي به من مكمنه ألف دينار وأكثر، وقد أسر الثلث وقتل ثلث سكان العاصمة، وبقي الثلث، ويعد كل ثلث ستين ألف نسمة(٣٠). والمخزي أن الحفصي أصبح: «خاضعًا لتبعية شارل الخامس وسلم إليه قلعه حلق الوادي»(٣١). والقلعة هاته ثكنة حصينة وحامية منيعة أسسها الأجداد المجاهدون لحماية الوطن من أي اعتداء وتدخل. ولم يُفرغ كارلوس وتابعه المتفرّد سم الحقد والتكالب على الشر، فزحف فيلق يقوده الحفصي من أفّاقين مرتزقة وكفرة مأجورين باتجاه القيروان أول مدينة إسلامية أسسها الصحابة والتابعون الأوّلون ـ رضي الله عنهم ـ بجهة الشمال الأفريقي عام ٥٠هـ حيث يرقد الصحابي أبو زمعة البلوي «خرج الحسن بمحلة ليَفْتكَّ القيروان من يد الشابيين، فتلقّوه بالسيف، ودهموه ليلاً واغتنموا ماله وسلاحه، فأقسم لا يرجع عنها بحال، وعزم على أن يستنجد لها النصارى ويفتكّها بعد إباحتها للنصارى!!(٣٢)

ما أسخفه من إنذار وما أرذله من تخويف وما أجبنه من إرهاب وما أفحشه من استنجاد. أليست هاته حربًا أصلب وأشد مضاضة من حرب الصليبيين؟.

وفعلاً أطل من حامية حلق الوادي ـ إحدى ضواحي العاصمة يتبختر بعتاة النصارى، يفاخر شعبه، وكأنه يمسك برؤوس أسود كاسرة يسوقها في اطمئنان. فيا للغباوة ويا للحماقة والجنون فنون.

وكأن ابنه أحمد اهتز طربًا لهذا المشهد البهلواني، مشهد قرد يلاعب نمورًا تمزّق أكباد نعاج وادعة، حسد أباه على هاته (الفهلوة)، واشتهى التباهي بهذا الاستعراض لنفسه، فاتخذ المراءاة درعًا له مُظهراً مناصرة الضعفاء المسحوقين، وثار على الراقص في حلبة (السيرك الإسباني) وسجنه مُبديًا تعاطفه مع شعبه الوفي الذي يتلوى عنتًا وجوعًا وتسلط صليب. ولكن إلى حين، لم يستطع الفكاك من فكيّ الذئب المسعور، وحيث مكّن

الحروب الصليبية أكثر من سبع حملات، وما أصيب به المغرب الإسلامي منها لا يقل وحشية عما أصاب الشرق، فتاريخ الإسلام وأهله وحدة غير قابلة للتفرقة

الأعداء مجدداً من حصار حلق الوادي ومن مشاركته «في تصرفات البلاد، وكان المشارك له عظيم جيش النصارى الذين استنجد بهم للغرض نفسه وادّخر بذلك ما يجاوره في رمسه، واسم عظيم النصارى المذكور جوان بن جاكمو، وشاركه في أحكام القصبة، وصار العدو مع الحفصي كالمتمكن بمديته على الرقبة» (٣٣).

أرأيت فداحة النكبة؟

خليفة في قفص — بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له — كما تقول الببغا

وليته كذلك، بل هو بين صليبي وحوافر بغال.

ويا لنكبة الزيتونة!!

على أن الفصل الأخير من جولات حرب الخيانة والصليبية كان أدعى إلى التقزز والرّثاء والنقمة في آن واحد، ذلك أن الأزمة المزمنة لّما تفاقمت على صاحب تونس أحمد الحفصي، وسيول دماء الأبرياء في سيلان متواصل، والمفترس يبالغ في التجرؤ على الإسراع بالابتلاع التام. عندها ساق الله النجدة من الشرق، من السلطان العثماني، غير أن الحفصي فعلها متذللاً خنوعًا للقائد الإسباني أن يخرج جنده من القلعة أسودًا كواسر لافتراس جحافل الأتراك المسلمين وحراسة كرسيّه المتآكل! وكانت المساومة أثقل وأعسر من ذي قبل وأخزى، ودار هذا الحوار بين أحمد الحفصي وكبير جيش النصارى، قال المتكابر المتنفخ: «أقاسمكم البلاد مالاً وحكمًا، حسبما أذن به سلطان النصارى، فقال: إن شرطي معكم ما فيه إلا ذكر المال الذي جاعلتكم به فقط لا غير، فأجابه النصراني: فإن قبلت وإلا عندي تحت يدي من يقبل الشروط وهو أخوك محمد، فرفع يده عن ذلك وراح إلى بليرمو من صقلية»(٣٤).

طلب جاكمو المزيد من الأموال وتغلغل النفوذ الصليبي، ولما برق له أثناء المفاوضة النتنة أن إبدال السروج فيه راحة وغنم للراكب، مال الجلاد إلى الحفصي (محمد) فهرول إليه هذا مطأطئًا رافسًا الجثث والأشلاء والصرعى، مقتفيًا أثر الذين (فروا إلى ناحية جبل الرصاص واختفوا في دواميس، وصدمتهم النصارى، وصار فيهم ما تقشعر الجلود من ذكره»(٣٥) ولئن ثبت أن «أكثر ما تقوّى تجرؤ العدو في أيام محمد بن الحسن»(٣٦) فإن أفسد الإفساد الصليبي البحت ما حصل لجامع الزيتونة ومكتبته الفخمة التي زخرت بآلاف المخطوطات النادرة والمهمة التي كانت سابقًا مجموعة في القصبة، «يقصدها الباحثون والطّلاب من كلّ حدب وصوب، وهذا علاّمتنا ابن خلدون يفيدنا أنه بعد أن وضع أصول مقدمته الخالدة بقلعة أبي سلامة في جبل بني راشد ـ ببلاد الجزائر ـ احتاج إلى مراجعة أمهات الكتب فنزل إلى تونس، بقصد التزود والاستقاء من المكتبة الحفصية بالقصبة. ثم قام السلطان أبو عمرو عثمان وحافده أبو عبدالله محمد بإنشاء مكتبة عمومية في إحدى أروقة الزيتونة وقد حولا إليها ما تركته يد الحدثان في قصورهم من المصنفات»(٣٧)

ويكفي للدلالة على ضخامة المكتبة ما ذكره المؤرخ أحمد بن القنفد القسنطيني المتوفى سنة ٨١٠هـ /١٤٠٧م عن الكتب التي اقتناها باني هاته الدولة: أبو زكريا الحفصي قال: «ذكر بعضهم أنه ترك ستة وثلاثين ألف سفر من الكتب»(٣٨).

ضُمت هاته الأسفار إلى ألوف مؤلفة لتودع بمكتبة العبدلية الحافلة في ركن الجامع المعمور. (ولّما تغلب الإسبان على تونس ـ أواسط القرن العاشر للهجرة ـ هاجم الزيتونة وبدّدوا نفائس دررها، فذهبت أدراج الرّياح، وقسم ضئيل منها التحق بمكتبة الفاتيكان برومة، أهداه إليها بعض الإسبان المغتصبين وهي ماثلة إلى يوم الناس هذا»(٣٩).

إن كيفية الهجوم على الجامع الأعظم لا تصدر إلا من أنجس الأوغاد وأخس الملعونين: «أهين المسجد الأعظم ونهبت الكتب التي كانت به وداستها الكفرة بالأرجل، وألقيت تصانيف الدين بالأزقة تدوسها حوافر الخيل والرجال، حتى قيل إن أزقة الطِّيِّبين [باعة العطور والطيب وما إلى ذلك] كانت كلها مجلّدات ملقاة تحت الأرجل، وضربت النواقيس وربطوا الخيل بالجامع الأعظم، وكانت كل دار مسلم يجاورها نصراني، وفي تلك المدة عمّر البستيون شبه بُلَيْدة. وعمرته النصارى ونال المسلمون منه الهم الذي يكل اللسان عن حصره حتى كانوا يفتنون الرجل في دينه»(٤٠).

ها قد بلغ الساطورالعظم وأبلغ، وللجامع الأعظم مكانة مكينة في نفوس التونسيين، لم لا وهو رمز أصالتهم وبركة مصرهم وجماع توحدهم، يحول والعياذ بالله إلى مربط خيول، وموضع فجور ورفس وخطف وتمزيق لكتبه والمصاحف «إلا بضع نسخ من صحيح البخاري»(٤١).

لذلك انتهزمن تبقى من السكان معافى: «الفرص للإيقاع بالإسبان والحفصيين معًا، وقد ساعدتهم الظروف أخيرًا بقدوم قوة تركية عتيدة أرسلها السلطان (سليم الثاني) تحت قيادة الوزير سنان باشا لإنقاذ تونس من الاستيلاء الإسباني، ولإعلان سقوط سلالة بني حفص من الملك سنة ٩٨١هـ ١٥٧٣م، وشارك التونسيين مشاركة فعلية في هذا الانتصار»(٤٢).

إنها أربعون سنة من الحرب الصليبية تشنها بين مد وجزر امبراطورية إسبانيا العظمى على تونس المنهوكة بسوء تدبير القيادة الداخلية، وتشرذم السياسة في بلدان المغرب بعامة. ولمّا أضاء بارق نور الخلاص تهللت الأسارير وأنشدت الألسن وسبحت القلوب لناصر المؤمنين: «ألا إنها سفن مشحونة بالأبطال، وقساورة وغى يسابق بطشها الأقوال، وأطواد هيبة وبحور هبات، وحماة أولو عزم وثبات، وكنوز صبر وثبات، فافتر بسرور قدومهم ثغر البلاد، وسوّغوا أمر الوغى بزُلال الفتح في حلق الواد».

وكان فتحًا أماط عن صبيح وجه الدهر الخمار، وبدّل فيه العسر باليسار، وظهر به نشر راية الإسلام بعد الطي والإضمار، وخفق بنسمات تأييده جناح العزّ والافتخار، وبدت بوارق تأييده بالنصر والافتخار، بالعشي والإبكار.

قال صاحب الإعلام :(٤٣) وغزوة بلاد تونس من أجلّ الغزوات العثمانية وأعظم فتوحاتهم الجليلة العلية، وأقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها، وثبتت النصارى بغلظ أكبادها، وشدة أحقادها، وترامو بالمدافع التي هي من أشد الصواعق، وأخطف للأسماع والأبصار من الرّعود والبوارق، واختصّ الجند الإسلامي بثبات الأطواد والجبال والتلذذ بمرار الحرب والقتال والجلاد برقاب المشركين والجدال.

وكانت هذه القلعة، (أي حلق الوادي) من أحكم القلاع التي استنبطها الكفر وساسها، وبنى على الإتقان أساسها، ومكنت الكفار في إحكام بنائها ثلاثًا وأربعين سنة، وفتحها الله في ثلاثة وأربعين يومًا من أول يوم في ابتداء محاصرتها.(٤٤).

هذا «وبتمكن سنان من فتح القلاع عنوة وتأسير من بها يوم ٢٥ جمادى الأولى سنة ٩٨١هـ - ٣سبتمبر/أيلول ١٥٨٣م كانت هذه الوقعة من أعظم الوقائع الحربية لشدة القوتين المتقاتلتين، وكثرة من هلك فيها من الجانبين(٤٥).

وبذا - أيضًا - تدرك أن الحروب الصليبية أكثر من سبع حملات، وأن التي أصيب بها المغرب الإسلامي لا تقل وحشيتها عمّا أصيب به الشرق، حتى يزحزح الحديث عنها في الدراسات الحديثة عن الصليبية والصليبيين. وأن تاريخ الإسلام وأهله وحدة غير قابلة للتفرقة أو التجزئة الإقصائية، وإلا ضاعفنا التورط الذي نحن فيه من شتات قوى وهزال تعارف!.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٤٦).

أجل، تميز الاختراق الصليبي هنا بعد مراحل من المجازفة - بتعمد إصابة جهاز الدولة بفيروس التآكل والخنوع لأوربا الكاثوليكية الناهضة المتعاظمة بالغلبة في الأندلس - وهذا هو الهّم الأكبر للصليبية. ولئن وجد ضالته - أخيرًا في التقويض والاندساس، وسهل عليه التسرب الوبيء، فإنه استحال عليه التسرّب والامتصاص، فدماء المسلمين عصية عن الاصطباغ بصبغة الخنوع والشرك، زكية موحدة بتوحيد الله ذي الجلال والإكرام، لذا بحثت الأساطيل الإسبانية المتواردة إلى شواطئ تونس عن حتفها بظلفها، فتحطمت على جلاميد صخر ناصعة البياض، لا تفتت بدخيل الأصباغ، ولا تسوّد بردّة أبدًا.

الهوامش:

١- من سلسلة عالم المعرفة، ١٤٩ شوال ١٤١٠هـ مايو ١٩٩٠م.
٢- المرجع السابق، ص١٩٢.
٣- المرجع السابق ص٢١٨.
٤- المرجع السابق ص١٨٢.
٥- البحوث التربوية: التاريخ - كتابة الدولة للتربية القومية، تونس ١٩٦٢م ص٧.
٦- ماهية الحروب الصليبية ، د.قاسم عبده قاسم، ص١٨٢.
٧- إتحاف أهل الزمان، أحمد بن أبي الضياف ج٢ ص٢٢ ط١.
٨- محمد بن عرفة مدرس ومفت وخطيب جامع الزيتونة، ألف في الفقه وأصوله، وفي التفسير والمنطق ولد سنة ٧١٦هـ. وتوفي في ٨٥٣هـ. كان بينه وبين معاصره ابن خلدون تنافس ومشاحنة. انظر عنه: أ- أشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف، ترجمة رقم ٨١٧، ص٢٢٧. ب- أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي لمحمد الفاضل بن عاشور.ج- إتحاف أهل الزمان لأحمد بن أبي الضياف ج٧ ص٦١. د- ملتقى الإمام محمد بن عرفة وزارة الشؤون الثقافية، تونس ١٩٧٧م. هـ- الديباج ص٣٣٧.
٩- البحوث التربوية: التاريخ ص١٣.
١٠- يقول المؤرخ المرحوم حسن حسني عبدالوهاب بـ: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية. القسم الأول، ص١١٥(اختطه لأول الفتح العربي القائد الأموي الطائر الصيت حسان بن النعمان الغساني حوالي سنة ٨٠هـ- ٦٩٩م ثم أعاد بناءه أحسن من ذي قبل القائد الأموي عبدالله بن الحبحاب في سنة ١١٦هـ- ٧٣٤م.
١١- ورقات عن الحضارة العربية ق١.ح.ح عبدالوهاب ص٣١. نشر مكتبة المنار، تونس ١٩٧٥م.
١٢- المقدمة- الفصل ٢٠ في أن من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس، ص١٤٣- ١٤٤. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان: ط٣.
١٣- المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس - ابن أبي دينار - تحقيق محمد شمام - نشر المكتبة العتيقة بتونس :١٩٦٧م ص١٦١.
١٤- مدة دولة الحفصيين من ٧٠٣هـ/ ١٢٠٧م إلى ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م.
١٥- أحمد بن مخلوف الشابي. د. علي الشابي، الدار التونسية للنشر عام ١٩٧٩م، وعن المضايقات والانقسامات انظر (العبر) لابن خلدون.
١٦- ماهية الحروب الصليبية ص١٠.
١٧- البحوث التربوية ص٢٩.
١٨- المرجع نفسه.
١٩- ماهية الحروب الصليبية ص٢١٨.
٢٠- المسألة التونسية والسياسة العثمانية، د. عبدالرحمن تشابجي. ترجمة، د.عبدالجليل التميمي. دار الكتب الشرقية تونس ط١. عام ١٩٧٣م ص٢٦.
٢١- المرجع نفسه.
٢٢- خلاصة تاريخ تونس ح.ح. عبدالوهاب. الدار التونسية للنشر ١٩٨٣م ص١٥٢.
٢٣- ولد عام ١٥٠٠م ومات ١٥٥٧م بدير يوست الذي انزوى فيه آخر حياته، شمل ملكه: إسبانيا وألمانيا والنمسا وهولندا وإيطاليا وأميركا بأجمعها.
٢٤- ماهية الحروب الصليبيةص١٥٨.
٢٥- ويحددها صاحب المؤنس. ص١٠٩٥.- بـ ٩٤١هـ.
٢٦- عملة إسبانية تُسك في إسبانيا - الواحدة من عشرة فرنكات إلى اثني عشر فرنكًا ذهبًا.
٢٧- أمضى الحسن وشارلكان معاهدة بتاريخ ٦صفر سنة ٩٤٢هـ - ٢٦ يوليــــة/ تموز ١٥٣٥م، ترْخص للإسبانيين سكنى جميع أنحاء المملكة وبحرية التنصير.
٢٨- ورقات. ق١ ص٤٦١ وما بعدها.
٢٩- الحلل السندسية ج١ق٤ ص١٠٩٤.
٣٠-انظر المؤنس ص١٦٣ وما بعدها، والحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج المتوفى سنة ١١٤٩هـ ج١، ق٤ ص١٠٩٤. الدار التونسية للنشر عام ١٩٧٠م
٣١- المسألة التونسية ص٢٧.
٣٢- الحلل السندسية تحقيق محمد الحبيب الهيلة ج١ ق٤ ص١٠٩٥.
٣٣- الحلل السندسية ج١ ق٤ ص١٠٩٦.
٣٤- المرجع نفسه.ص١١٠٣.
٣٥- المرجع نفسه ص١١٠٤.
٣٦- المرجع نفسه ص١٠٩٦.
٣٧- ورقات عن الحضارة. ق١ ص٣٣.
٣٨- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ - تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي وعبدالمجيد التركي، الدار التونسية للنشر عام ١٩٦٨م ص١١٣، وهو مرجع مهم لتأريخ دولة بني حفص إلى نهايةعام ٨٠٦هـ.
٣٩- ورقات عن الحضارة ص٣٣.
٤٠- الحلل السندسية ج١ ق٤ ص١١٠٤وما بعدها، وانظر المؤنس ص١٧٥، والبستيون قلعة بناها الإسبان بتونس العاصمة.
٤١- تونس وجامع الزيتونة - محمد الخضر حسين- المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩١هـ ١٩٧١م ص٢٠.
٤٢- ورقات عن الحضارة ق١ص٤٦٣.
٤٣- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، لمحمد بن أحمد النهرواني الحنفي ط١ مصر ١٣٠٣هـ، ط٢ مصر ١٣٠٥هـ بهامش كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تأليف أحمد بن زيني دحلان، وبالإعلام تفصيل عن الغزوة.
٤٤- الحلل السندسية. ج٢ ق١ ص١٠ وانظر إتحاف أهل الزمان، ج٢ ص٢٦ رجع إلى أخبار سنان باشا.
٤٥- خلاصة تاريخ تونس، ص١٥٧.
٤٦- صحيح مسلم ج١٦ ص١٤٠ بشرح النووي وأخرجه البخاري وأحمد في الأدب.

العاميّة الفصيحة

محمد بن إبراهيم آل ملحم

لقد قضت اللهجات العامية على كثير من مظاهر الرقي والتقدم الاجتماعي والعلمي لدى أبناء الأمة الإسلامية العربية، فقد أسهمت في تدشين الفُرْقة والتباعد بين أبنائها، كما قلصت مساحة الوعي والاستيعاب لمفردات الأدب الرّصينة، وعبارات العلماء المحكمة في عقول متلقيها. مما نأى بالقوم عن شطآن العلوم والفنون الأصيلة إما حيادًا وابتعادًا، استجلابًا لمستغرب سهل، أوجديد ملّفق تُجنى به الأمجاد، ويمتطى لسباق الأجداد، وويحه من سباق.

وذروة هذه المرحلة كانت لدى انفتال ويلمر لها، واتباع أحمد لطفي السيّد خطاه ونشر دعوته،ثم من سار بعده نحو لويس عوض وطه حسين وغيرهم ممن أزكموا أنف الأمة بأوبئتهم الكثيرة والكثيرة جدًا.

أما الآن فنحن والحمد لله نشهد - مع رجوع المجتمعات العربية إلى دينها القديم رجعة الاستقامة الواعية - صحوة عربية وأشواقًا أدبية هما من إنتاج بركات تلك الصحوة الطيبة التي أنتجت صحوات عدة أيضًا، في المجال العلمي والإعجاز القرآني.

وفي المجال الفقهي، حيث التطور الكمي لتداول الأحكام، وفي المجال الحديثي حيث صحوة البحث والتقصي وجودة الاستدلال والعناية بالتخريج عملاً وقبولاً وتوثيقًا.

وفي مجال لغتنا الفصيحة جدير بنا أن نتداعى إلى الحرص على استعمالها كتابةً وتحدثًا لا في المنتديات العامة العلمية منها والأدبية فقط، بل حتى في مجالسنا الخاصة، ولنكتف بها مرحليًا على الأقل ولا نضم لها الأسواق أو المجالس العامة، جنوحًا إلى التدرج وركونًا إلى التسهيل، حتى يتم لنا الأمر فينسحب بعد على تلك.

وفي معرض هذه الدعوة - وعلى هدي التسهيل أيضًا - أسوق فيما يلي عددًا من الكلمات التي نستخدمها في لهجتنا العاميّة المحض، فإذا ما تحولنا إلى الفصحى حاذرناها وتكلفنا أحيانًا استبدال غيرها بها حتى لا نقع في فخ تداعي العامية علينا فنُنتَقد، بينما هذه الكلمات هي في الأصل فصيحة ومتطابقة مع الاستخدام العامي وزنًا ومعنى، وأحيانًا معنى فقط مع تحوير في الوزن بحركة أو حركتين، لذا قمين بنا أن تجري على ألستنا حتى تُسهم هذه الفئة من الكلمات في تعزيز الشعور النفسي لدينا بمدى التصاقنا بالفصحى، بل إنها تجري في ألستنا كل يوم دون أن ندري، ولكن علينا أن ننظر إلى تلك الكلمات التي غيّرنا في لهجتنا العامية وزنها فنعيد لها وزنها الفصيح، وننشر هذه الأوزان من جديد بيننا - نحن المثقفين - وبين أبنائنا وطلابنا، وحتى الكتّاب أدعوهم إلى استعمالها لكن مع التزام الناشرين «مجلات وكتبًا» بالتشكيل، ولهذه المناسبة أرى الفرصة سانحة للدعوة إلى التشكيل في المطبوعات لاتشكيلاً كليًا ولكنه تشكيل جزئي يُعرف به الإعراب ليسهم ذلك أيضًا في تقوية الحسّ الإعرابي والنحوي لدى الناس.

أخيرًا أشير إلى أن ما قمت به يحتمل البعد في بعض الكلمات عن المعنى الفصيح، لكنني أوردت تلك الكلمات لنرى مدى اقترابها من معناها الفصيح فلا نستغربها.

والكلمات التي انتقيتها هي مما شاع في لهجة أهل الأحساء لعراقة هذه المنطقة ورسوخ جذورها في تاريخنا العربي، فهي عاصمة الإقليم الشاسع الذي امتد من الكويت شمالاً

إلى خلجان عمان جنوبًا، ولذلك ترى انتشار هذه اللهجة حتى الآن في مناطق هذا الإقليم ودوله، ومن جهة أخرى لاستغناء اللهجات الأخرى في بلدنا كالنجدية والجنوبية مثلاً عن البحث، فالأولى قد كُتب فيها، والثانية تبدو نقية جدًا لموقعها الجغرافي،حيث اشتهر جنوب الجزيرة العربية بعامة بشدة قربه من الفصحى. وعلى كل حال فمعرفتي الذاتية بلهجتي موطن البحث هي الدافع الرئيسي للاقتصار عليها، وما هذا الطرح إلا دعوة وليس احتواءً، فأرجو أن ينشط غيري خاصة من المختصين لهذا العمل والتصنيف فيه، لا تصنيفًا تنظيريًا أو تقعيديًا، ولكنه تعليمي تربوي. وهناك حاجة أخرى في هذا الصدد إلى دراسة الاشتقاقات الواردة في العامية وأصولها الفصيحة ليتم تعديلها على القواعد الصحيحة، فيعدّل بذلك عوج ألستنا، وهو أمر لا يقل شأنًا عما نقدمه هنا إن لم يكن أشمل منه وأهم، لكنه يحتاج إلى المتخصصين المهرة المحلّيين الذين يتقنون كلا الطرفين لينسجم عملهم ويصدق بحثهم ويسدد، ونسأل الله أن يوفقنا إلى كل بر وصلاح وخير ونجاح.

الكلمة	المعنى لدى العامّة	المعنى الفصيح
١ـ الدُّرّاعة	الثوب النسائي	المِدْرَعة: ثوب، الدراعة: لا يكون إلا من صوف.
٢ـ البُخْنُق	كساء كالرداء تضعه الفتاة الصغيرة ملفوفًا على وجهها فنازلاً من الرأس ليغطي الكتفين واليدين والظهر بحيث يكون طرفاه «فتحته» من الأمام مزركشين بالقصب «الزّري» الخفيف.	خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن، والدهن من الغبار، والبرقع والبرنس: الصغيران.
٣ـ ثَبْر	الثَّبر هو مجرى مائي محفور في الأرض يسير فيه الماء بعد صرفه من النخيل. وتقول العامة أيضًا: «ثَبَرَت الموية» واصفين شاطئ البحر إذا اعتراه الجزر. و«سَقَتْ» إذا اعتراه المدّ.	الثَّبرة: الأرض السّهلة وحفرة في الأرض، الثّبْر: الحبس والمنع والصرف عن الأمر وجزر البحر.
٤ـ قرنه	زاوية الغرفة.	القُرْنَة: الطرف الشاخص من كل شيء ورأس الرحم أو زاويته.
٥ فَخفخَة	أي تباه وتفاخر.	فخفخ: فاخر بالباطل.
٦ـ رَوزنة	هي رفٌّ يصنع في الجدار أثناء بنيانه بحيث يكون داخلاً فيه.	الرَّوْزنة: الكُوّة، والكُوّة الخرق في الحائط، ويقال الكَوّ: للخرق الكبير. والكُوّة: للخرق الصغير.
٧ـ تلّ	تلّه: جذبه إليه بقوة.	تلّه: صرعه أو ألقاه على عنقه وخدِّه، قال الله تعالى: فلمّا أسْلَمَا وتَلّهُ للجَبِين. وذلك في قصة إبراهيم حين أُمر بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام. تلّ الشيء في يده: دفعه إليه أو ألقاه.
٨ـ وَدّى	فلان ودّى الثوب للمغسلة أي أخذه إليها	مأخوذة (تخفيفًا) من أدّى. أدّاه: أوصله وقضاه.
٩ـ شال	شال محمد الحصاة: أي رفعها.	شال: شالت الناقة بذنبها وأشالته: رفعته. وأشال الحجر وشاوله: رفعه.
١٠ـ مُسبَّة	يقال: فلان مسبّه: أي كالمجنون.	السَّبه: ذهاب العقل من الهرم.
١١ـ دَنْع	طفل دنع: أي طماع ملحاح.	دَنِع: فسْل لا لب له ولا عقل، ودَنِع الصبي: جهد وجاع واشتهى وطمع وخضع وذل.
١٢ـ فسْل	كسول بليد.	الفَسْل: الرّذْلُ الذي لا مروءة له.
١٣ـ فلان فاكّ	أي أحمق.	هو يتفكّكُ: إذا لم يكن له تماسك من حمق. والفكّة: الحمق في استرخاء.
١٤ـ الملاّس	أداة كملعقة كبيرة يفرغ بها الرز من القدر إلى الصحن ويسوى بها.	الملاّسة: التي تسوّى بها الأرض.
١٥ـ دِرْو	كالمجنون.	المدْروس: المجنون.

الكلمة	المعنى لدى العامّة	المعنى الفصيح
١٦- أثْوَل	أحمق، مجنون.	الأثول: المجنون والأحمق والبطيء النُّضرَة، والبطيء الخير والعمل، والبطيء الجري.
١٧- فوْشَحَ	فرج ما بين رجليه.	فَشَحَ: فرج ما بين رجليه.
١٨- مُتنَحر	فلان مُتَنْحر: أي واقف في مكانه لا يتحرك يمينًا ولا شمالاً ولا أمامًا ولا خلفًا.	نَحَرَ الرجل في الصلاة: انتصب بنحره إزاء القبلة. «فكأنهم يشبهونه به لأن المصلي لا يتزحزح».
١٩- صعْفق	يقال: تصعفق الماء في الإناء وأنت تمشي به. إذا ارتج ارتجاجًا شديدًا.	الصعاف: يُشدخ العنب فيطرح حتى يغلي، والصَّعْفَة: الرعدة من فزع أو برد أو غيره.
٢٠- نَحَزَهُ	إذا وكزه بيده أو بشيء في جنبه أو كتفه.	نحزه: دفعه ونخسه.
٢١- نحِيسْ	يقولها الطفل لصاحبه إذا شح ولم يعطه شيئًا مما عنده.	عام ناحس ونحيس: مجدب.
٢٢- تَنحْنَحَ	وهو أن يقول بحلقه: إحم إحم لينبه من دونه أنه أتى. أو ليشير بالصوت إلى معنى يفهمه أحدهم.	نحّ نحيحًا: تردد صوته في جوفه.
٢٣- نُتْفه	قطعة صغيرة جدًا جدًا.	نُتْفَة: ما تنتفه بإصبعك من النبت وغيره.
٢٤- بَالْدي	أي: سطل.	المُبْلد: الحوض القديم.
٢٥- زمزمية	وهي «الترمس» التي يوضع بها الشاي محافظة على سخونته.	زمّ القربة: ملأها، زمّه فانزمّ: شده.
٢٦- بِياله	وهي القدح الزجاجي المستخدم لشرب الشاي خاصة.	البيّاب: الساقي يطوف بالماء. «ربما تكون محرفة عنها».
٢٧- طَسّ	فلان طسّ: أي ذهب أو غادر.	ما أدري أين طَسّ: أي أين ذهب.
٢٨- طفْسَه	يقال: هذا المبلغ طفسة تحقيرًا من شأنه. أو تقليلاً من كميته مع الاحتقار.	الطَّفاسة والطَّفَسْ: قذر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه. وهو طَفِس: أي قذر نجس.
٢٩- يَزْنُطُ	أي يختنق «من جهة الحلق».	الزنترة: الضيّق والعسر.
٣٠- اقْدَعْ	أي تناول التمر «واحدة واحدة» وقد اختصت «بالتمر».	اقدع من هذا الشراب: اشربه قطعًا قطعًا.
٣١- زَرَط	زرط الطعام: التهمه ابتلاعًا دون مضغ، «كناية عن السرعة في الأكل».	زَرَطَ اللقمة يزرطها: ابتلعها.
٣٢- مَلْقُوف	الفضولي الذي يظهر فضوله بوضوح من مبادراته الدائمة للسؤال والاستيضاح.	لَقَفَهُ: تناوله بسرعة «وهي موجودة بهذا الاستخدام كفعل في العامية أيضًا وزنًا ومعنى». رجلٌ لَقِف: خفيف حاذق.
٣٣- رجلُ سكبة	أي أحسن تنظيم غترته وتصفيفها على رأسه.	السَّكْبة: الخرقة تُقوَّر للرأس كالشبكة.
٣٤- عَتَّهُ	يقولون: لا يَعُتُّك فلان أي لا يغلبك قولاً أو عملاً. وتستخدم غالبًا لتحذير من سيقدم على عمل هو أكبر منه.	عَتَّهُ: ردّ عليه الكلام مرةً بعد مرة، وعتّه بالكلام: وبّخه. وعاتّه: خاصمه، والعتت: غلظ في الكلام.
٣٥- نَفَرْ	شخص واحد.	النّفر: الناس كلهم، وما دون العشرة من الرجال.
٣٦- طرّ	فعل بمعنى ضرب شيئًا فسقط، وبمعنى آخر هو طلوع الصباح يقولون: طرّ النور: إذا تولى الظلام، وبدا نور أول الصبح «قبيل الإشراق وبعد صلاة الفجر».	الطّرّ: الشدّ، والسّوق الشديد، واللطم، والسقوطُ، وطلوع النبت، وما طلع من الوبر وشعر الحمار بعد النُّسول.

الكلمة	المعنى لدى العامّة	المعنى الفصيح
٣٧- الهاوَن	أداة يدوية لدق الحب وطحنه بكمية قليلة وهو قطعتان: إناء: يوضع به الحب، يد الهاون: يدق بها الحب.	الهاوِن والهاوُن والهاوون: الذي يُدقُّ فيه.
٣٨- مَتّة	تقال للمسافة البعيدة لدى المشي.	التّماتُّ: التّباعُدُ.
٣٩- صَفَقَ	صفقه على وجهه. صفق الباب: أغلقه. صفْقَة الباب: أي أحد مصراعيه.	الصّفقُ: الضرب يُسمع له صوت، صفق الباب: ردّه أو أغلقه. صفقت الريح الأشجار: حرّكتها. الصِّفق (بالكسر): مصراع الباب.
٤٠- نَغَر	فلان نغر من فلان في أمر كذا بمعنى: غار منه فقلده.	تَنَغّر: علا جوفه وغضب، وامرأة نغرة: غيْرى. نغرت القدر: فارت.
٤١- غمَتَهُ	يقال: أحسُّ بغُمَتة في قلبي، أي: بضيق وثقل.	غَمَتَهُ: الطعامُ يغمته: ثقل على قلبه فصيّره كالسكران.
٤٢- كشّة	الشَّعر إذا انتفش في مقدمة الرأس خاصة.	الكُشّة: الناحية أو الخصلة من الشعر.
٤٣- السِّيب	الممر الطويل «غير المتّسع».	السِّيب: مجرى الماء. السِّيب مرديّ السفينة وهوخشبة تُدفع بها السفينة. «يلاحظ أن الخليجيين عامة ومنهم أهل الشرقية يستخدمون هذه الكلمة في مصطلحاتهم البحرية بمعنى قريب وهو: الشخص الذي يسحب حبل الغواص ليجذبه من داخل الماء إلى أعلاه».
٤٤- طاح	أي سقط.	هلك، تاه، ذهب، سقط.
٤٥- سحِلَة	لدى النجديين: إناء كبير يختزن فيه الماء فيغرف منه شيئًا فشيئًا.	الأساحِلُ: مسايل الماء والسَّحْبَلُ: الدلو الضخم.
٤٦- الخدّ	لدى أهل نجد بمعنى: الأرض.	الخدّ: الطريقُ، والجماعة، والحفرة المستطيلة في الأرض.
٤٧- خُمام	القاذورات.	الخُمامة: الكُناسة. خَمَّ البيت: كنسه.
٤٨- وَدْرَهْ	أي هلاك وتستعمل هكذا غالبًا: فلان ذهب في ودرة أي إلى الهلاك.	ودَّره توديرًا: أوقعه في مهلكة.
٤٩- لَيَّس أو لَيّص	ساوى الجدار بالإسمنت أو الجص أو الطين ملغيًا النتوءات التي فيه جاعلاً إياه أملسَ.	اللّوص: ألاصه على الشيء: أداره عليه، لاوص الشجرة: نظر يمنة ويسرة كيف يخلعها. «فالمعنى يدور حول التسوية والموازنة بحكمة».
٥٠- يلْعي	الطفل يلْعي: إذا استمر في بكائه مدة ولم يسكت.	اللاّعي: الذي يفزعه أدنى شيء. واللّعو: السيّئ الخلق، والشره الحريص.
٥١- هبّ - يهبَا	يقولون: يهبا فلان أي يخسأ ويبعد.	الهبّ والهبوب: ثوران الريح. هب فلان : غاب دهرًا. وهبّ في الحرب: انهزم.
٥٢- السَّوْم	لدى البيع والشراء.	السّوم: في المبايعة سُمْتُ بالسلعة: وساومت واستمت بها، وسُمت عليها: غاليت.
٥٣- دعّ	دعّ الماء: شربه بسرعة في شربة واحدة.	الدَّعُّ: الدفع العنيف. قال تعالى يوم يُدعّون إلى نار جهنّم دعًّا. الطور: ١٣.
٥٤- صَكّ	صكّه على وجهه: صفعه، صك الباب: أغلقه.	صكّ: صكه: ضربه شديدًا بعريض، صكّ الباب: أغلقه أو أطبقه.
٥٥- مُتَرَهوج	أي مضطرب غير ساكن.	الرّهج: الغبار والسحاب بلا ماء. وأرهج: أثار الغبار، وكثر بخور بيته.
٥٦- العيّار	هو الرجل الظّريف ولكن في تماسك وذكاء.	العيّار: الكثير المجيء والذهاب والذكي الكثير التطواف. والعيّارون: قطاع الطريق.
٥٧- الخرّاط	كالعيّار ولكن مع الكذب، الخراط والخرطي: هو الكلام الكذب.	الخِراط: المرأة الفاجرة ومن يتخرط في الأمور جهلاً. المخاريط: الحيّات المعتادة بالانسلاخ كل عام.
٥٨- فرّ	أي أدار الشيء، يقولون مثلاً: فرّ كذا حتى أراه جيدًا. أو فرّ كذا حتى يعتدل.	فرّ الدابة: كشف عن أسنانها لينظر ما سنها. فرّ عن الأمر: بحث عنه.

الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي الريحان البيروني

أمين سليمان سيدو

كتب أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (٣٦٢هـ/٩٧٣م - ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) هذا الأثر الفريد سنة ٣٩١هـ(١) ويبدو أن «كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية» أول أعمال أبي الريحان الكبرى، وقد دوّن في بلاط جرجان(٢).

طبع الكتاب بتحقيق المستشرق الألماني إدوارد سخاو الأستاذ بجامعة برلين سابقًا، وهو من المهتمين بتحقيق تراث أبي الريحان، ونشره في ليبزغ سنة ١٨٧٨م، وفيه مقدمة لسخاو عن البيروني، وأقوال المؤرخين العرب القدماء في فضله وأثره في تقدم العلوم، ثم ترجم إلى اللغة الإنجليزية، وطبع في لندن سنة ١٨٧٩م، ثم طبع بعدئذ طبعة جديدة في لندن أيضًا، وذلك في سنة ١٩١٠م، وقام بتحقيق الكتاب علميًا المستشرق الروسي كرامكوف(٣) وطبع المتن العربي بعناية سخاو في ليبزغ سنة ١٨٧٦م، ثم طبع ثانية بالمتن العربي أيضًا وشروح سخاو في ليبزغ سنة ١٩٢٣م(٤).

يُعدّ هذا الكتاب أعظم موسوعة في التاريخ والجغرافيات، فقد عرض فيه مقارنات واسعة بين علوم اليونان والهند والعرب، وعقليات الأمم، والأديان وفرقها وتاريخها، حتى وصف بأنه أوسع مصادر المعلومات شمول علم في نطاق الحضارة التي ينتمي إليها(٥).

وقد يكون كتاب الآثار الباقية من أشهر كتبه وأغزرها مادة، حيث يبحث فيه عن ماهية اليوم والشهر والسنة عند مختلف الأمم القديمة، وكذلك في التقاويم، وما أصاب ذلك من التعديل والتغيير. وقد تضمن الكتاب جداول تفصيلية للأشهر الفارسية والعبرية والرومية والهندية والتركية. وأوضح كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض، وفيه أيضًا جداول لملوك آشور وبابل والكلدان والقبط واليونان قبل النصرانية وبعدها، وكذلك لملوك الفرس قبل الإسلام على اختلاف طبقاتهم، وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بأعياد الطوائف المختلفة وأهل الأوثان والبدع. وفي الكتاب فصل في تسطيح الكرة، ولعل هذا الفصل هو الأول من نوعه، ولم يعرف أن أحدًا كتب فيه قبله، وهو بهذا الفصل وضع أصول الرسم على سطح الكرة، ولا يخفى ما لهذا من أثر في تقدم عِلْمي الجغرافيا والرسم(٦)

يقول أبو الريحان في مستهل حديثه عن هذا الكتاب: «فقد سألني أحد الأدباء عن التواريخ التي تستعملها الأمم، والاختلاف الواقع في الأصول التي هي مبادئها، والفروع التي هي شهورها وسنُوها، والأسباب الداعية لأهلها إلى ذلك، وعن الأعياد المشهورة والأيام المذكورة للأوقات والأعمال وغيرها مما يعمل عليه بعض الأمم دون بعض، واقترح عليَّ الإبانة عن ذلك بأوضح ما يمكن السبيل إليه حتى تَقْرب من فهم الناظرفيها. وأبتدئُ فأقول: إن أقرب الأسباب المؤدية إلى ما سُئلت عنه هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأبناء القرون الماضية، لأن أكثرها أحوالٌ عنهم ورسوم باقية من رسومهم ونواميسهم، ولا سبيل إلى التوسل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات، والقياس بما يشاهده من المحسوسات سوى التقليد لأهل الكتب والملل وأصحاب الآراء والنحل المستعملين لذلك، وتصيير ما هم فيه أُسًّا يُبنى عليه بعده، ثم قياس أقاويلهم وآرائهم في إثبات ذلك بعضها ببعض بعد تنزيه النفس عن العوارض المُرْدية لأكثر الخلق، والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق، وهي كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتّباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلك، فإن الذي ذكرته

أولى سبيل يُسلك بأن يُؤدي إلى حاقّ المقصود، وأقوى مُعين على إزالة مايشوبه من شوائب الشبه والشكوك، وبغير ذلك لا يتأتى لنا نيل المطلوب ولو بعد العناء الشديد والجهد الجهيد. على أن الأصل الذي أصّلته، والطريق الذي مهّدته ليس بقريب المأخذ، بل كأنه من بُعده وصعوبته يشبه أن يكون غير موصول إليه، لكثرة الأباطيل الذي تدخل جُمل الأخبار والأحاديث، وليست كلها داخلة في حد الامتناع فتُميّز وتُهذب، لكن ما كان منها في حد الإمكان جرى مجرى الخبر الحق إذا لم يشهد ببطلانه شواهد أُخر، بل قد يشاهد وشوهد من الأحوال الطبيعية ما لو حُكي مثلها عن زمان بعيد عهدناه به لتَبَّتْنا الحكم على امتناعها، وعُمْرُ الإنسان لا يفي بعلم أخبار أمة واحدة من الأمم الكثيرة علمًا ثاقبًا يفي بعلم أخبار جميعها، هذا غير ممكن، وإذا كان الأمر جاريًا على هذا السبيل فالواجب علينا أن نأخذ الأقرب من ذلك فالأقرب، والأشْهر فالأشْهر، ونحصلّها من أربابها، ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه، ونترك سائرها على وجهها ليكون ما نعمله من ذلك مُعينًا لطالب الحق ومُحبّ الحكمة على التصرف في غيرها، ومرشدًا إلى نيل ما لم يتهيأ لنا، وقد فعلنا ذلك بمشيئة الله وعونه، ويجب بحسب ما قصدنا أن نبين مادية اليوم والليلة ومجموعها، وابتداءه المفروض، إذ هما للشهور والسنين والتواريخ كالواحد للأعداد منه تتركب، وإليه تنحل وبواطة (كذا) العلم بهما لا يسهل السبيل إلى درك ما تركب منهما وبُني عليهما(٧).

أنجز البيروني هذا الكتاب في سن السابعة والعشرين، قبيل بداية القرن الحادي عشر مباشرة، وشرح ذلك قائلاً ما مؤداه: كان قصدي من هذا الكتاب أن أحدد بأقصى ما يمكن من دقة المدى الزماني لمختلف الحقب.

ويشرح الكتاب مختلف التقاويم كالتقويم العربي، والتقويم اليوناني، والتقويم الفارسي، ويمتزج فيه تاريخ الحكام والأبطال والأحداث السياسية بتاريخ الثقافة والعادات والأخلاقيات، ولا ينبغي اعتبار «كتاب الآثار الباقية» عملاً تاريخيًا بحتًا، ولكنه دراسة تاريخية من ناحية، وإنسانية وصفية (إثنوجرافية)* من ناحية أخرى، لم تزل محتفظة إلى يومنا هذا بأهميتها ومعناها.

ويرجع العلماء الروس في العقد الرابع من القرن العشرين مرة بعد أخرى إليه في أبحاثهم عن التاريخ القديم لوسط آسيا، وهم لا يجدون في غير كتاب أبي الريحان أي وصف للتقويم الصفدياني العظيم الأهمية من حيث دراسته لموضوع الوثائق الصفديانية في صدر القرن الثامن، ففي كتابه هذا وحده ما يريدونه من معلومات عن خوارزم قبل أن يدخلها الإسلام، الموضوع الذي سبق علم الآثار في دراسته(٨).

ويتسم الكتاب بالجمع والنقد والاستنباط، فقد جمع أبو الريحان فيه تراث أمم مختلفة، منذ بدء الخليقة حتى عهده. ولم يكتف بجمع كمية كبيرة من المعارف الإنسانية، بل راح يصنف هذا التراث، جامعًا في مكان واحد الآراء المتعلقة بموضوع واحد. ثم عمد إلى الموازنة والنقد في ضوء المنطق العلمي السليم. وإذا ما أخطأ فالسبب لا يعود إلى نقص في التحليل، بل إلى قلة الوسائل الاختبارية المتوافرة للعالم في ذلك العصر.

وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع أبو الريحان أن يستنبط علومًا جديدة، مطبقًا المنهج القائم على الأخذ من السلف، وإعمال النقد الصحيح، ثم إضافة ما يؤدي إليه الاختبار والتحليل(٩).

وفي هذا الكتاب ملاحظات عميقة عن طبيعة العصر وأطوار تاريخ البشرية، فضلاً عن أصل النظام المشاهد في الطبيعة(١٠).

وكتاب «الآثار الباقية» حفظ من الضياع كثيرًا من الروايات والآراء التي ضاعت أصولها، وأصبح الوصول إليها أمرًا متعذرًا. ثم إن البيروني كفى الباحثين مؤونة مطالعة مئات المجلدات، إذ قام بجمعها وتنسيقها في كتاب واحد.(١١) وبذلك اختزل كثيرًا من الوقت والجهد على الباحثين والدارسين في هذا المجال.

الهوامش والمصادر

١ـ البكري، عادل. البيروني وأثره في الحضارة العربية، بغداد: جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، ١٩٨٨م، ص١٧٨ «في الندوة القطرية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب».

٢ـ بوالو، جاك، الرحلة الطويلة في صحبة عالم مسلم خلال عالم مضطرب. رسالة اليونسكو، ع ١٥٧٤ يوليو١٩٧٤م، ص٩٨.

٣ـ الشحات، علي أحمد، أبو الريحان البيروني: حياته، مؤلفاته، أبحاثه العلمية، القاهرة: دارالمعارف، ١٩٦٨م ص٩٨.

٤ـ العزاوي، صالح مهدي. البيروني: حياته وفكره. المورد مج٢ ع١، ١٩٧٣م ص٩٣.

٥ـ الجندي، أنور، نوابغ الفكر الإسلامي،بيروت: دار الرائد العربي. ١٩٧٩م ص١٨٢.

٦ـ طوقان،قدري حافظ، علماء العرب وما أعطوه للحضارة ، الرياض: منشورات الفاخرية، بيروت:دارالكتاب العربي، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م ص١٧٨.

٧ـ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزغ بروكهاس، ١٣٤٢هـ، ص٤ ـ٥.

*Ethnoghaphy مصطلح يعني دراسة علم الإنسان دراسة وصفية.

٨ـ جارفورروف، بوبوجان، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني عبقرية عالمية عاشت في وسط آسيا منذ ألف سنة، رسالة اليونسكو ع ١٥٧يوليو ١٩٧٤م ص٦.

٩ـ فرحات، يوسف. علماء العرب، إعداد وتحقيق يوسف فرحات، ط١ جنيف: ترادكسيم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص٩٥.

١٠ـ نصر، سيد حسين. فيلسوف منطلق. رسالة اليونسكو. ع ١٥٧ يوليو ١٩٧٤م ص٣٩.

١١ـ فرحات، يوسف. علماء العرب، ص٩٥.

مع صاحب القاموس الفقهي لغة واصطلاحا العلامة سعدي أبو جيب:

حياة وذكريات



كتب عن تجربته: **محمد معصوم رسول**

في البدء:

وفي أول عهدي به، امدّ الله تعالى في عمره، ونفعنا بعلمه عام ١٩٧٣م عندما نقل إلى مدينة الحسكة وتولى يومئذ فيها رئاسة القضاء الشرعي، ومحكمتي البداية المدنية والجزائية ومحكمة الأحداث الجانحين، ودائرة قضاء الإحالة ورئاسة التنفيذ المدني «أي أدار مجتمعًا قضائيًا بالنسبة لمحاكم هذه الأيام»، وكانت الأعمال في هذه المحاكم لا تعادل عُشر أعمالها في هذه الأيام، إذ يتولى قاض أو أكثر إدارة كل محكمة من هذه المحاكم، نظرًا لكثرة القضايا المطروحة أمامها، ومع ذلك فإن إدارة هذه المحاكم والدوائر القضائية من قبل شخص واحد يعطي كل واحدة منها حقها الكامل، ليس بالأمر الهين. في عمله:

كان مثالاً نادراً بتواضعه وأدبه وخلقه وعلمه، في تعامله مع العاملين معه، وأصدقائه، ومع المتقاضين لديه في المحكمة. كان ذا صبر وأناة خلال جلسات المحاكمة يعطي أطراف الدعوى حقهم الكامل بالدفاع عن أنفسهم، لا يفصل في قضية إلا بعد أن يستجمع الأدلة كافة التي تشكل القناعة لديه. وفي حكمه كان لا يتأثر بأية ضغوط مهما كانت فوقية أو دونية، ولايؤثر فيه ترغيب ولا ترهيب مهما كان، وكان قويًا شديداً صارمًا أمام هذه التيارات التي تزعزع القضاة عادة في أحكامهم وتجعلهم يميلون عن الجادة مرغمين. ولكن ذلك كله - والله لم يُجد معه، كان كالميزان في حكمه بين الناس. وكان ذلك يسرني كثيراً لأنني كنت مغرمًا بصور العدالة النادرة للقضاة في صدر الإسلام وقد وجدت ذلك فيه من خلال عملي معه يوميًا لسنوات. قلت له مرة:

- أبا ياسر إنني أجد فيك صورة لهؤلاء القضاة في عز الدولة العربية الإسلامية، وهذا شيء يثلج الصدر في هذا الزمن.

فأجابني بتواضع العلماء:

والله لا أستحق أن أكون حاجبًا على أبواب هؤلاء.

من تواضعه:

كان ذا فكاهة ودعابة تجده يوميًا قبل مباشرة أعمال المحكمة بين العاملين يجلس معهم كأحدهم يلاطفهم ويحدثهم ويوجههم في الأعمال المسندة إليهم، ويسمع منهم معاناتهم اليومية، ويخففها عنهم بأحاديثه الممتعة وتوجيهاته الحكيمة، فتشعر وأنت في مجلسه بحلاوة أحاديثه وإرشاداته بأنك حقًا في حضرة قاضٍ بكل ماتتضمن هذه الكلمة من معنى. كلمة كان يرددها دومًا وهو بين كتّاب المحاكم لديه: «إنني أخ لكم لا أريد أن أتميز منكم ولا فارق بيني وبينكم سوى أنكم تقومون بعمل وأنا أقوم بعمل ونحن جميعًا نخدم العدالة والأمة، ولولاكم لستُ بشيء» وكان يقرن القول بالعمل حقًا، ويشعر معه كل من يخالطه بأنه صديق العمر له. وكان يذكرهم دومًا «أن أعمال الناس أمانات بين أيديكم فارحموهم». كان يسبق العاملين صباحًا إذْ كان في أغلب الأحيان على رأس عمله في الساعة الثامنة صباحًا فينتظر العاملين في مكاتبهم لحين عودتهم ويكتب ملاحظة لطيفة على مفكرة رئيس الديوان ثم يمضي إلى مكتبه. «أخي... زرتك الساعة «ويحددها» ولم أحظ برؤيتك سعدي»، يشعره بأنه أخ وصديق له وليس رئيسًا، فكم كان ذلك يعطي دفعًا للعاملين في إنجاز أعمالهم اليومية داخل المحكمة وخارجها، إذ كانوا يحملون معهم الأضابير التي تعذّر إنجازها أثناء دوامهم إلى بيوتهم، ليعودوا بها في اليوم التالي وقد أنجزت جميعها وكأنهم في مباراة عمل. وأما عند شروع المحاكمة فكنت تجده قد انقلب إلى شخص آخر بهيبة وصرامة لا مثيل لهما، وقد أعطى المحكمة كل ما لديه من علم واهتمام لا يجرؤ الدخول عليه رئيس أو مرؤوس مهما كان دون حق. وكان لا يقبل زيارة أحد حتى من زملائه القضاة أثناء المحاكمة، وكان يتجاهل عندها أقرب الناس إليه.. هناك أمثلة كثيرة على ذلك لا نرى داعيًا لذكرها. من ورعه:

كان لا يقوم بتسخير مستخدم المحكمة بأعماله اليومية وحاجاته الخاصة فكان يحملها بنفسه إلى منزله يوميًا أو يحمّلها ولديه «ياسر وأنس»(٢) وكانا يومئذ دون العاشرة من العمر، أذكر أن المستخدم تلقّاه مرة قائلاً: - سيدي دعني أحمل عنك هذه الأغراض إلى البيت؟

فأجابه:

لَم تفعل ذلك؟ ألأني قاض؟ لا، لست هنا

خارج المحكمة إلا مثلك ولا فرق بيني وبينك «صاحب الشيء أولى بشيئه» ولم يجبه إلى طلبه.

وكان يتورع عن استعمال قرطاسية المحكمة في استعمالات شخصية له كحبر المحكمة أو أقلامها وظروف الرسائل وغيرها، فكنا نجده يكتب بقلم خاص به ما يخصه من أعمال، وبأقلام المحكمة ما يخصها، ولا يخلط بين هذه وتلك، ومثل هذا شيء نادر في زمننا. خارج أوقات المحاكمة:

كان مكتبه يغص بالقضاة والمحامين وأهل العلم وكتبة المحاكم كلٌ يتوجه نحوه بما غم عليه من مسائل فقهية أو علمية أو قانونية، حتى الأمور الحياتية العامة كانوا يعرضونها عليه فيجيبهم بلسان العالم الفقيه، وبمنتهى الهدوء والاهتمام، وبروح المربي والمرشد الفاضل الذي يضع البلسم على موضع الجرح والدواء لعين المرض، بعلم غزير جيّاش يحيط بالموضوع المطروح من كل جوانبه، وكأنه معه على موعد، ثم يضفي عليه من الشواهد العلمية من أمهات الكتب والمراجع العلمية والفقهية بحديثه العذب السيّال وكأنه يقلب أمامك صفحات هذه المراجع العلمية، فلقد كان ـ حفظه الله ـ موسوعة علمية قد حباه الله سبحانه وتعالى بقدرة علمية عجيبة لا يدع السائل إلا بعد أن يطمئن بأنه قد أعطاه حقه الكامل من العلم حول مسألته، وهكذا كان في كل أيامه. أخيرًا:انتقل إلى دمشق وكان القاضي الشرعي الأول فيها، ثم مستشارًا في محكمة النقض السورية الغرفة الشرعية، وكانت له اجتهادات لا زالت المرجع للكثير من المحاكم إلى يومنا هذا. ودرّس في جامعة دمشق. تقدم في هذه الفترة باستقالته إلى وزارة العدل وحفظتها الوزارة لديها زمنًا ثم وافقت عليها أمام إصراره عليها. وهكذا خسرت وزارة العدل قاضيًا فذًا وعالمًا قديرًا قلمًا يجود الزمان بمثله، وهذه كلمة حق نقولها للزمن والتاريخ ولحقه العلمي علينا قد لا ترضيه!. من أعماله العلمية:

القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا. كتاب نادر يفيض بعلم غزير يقدم المادة اللغوية في مدلولها اللغوي ومصطلحها الفقهي ثم يسلط عليها أضواء من أوثق المصادر اللغوية ويقلب أوجه الرأي حولها لأقطاب العلماء والفقهاء من مختلف المذاهب الإسلامية، ليضع في النتيجة الحقيقة الناصعة من الشوائب، وعلى طبق بين يديك، ولك أن تتصور المعاناة التي لقيها في ذلك، حتى جمع لك هذه الثروة العلمية النادرة التي لا تجدها إلا مبعثرة في بطون موسوعات كتب اللغة والفقه من شتى المذاهب الإسلامية، له حولها لمسات علمية دقيقة وفريدة. والقاموس الفقهي له، تاج على رؤوس مؤلفاته العلمية التي هي جميعها ثروة علمية نادرة تقع في الصدارة في صرح المكتبة الإسلامية. يقول حفظه الله:

«في هذا الكتاب الذي بين يديك (ويعني به القاموس الفقهي) ستلمس لغتك في قطرة من فيض خيرها في التشريع العظيم، والفقه الخالد، وسترى عريق النسب بين المعنى اللُغوي والمعنى الفقهي للكلمة ولذلك فقد أسميته: «القاموس الفقهي، لغة واصطلاحًا»

وشّيته بآيات بينات من القرآن الكريم، فكانت لآلئ نور يتيه حاملها على الدنيا، وكيف لا أفعل وهو الكتاب الأبدي، والوحي المعجز وبين جوانحه أكثر من ثلث لغة الضاد، وحلّيته بصحيح الحديث الشريف، حتى يبقى إلى الأبد، عطرًا بعبق النُبوة، وروعة البيان، وضمنته التعريف الشرعي والفقهي للكلمة، ليكون المسلم على بصيرة من أمره فهمًا للغة الشرع والفقه إلى أن يقول: حفظه الله أخيرًا: «وكنت بعيدًا عن العصبية المذهبية التي لوت شوكة الأمة، وأوهت صرح مجدها(٣).

بقي أن تعلم:

أنه ولد في دمشق عام ١٩٣٢م ونال إجازة الحقوق وإجازة الشريعة من جامعة دمشق. تولى القضاء عام ١٩٦٠م، وتقلب في مناصبه المختلفة حتى أصبح مستشارًا في محكمة النقض السورية ـ الغرفة الشرعية.

ومن أعماله ومؤلفاته:

ـ عمل في موسوعة الفقه الإسلامي في الكويت بين عامي ١٩٦٧و١٩٦٩م مساعدًا علميًا لخبير الموسوعة.

ـ أعير إلى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٩٧٧م، وقام بتأسيس المجمع الفقهي الإسلامي، ووضع نظامه، وتولى إدارته حتى عام ١٩٧٩م.

صدرت له المؤلفات الآتية:

ـ مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية. طبع مرتين.

ـ سحنون، مشكاة نورٍ وعلمٍ وحق.

ـ الماسونية، وقد ترجم إلى اللغة الإنكليزية.

ـ معجم الفقه الحنبلي ـ مستخلص من كتاب المغني لابن قدامة المقدسي بالاشتراك وقد صدر في مجلدين.

ـ القاموس الفقهي، لغة واصطلاحًا.

ـ المعوق والمجتمع في الشريعة الإسلامية ـ وهو بحث قدم للحلقة الدراسية الخاصة برعاية المعوقين التي عقدت بدمشق في جمادى الآخرة سنة ١٤٠٢هـ نيسان/ابريل ١٩٨٢م.

ـ الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام.

ـ التأمين بين الحظر والإباحة.

ـ موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي. طبعت مرتين.

وهناك كتب وأبحاث أخرى له، إضافة إلى مقالات وأبحاث تنشر بين وقت وآخر، في مجلة «المحامون السورية» ودوريات عربية شهرية أخرى.

حفظه الله تعالى، وأمد بعمره، ونفعنا بعلمه، ولقد كان ولا زال مدرسة قائمة بذاتها علمًا وعملاً، أدبًا وخلقًا ومعذرةً له على كشف هذه الجوانب عن حياته لأنها من حق القراء عليه، ولقد لمست ذلك منه شخصيًا خلال الصحبة الطويلة في سنوات العمل معًا، ولا زالت أذكر أنها أحلى وأمتع سنوات العمر في حياتي مع قاضٍ عادل، وأديب فقيه. أدامه المولى تعالى. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش ومراجع البحث:

١ـ الذكريات عن تجربة شخصية عشتها خلال سنوات العمل معه في القضاء منذ عام ١٩٧٣م ويشهد الله أني لم أبالغ عنه بحرف وما قلته عنه «غيض من فيض» كما في المثل.

٢ـ أحدهما الآن طبيب والآخر مهندس مدني.

٣ـ القاموس الفقهي للمؤلف ط١ ـ١٩٨٢م عن دار الفكر بدمشق ـ من المقدمة ص٧ـ٨.

٤ـ والمصادر بشكل عام كتبه حفظه الله.

٥ـ اقتصرنا في هذا البحث على جوانب من سيرته الشخصية العطرة وأعماله العلمية، ولم نتطرق إلى أحكامه القضائية التي كانت له معها مواقف فريدة من نوعها في عالم القضاء في هذا الزمن. ولعلنا نعود إليها يومًا ما.

الكتاب: توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية.
المؤلف: عبدالله بن حمد الحقيل.
الناشر: مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ـ ط١ ـ ص٢٦٠.



عبدالله بن حمد الحقيل



غلاف الكتاب

الكتاب دراسة تاريخية لمرحلة من مراحل تاريخ نشوء المملكة العربية السعودية، وتوحيد الجزيرة العربية على دعائم العلم والإيمان، تبرز الصورة المشرقة للمملكة، وتظهر عملية النهوض الشاملة في شتى مناحي الحياة، وتبدي رسوخ مفهوم الأمن والأمان والاستقرار في ربوعها، وتبين جوانب العظمة في شخصية الملك عبدالعزيز رحمه الله.

وتوزع الكتاب في أربعة فصول، تناول في الفصل الأول تمهيداً عن الدولة السعودية في أدوارها الثلاثة، وعرضاً لأوضاع الجزيرة قبل فتح الرياض، ثم تحدث في نهاية الفصل عن شخصية الملك عبدالعزيز الفذة المتميزة، فهو علم شامخ، ورائد من رواد الحضارة الإسلامية، وقائد من قادة التاريخ الإنساني، وإن تاريخه تاريخ أمة، وهو أحد صانعي التاريخ الحديث.

وفي الفصل الثاني تحدث عن عبقرية الملك عبدالعزيز وخططه العسكرية، كالمفاجأة (الإستراتيجية)، والمفاجأة التعبوية، والمفاجأة (التكتيكية). وذكر الدروس المستفادة منها، ثم تحدث عن الشروع في بناء القوات المسلحة وتطورها حتى أصبح الجيش السعودي الآن ذا مكانة مرموقة، وفي مصاف الدول المتقدمة، ثم استعرض أهم المعارك الحربية والأحداث السياسية التي خاضها الملك عبدالعزيز، وختم الفصل بذكر أسماء الرجال الستين الذين شهدوا مع جلالته فتح الرياض، وناقش أقوال المؤرخين حول أسماء هؤلاء الرجال وعددهم.

وأما الفصل الثالث الذي سمّاه مرحلة التكوين فقد بدأه بالحديث عن عناية الملك عبدالعزيز بتطبيق الشريعة الإسلامية وتمسكه بالكتاب والسنة ومحاربة البدع والمنكرات وكل مظاهر الشرك، ودعمه لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم تناول جانباً آخر من شخصية الملك عبدالعزيز وهو أنه رجل دعوة قبل أن يكون ملكاً.

ثم تناول الجانب الثاني، وهو الجانب الثقافي، فقد كان يحب الكتاب، ويتدارسه في مجالسه الخاصة، وكان عنده مكتبة قيّمة، ثم أمر بطبع الكتب الإسلامية النافعة ككتب ابن تيمية، وابن القيم، وأحمد بن حنبل وغيرها.. واستعرض أهم الكتب التي طبعت على نفقته وقد قاربت مئة كتاب. ثم تحدث حديثاً مفصلاً عن التعليم وتطوره في عهد الملك عبدالعزيز ونظامه وأنواعه والبعثات العلمية وغير ذلك. ثم تناول موضوع الملك عبدالعزيز في وجدان الشعراء واستعرض الشعراء الكثيرين والقصائد التي مدحوا فيها الملك عبدالعزيز.

وفي الجانب السياسي تناول السياسة الداخلية للمملكة القائمة على الشورى وتعاليم الإسلام، وتحدث عن نظام مجلس الشورى وعن الأنظمة والتعليمات المتبعة في جميع مناطق المملكة وتوجيهات الملك عبدالعزيز في ذلك. ثم تحدث عن السياسة الخارجية للمملكة والعلاقة بينه وبين العثمانيين والإنكليز، فالعثمانيون لم يفهموه حق الفهم، والإنجليز حاولوا احتواءه إلا أنهم لم يفلحوا لأنه كان سياسياً حكيماً بالفطرة، وتحدث عن الصراع بينه وبين الإنجليز.

ثم عرّج على قضية فلسطين في عهد الملك عبدالعزيز وموقف الملك عبدالعزيز الشديد في وجه الرئيس روزفلت الذي حاول أن ينتزع موافقة الملك عبدالعزيز على إعطاء وطن لليهود في فلسطين، إلا أنه قوبل بالرفض القاطع.. وكان داعماً للشعب الفلسطيني في كل أعماله ومناسباته. ثم تناول العلاقات الدبلوماسية بين المملكة والعالم. وأخيراً ختم الفصل بنشر التعليم، وأنه وطّن البدو، وأنشأ لهم القرى وأمّن لهم المياه للزراعة والاستقرار، كما تحدث عن أعمال الملك عبدالعزيز في الزراعة والمواصلات والصحة وغير ذلك.

وأما الفصل الرابع والأخير فقد عقده للحديث عن مظاهر النهضة الحديثة وعناية الملك عبدالعزيز بذلك، ودور أبنائه بالسير على خطاه. فقد قدم له بتوطئة عن تأسيس دولة حديثة ونهضة تنموية شملت مختلف نواحي الحياة، وجميع مدن المملكة، فالصحراء القاحلة تحولت إلى مدن عصرية مزدهرة. ثم تحدث عن الخطط الخمسية بدءاً من الخطة الأولى ١٣٩٠ ـ ١٣٩٥هـ حتى الآن.

كما خص عمارة الحرمين الشريفين وتوسيعهما بحديث مفصل، وتحدث كذلك عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وعن المدينتين الصناعيتين في الجبيل وينبع، ثم أورد النظام الأساسي للحكم الذي أصدره خادم الحرمين الشريفين، ونظام الشورى، ونظام المناطق. وختم الكتاب بخاتمة لخص فيها عمله في الكتاب، وبملحق للوثائق الرسمية والمخطوطات والمراسيم الصادرة في زمن الملك عبدالعزيز رحمه الله، وبفهرس للمصادر والمراجع، وبآخر لمحتويات الكتاب.

الكتاب: الإعلام السعودي ـ النشأة ـ التطوير
المؤلف: د. ساعد خضر العرابي الحارثي.
الناشر: دار القمم للإعلام ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. ط١، ٣٠٤ صفحات من القطع المتوسط



. ساعد خضر العرابي الحارثي



غلاف الكتاب

يبدأ الكتاب بتقديم بقلم صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ورئيس المجلس الأعلى للإعلام ذكر فيه سموه أن الكتاب يقدم عرضاً كاملاً شاملاً لتاريخ الإعلام السعودي، ووجده كتاباً يحفل بالمعلومات الموثقة الدقيقة، ويضع بين يدي قارئه عرضاً موثقاً لتاريخ الإعلام السعودي منذ نشأته وبدايته حتى دخوله عصر الأقمار الصناعية.

ثم تناول المؤلف في مدخل الكتاب مكانة الإعلام المرموقة، ودوره البارز في المحافظة على مقومات السيادة والاستقلال الوطني، وقدرته الهائلة على تحويل المواقف وتغيير القناعات وتثبيتها بوسائله وفنونه وقوالبه المختلفة. وذكر المؤلف أن أهمية هذا الكتاب تنبع من أنه أول إصدار شامل يقدم وسائل الإعلام في المملكة برؤية شاملة بالاعتماد على المصادر الأساسية المختلفة والوثائق الرسمية.

ويندرج تحت هذا الكتاب ستة أبواب، وانشعب كل باب إلى مجموعة من الفصول. فالباب الأول «الصحافة السعودية» قسمه عدة فصول.

ففي الفصل الأول تحدث عن بداية الصحافة السعودية وذكر أن الصحافة مرت بثلاث مراحل: ١ـ مرحلة صحافة الأفراد: وتمتد هذه المرحلة من عام ١٣٤٧هـ إلى ١٣٧٨هـ. وذكر أسماء ١٩صحيفة كانت تصدر في هذه الفترة.

٢ـ مرحلة دمج الصحف بعضها ببعض: وتمتد هذه المرحلة من عام ١٣٧٨هـ إلى١٣٨٣هـ، فقد دمجت بعض الصحف في بعض ووجدت صحف ومجلات جديدة، وأصبح عدد الصحف والمجلات في هذه المرحلة عَشرًا.

٣ـ مرحلة المؤسسات الصحفية: وتبدأ هذه المرحلة من عام ١٣٨٣هـ، الذي أنشئت فيه المؤسسات الصحفية الكبيرة وكان عددها عشر مؤسسات صحفية. إضافة إلى الدوريات التي بلغ عددها ١٢٢ مطبوعة.

وتحدث في الفصل الثاني عن النشر الذي شهد تطورًا ملحوظًا منذ بداية الثمانينيات الهجرية، فانتشرت المطابع، وتعددت دور النشر.

وعقد الباب الثاني للحديث عن وزارة الإعلام وتطورها ونشاطها وموظفيها وتنظيمها الإداري والإعلام الخارجي فيها.

وتناول في الباب الثالث الإذاعة والتلفاز في المملكة العربية السعودية، وقسم هذا الباب فصلين: الأول تحدث فيه عن الإذاعة منذ نشأتها وكيف تطورت؟ وأهدافها ومناهجها، وتطور البث الإذاعي، والهيكل التنظيمي، والبرامج الإذاعية كالبرنامج الأول والثاني، وإذاعة نداء الإسلام، وإذاعة القرآن الكريم، وإذاعة التوعية في الحج، والبرنامج الأوربي الذي يبث باللغتين الإنجليزية والفرنسية، والبرامج الموجهة التي تبث إلى آسيا وإفريقية بعشر لغات هي: الإندونيسية، والأوردية، والفارسية، والتركية، والبنغالية والسواحلية، والصومالية، والتركستانية، والماليزية، والبمبارية.

وأخيرًا الأشرطة المسجلة التي تعدّ شكلاً من أشكال الإعلام الانتقائي كالتسجيلات الفنية والترفيهية، والخطب الدينية، وتسجيلات القرآن الكريم.

وتحدث في الفصل الثاني عن التلفاز من مراحل تأسيسه الأولى، ثم البث الملون، وساعات البث، وتلفاز الرياض، وتوسعة نطاق البث التلفازيّ، ومراكز البث في مجال التغطية التلفازية، والهيكل التنظيمي للتلفاز، وأهداف البرامج التلفازية ومضمونها، وإنتاج البرامج، واستخدام الأقمار الصناعية في الإرسال التلفازي وغيرها.

وأما الباب الرابع فخصصه لوكالة الأنباء السعودية، فتحدث عن نشأتها والهيكل التنظيمي لها.

وجعل الباب الخامس للمجلس الأعلى للإعلام، فبدأ بتكوينه ثم اختصاصاته وأخيرًا لجانه.

وأما الباب السادس فكان مقصورًا على السياسة والنظم الإعلامية في المملكة العربية السعودية، وقسمه ثلاثة فصول تحدث في الفصل الأول عن رؤية عامة تناول فيها أنواع النظم الإعلامية في العالم كالنظام الغربي، والنظام الشيوعي، ونظام إعلام دول العالم الثالث، ثم النظام الإعلامي في المملكة العربية السعودية. وكان الفصل الثاني للسياسة الإعلامية في المملكة التي صدرت بقرار من رئاسة الوزراء تضمن ٣٠ مادة ارتكزت على الأسس الدينية والسياسية والاجتماعية والعناصر الحضارية والثقافية والتعليمية للمجتمع السعودي، وتأكيد التزام الإعلام السعودي الإسلام في كل ما يصدر عنه.

وتناول الفصل الثالث نظم المطبوعات والنشر والمؤسسات الصحفية الأهلية.

وأخيرًا ذيّل المؤلف الكتاب بخمسة ملاحق توثيقية له، وختمه بفهرس تفصيليّ لموضوعاته.

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. ووصف دقيق لحال المسلمين الذليلة، والضياع الذي تعيشه الأمة التي رضيت بالذل واستمرأت الهوان، وتحكم فيها الأنذال والعملاء، والظالمون تآمروا مع الأعداء عليها، وكل يوم تحل فيها مأساة جديدة، فالأطفال يذبحون، والأعراض تنتهك، والمساجد تهدم، والمآذن تشتكي ولا مجيب.

وثانيها حديث عن هموم الشاعر وأحزانه على حال هذه الأمة الكئيبة، فقلبه محترق ولهيبه مستعر كأنّ بركانًا من الحمم ثار في قلبه فقطع نياطها من جوى الألم، ونار صدره تضطرم، ودموع عينيه يستفيض بها الدم حزنًا وألمًا على دماء المسلمين المسفوحة المهدرة.

وثالثها حديث طويل ودعوة عريضة واسعة إلى الجهاد؛ فالأمجاد الضائعة لا تعود إلا بالسيف والجهاد، والنصر بالسيف الذي يبرق ويرعد في السماء، وبالجهاد عز الأمة وبغيره ذلّها، وبه صعدنا إلى العلا وفتحنا البلاد شرقًا وغربًا، وهابها الكفر والسباع عندما كان السيف مشهرًا لا يدخل الغمد، ولن يعود الحق إلا بالجهاد والكفاح.

وغرض آخر يكرره في قصائده وهو حديثه عن أمجاد المسلمين الغابرة أيام كنا نقهر الكفر والظلم، وننشر الرحمة والعدالة بين الشعوب بدءًا من الصحابة التي يقودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيوفهم تعلو، وهم يتسابقون إلى الجهاد كأنهم سيل تحدر من مكان سام، وكنا ملوكًا وسادة للناس.

ويتحدث كذلك حديثًا خاصًا عن القدس وقد ضيّعها العرب، والأقصى وقد دنسه اليهود وحماة الدار قد استسلموا، أضاعها ساسة الأطماع والسلم، ويتحدث كذلك عن الحقد الصليبي الذي تمثل في أشرس صوره عند الصرب الحاقدين الذين ذبحوا المسلمين، وهتكوا أعراض النساء، وقتلوا الأطفال بلا رحمة أو إنسانية. ويتحدث كذلك عن شعره فهو حشاشة نفسه وتراتيل قلبه، وحداء بني قومه وصوتهم إذا ظفروا، وقد كتبه من دمه، وهو كذلك مزرعة الفضيلة نبتها الصدق والإخلاص، وهو مرآة صاحبه، ووصف مشاعره وخواطره.

وفي الديوان قصيدة يخاطب بها نفسه ويدعوها إلى التوبة، وتذكر القبر وظلمته، ويطلب المغفرة من الله على ما فرّط في حياته، ويسأله دخول الجنة، وفيه قصيدة يرد فيها على الشاعر نزار قباني.

وأهم ميزة يتصف بها هذا الديوان هو طابع الحزن والألم الذي يلف صفحاته كلها.

وكل ما قلناه عن هذا الديوان لا يغني عن قراءته.

الكتاب: نجوم السماء
المؤلف الشاعر: حفيظ بن عجيب آل حفيظ الدوسري.
الناشر: الأحمدية للنشر ـ الدار البيضاء ـ ١٩٩٨م، ١٣٦ص من القطع المتوسط


حفيظ بن عجيب آل حفيظ الدوسري



غلاف الكتاب

يضم هذا الديوان ٤٦ قصيدة ـ ثلاثًا منها نظمها على شعر التفعيلة، وباقي القصائد صيغت على عروض الخليل الأصيل. وأما الأغراض التي نتقراها في هذا الديوان ونتلمسها في هذه القصائد فأولها حديث طويل عريض عن حياة عزيزة كريمة لا ذل فيها يريدها للمسلمين على هدي من كتاب الله عز وجل

بكاء الزوجات في الشعر العربي القديم

د. نوره الشملان

اشتهر العربي بجلده وصبره، واشتهر أيضًا بعزوفه عن الحديث عن المرأة المحرم، ومن هنا فإننا لا نجد في تراثنا الشعري شعرًا كثيرًا في رثاء الزوجات، وإذا كان رثاء النساء في الأدب العربي قليلاً عمومًا، فإن رثاء الزوجة يبدو نادرًا، وإذا حصل فهو يتخذ طابع الإيجاز الشديد، ويتناوله الشاعر على خجل.

ويعلل ابن رشيق قلة رثاء النساء بالقول: إن رثاء النساء ورثاء الأطفال أصعب أنواع الرثاء لقلة منافذ القول. ولا شك أن ابن رشيق يعني الرثاء الرسمي أو التأبين، الذي يتناول فيه الشاعر عادة القيم الأخلاقية والمآثر التي تميز بها المرثي. ويبكيه من خلالها، وتكون العاطفة فيه باهتة في الغالب، ويمثل ذلك رثاء رجال الدولة والممدوحين، فلا يوجد تأبين للنساء إلا ما ندر.

إذا بحثنا عن رثاء الزوج وجدنا أبياتًا متناثرة هنا وهناك، فالفرزدق حين نفرت منه النوار تلك الزوجة التي حصل عليها بالحيلة تذكر زوجته التي ماتت مُفدَّاة، فبكاها بقصيدة طويلة يعاتب فيها النوار، يقول:

وقد سخطت مني النوار الذي ارتضت
به قبلها الأزواجَ خاب رحيلها
ومنسوبة الأجداد غير لئيمة
شفت لي فؤادًا واشتفى بيَ غليلها
فلا زال يسقي ما مفداةُ نحوه
أها ضيبَ مستنٍّ الصَّبا ومسيلها
فما فارقتنا رغبة عن جماعنا
ولكنما غالت مفداة غُولها
تذكرُني أرواحها نفحةُ الصَّبَا
وريحُ الخُزامى طَلُّها وبليلها(١)

والأبيات تظهر تعلقه بالنّوار أكثر من حنينه إلى مفداة، وما مفداة إلا وسيلة حاول الشاعر من خلالها إثبات وجوده وجبر كسر كرامته ورجولته اللتين داست عليهما النوار بنفورها وصدها وإعراضها.

وابن الرومي الشاعر الذي اشتهر بنفسه الطويل، والذي رثى أمه في قصيدة تعد من عيون شعره، وهو رائد في هذا الفن، فهو أول شاعر عربي يرثي أمه، فلما ماتت زوجه أصيب بالعي، فلم ينطق إلا بخمسة أبيات يقول فيها:

عينيَّ شُحَّا ولا تَسُحَّا
جَلَّ مصابي عن البكاء
تركُكما الداء مستكنًّا
أصدق عن صحة الوفاء
إن الأسى والبكاء قدمًا
أمرانِ كالداء والدواء
وما ابتغاء الدواء إلا
بُغْيَا سبيلٍ إلى البقاء
ومبتغي العيش بعد خلٍّ
كاذبهُ خلَّةُ الصفاء(٢)

ولو تأملنا الأبيات لوجدناها تحمل معنىً فلسفيًا في التعامل مع المصاب، فالإنسان يبكي ليتحقق من الأسى، وبالتالي فإنه يكون في طريقه إلى السلوى..

أما الشاعر فهو يرفض البكاء، لأنه يرفض السلوان، ويرى في ذلك خيانة للوفاء.

إن ابن الرومي الذي اشتهر بالتوليد في المعاني، والذي، كما يقول النقاد، يتناول المعنى، ويولد فيه حتى لا يبقي فيه بقية لأحد لم يفعل ذلك في هذه المقطوعة، بل أوجز فيها إيجازًا شديدًا، وأنهى مقطوعته ونحن نعتقد أنه لازال في بدايتها.

ويتعرض محمد بن عبدالملك الزيات لفقدان زوجته فيرثيها بأبيات يتحدث فيها عن الزوج الأم، فهو يرثيها لأنها أم أولاده معتمدًا على ترجمة أحاسيس صبيته الصغار الذين فجعوا بفقدان أمهم، يقول:

ألا مَنْ رأى الطفلَ المفارِقَ أمَّهُ
بُعَيد الكرى عيناه تبتدران
رأى كلَّ أمٍ وابنها غير أمه
يبيتان تحت الليل يتحبان
وبات وحيدًا في الفراش تحثه
بلابل قلب دائم الخفقان

وقال أحد الأعراب بعد أن دفن زوجه:

أطأ التراب وأنت رهن حُفَيرة
هالت يدايَ على صداك ترابها
إني لأغدُرُ مَن مشى إنْ لم أطَأ
بجفون عيني ما حَييتُ جنابها

لقد تتبعت رثاء الزوجات في شعرنا القديم(٣) فلم أجد إلا أبياتًا قليلة متناثرة هنا وهناك، وقد استوقفتني هذه الظاهرة فعلى الرغم من ظهور قصائد في رثاء الأم ابتداء من العصر العباسي، ومن رثاء الجواري في العصر نفسه، فإن صورة الزوجة تبدو باهتة جدًا، فلماذا:

وقفة:

قال صخر بن عبدالله الشريد:

فأي امرئ ساوى بأم حليلةً
فلا عاش إلا في شقا وهوان

الهوامش

١ـ الديوان، ج٢، ص٦٠.

٢ـ ديوان ابن الرومي، ج٢ ص٧٩ ـ ٨٠.

٣ـ في الشعر الحديث دواوين في رثاء الزوجات، كتلك التي كتبها كل من: عبدالرحمن صدقي، وعزيز أباظة، و د. سعيد رمضان البوطي؛ كما رثى محمود سامي البارودي زوجته.

خليل الرحمن
مدينة الأنبياء

خليل محمود الصمادي

تقع الخليل في وسط فلسطين جنوب الضفة الغربية، ويحدها شمالاً ديار القدس والرملة، وشرقًا البحر الميت، وجنوبًا بئر السبع، وغربًا غزة وبئر السبع. والخليل مدينة عريقة يرجع تاريخها إلى عام ٥٥٠٠ قبل الميلاد، فقد بناها العرب الكنعانيون وأسموها (قرية أربع) نسبة إلى بانيها أربع العربي المنسوب إلى العناقيين الجبابرة، ثم سكنها سيدنا إبراهيم عليه السلام حوالي عام ١٨٠٥ ق.م بعد أن هاجر من الجنوب العراقي، وبقي فيها بضع سنوات وبعدها ارتحل إلى مصر حيث تزوج هاجر، وتوجه إلى الحجاز فبنى الكعبة المشرفة مع ولده إسماعيل عليهما السلام، وعاد إلى الخليل ثانية وأقام في الموقع الذي عليه مدينة الخليل حاليًا، وافته المنية ودفن في المغارة، وبعده دفن في المكان نفسه عدد من الأنبياء وزوجاتهم.

وبعد ذلك التاريخ كانت أراضي الخليل تمتد وتتقلص بحسب الغزوات العديدة التي اجتاحتها.

فتعرضت كباقي مدن فلسطين، إلى الغزو الأشوري ٧٣٢ق.م، وللزحف البابلي ٥٨٧ق.م، والفارسي ٥٣٩ق.م، وأخضعها اليونان الإغريق لحكمهم عام ٣٢٢ق.م، وانتزعها الرومان منهم عام ٦٣ق.م، واستمر الرومان قرونًا عديدة فكانت عام ٤٠٠م تضم القطاعات التالية:

- حبرون وهي البلدة القديمة وتضم بيت إبراهيم والقلعة.

- تربنتس وكانت تقع في منتصف الطريق بين حلحول والخليل، وتعرف اليوم بـ (رامة الخليل).

- بثنيم وتقوم على موقعها اليوم قرية بيت عينون، وبعدها انتقلت لقبضة البيزنطيين عام ٥٩٣م، إلا أن الفرس احتلوها لبضع سنوات، ثم عاد الروم البيزنطيون واحتلوها مرة أخرى وأخرجوا الفرس منها، وفي ذلك الوقت نزلتها قبائل عربية من جذام ولخم القحطانية، وامتدوا إلى غرب البحر الميت.

وفي عام ١٥هـ/٦٣٦م وصلت الجيوش الإسلامية تحت راية التوحيد، وقد عرف هذا الفتح بالفتح العمري، ونعمت حتى قبل عقود من الزمان بالحكم الإسلامي الذي أثر في سكانها تدينًا وتربية أخلاقية.

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم للداريين

في بداية الدعوة الإسلامية كانت الخليل واقعة تحت الحكم الروماني، فقدم الصحابي الجليل تميم الداري في عام ٩هـ مع رهط من قومه، وكانوا يقيمون في الخليل وجنباتها فأسلموا بعد أن كانوا على دين النصرانية، وسألوه أن يمنحهم أرض الخليل بعد أن يمن الله عليه بفتحها، فأقطعها لهم وكتب لهم كتابًا بها.

روى ابن عساكر في تاريخه وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بطرق مختلفة منها رواية زياد بن فائد عن أبيه فائد عن جده زياد بن أبي هند، عن أبي هند الداري أنه قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونحن ستة نفر(١): تميم بن أوس، ونعيم بن أوس أخوه، ويزيد بن قيس، وأبو هند بن عبدالله (صاحب الحديث) وأخوه الطيب بن عبدالله وكان اسمه برًا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن، وفاكه بن النعمان، فأسلمنا وسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعنا أرضًا من الشام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سلوا حيث شئتم»: فقال تميم: أرى أن نسأله بيت المقدس وكورها، فقال أبو هند هذا محل العجم وكذلك يكون فيها ملك العرب وأخاف ألا يتم لنا هذا، فقال تميم: فنسأله بيت جبرين وكورتها، فقال أبو هند هذا أكبر وأكبر. فقال وأين ترى أن نسأله؟ فقال: أرى أن نسأله القرى التي تقع فيها تل آثار إبراهيم، فقال تميم: أصبت ووفقت، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم: أتحب أن تخبرني بما كنت فيه أو أخبرك؟ فقال تميم: بل تخبرنا يا رسول الله نزداد إيمانًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أردتم أمرًا فأراد هذا غيره»، ونعم الرأي رأى قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة من جلد من أدم فكتب لنا فيها كتابًا نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين إذا أعطاه الله الأرض وهب لهم عينون وحبرون وبيت إبراهيم بمن فيهم لهم أبدًا.

شهد العباس بن عبد المطلب، وجهم ابن قيس، وشرحبيل بن حسنة. وكتب. قال: ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج

التلال التي تحيط بالخليل من جهة الشرق

في زاوية الرُّقعة وغشاه بشيء لا يعرف وعقده من خارج العقدة بسير عقدتين، وخرج إلينا به مطويًا وهو يقول: *إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين* **آل عمران**:٦٨. ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا بي قد هاجرت، قال أبو هند: فانصرفنا.

فلما هاجر النبي إلى المدينة قدمنا عليه فسألناه أن يجدد لنا كتابًا فكتب لنا كتابًا نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أنطى(٢) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الداري وأصحابه، إني أنطيتكم عينون وحبرون والرطوم وبيت إبراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم منْ بعدهم أبد الأبد، فمن آذاهم آذاه الله».

شهد أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب.

قال ابن حجر العسقلاني: والكتاب المذكور مشهور بيد ذرية تميم، وقد كتبت في شأنه جزءًا سميته «البناء الجليل بحكم بلد الخليل»(٣).

بقي تميم الداري وأصحابه في المدينة المنورة واشتركوا في الغزوات مع المسلمين، وانتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، ولم تفتح الشام، وفي عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه في السنة ١٥هـ، لم ينس الخليفة كتاب الداريين فكتب كتابًا لأبي عبيدة عامر بن الجراح يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(من أبي بكر إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، امنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين. وإن كان أهلها قد جلّوا عنها، وأراد الداريون أن يزرعوها فليزرعوها، فإذا رجع أهلها إليها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليك)


جانب من جامع الخليل

الخليل بعد الفتح الإسلامي

وانتقل تميم الداري وقومه إلى الخليل وعمروها وسكنوها وكثرت ذريتهم وما زالت إلى هذه الأيام، وعُرفت باسم التميمي، وبرز منها العلماء والأدباء والشعراء وغيرذلك.

وبقيت الخليل في صدر الإسلام قرية متواضعة من أعمال بيت جبرين. وعلى مر العصور الإسلامية كان الاهتمام واضحًا بالخليل ومسجدها، فقد أولى الخلفاء الأمويون اهتمامًا بالحرم الإبراهيمي فقاموا بتجديد بنائه، والشيء نفسه فعله الخلفاء العباسيون، وبرز منهم الخليفة المهدي الذي أمر ببناء السور الحالي للمسجد من جهة الشرق، وقام ببناء المراقي الجميلة من ناحية الشمال والجنوب، كما ذكر الخليفة المقتدر بالله (ت:٣٢٠هـ) في كتب التاريخ وما قام به من إصلاحات في المدينة المذكورة.

وقد زار ناصر خسرو الخليل عام ٤٣٨هـ ووصف الحرم الإبراهيمي بقوله: (والمشهد يتكون من بناء ذي أربع حوائط من الحجر المصقول، طوله ثمانون ذراعًا وعرضه أربعون وارتفاعه عشرون وثخانة حوائطه ذراعان، وبه مقصورة ومحراب في عرض البناء، وقد وقف عليها أوقافًا كثيرة من القرى ومستغلات بيت المقدس.

وذكر الحرم الإبراهيمي العمري في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، وقد زارها عام ٧٤٥هـ فقال: «لم يكن لهذا المشهد باب، إنما المسلمون لما فتحوا البلد فتحوا بابًا، وبناؤه بناء محكم وفي حائطه حجارة هائلة في كبر القدر، منها ما طوله سبعة وثلاثون شبرًا. وقد أقيم بهذا الوضع خطبة ورتب به إمام ومؤذنون».

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي


مصوّر لمحافظة الخليل

خليل الرحمن
مدينة الأنبياء

ضمت إلى غزة وكانت قد سقطت بأيدي الصليبيين عام ١٠٩٩م، فقاموا بهدم مسجد إبراهيم، وبنوا على أنقاضه حصنًا لفرسانهم وأسموها «قلعة القديس إبراهام»، وفي أواخر عام ١١٧٨م حولوا المسجد الإبراهيمي إلى أبرشية، وفي عام ١١٧٢م، بنيت كنيسة على موقع الحرم الإبراهيمي الشريف، واستمرت الكنيسة حتى عام ١١٨٧م، حين استردها صلاح الدين وأعاد ما حولوه إلى ما كان عليه، ونقل إليه منبر عسقلان بعد أن هدمها، وما زال المنبر قائمًا إلى يومنا هذا، ومن الجدير ذكره في هذا المقام ما قام به صلاح الدين عندما نقل منبر المسجد الأقصى من مدينة حلب، وقد أحرقه اليهود بعد احتلال القدس.

وقد ذكر صاحب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» المنبر بقوله: «وهو من الخشب في غاية الإتقان والحسن، وهذا المنبر عمل في زمن المستنصر بالله الفاطمي حاكم مصر عام ٤٨٤هـ، وعليه تاريخ عمله مكتوبًا بالكوفي والظاهر أن الذي نقله ووضعه بمسجد الخليل عليه السلام الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي لما هدم عسقلان».

وفي عهد المماليك اهتم الملوك والسلاطين بالخليل وأولوا الحرم الإبراهيمي عنايتهم الفائقة بتجديد الحرم وأضافوا الأبنية العديدة، وأنشؤوا المساجد والزوايا في أنحاء البلدة، وكان منهم السلطان الظاهر بيبرس الذي أوقف قرية (إدنا) للحرم الشريف، وأمر عام ٦٦٦هـ، بتجديد عمارة مسجد الخليل، ذكر ذلك ابن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات» بقوله: «وجدد قبة الخليل عليه السلام ورم شعثه وأصلح أبوابه وميضاته وبيضته».

واهتم السلطان قلاوون بالبلدة اهتمامًا كبيرًا، فقام بعمارة الرباط المنصوري، وأدخل الرخام إلى الحجرة الخليلية عام ٦٨٦هـ، وأنشأ بركة في وسط البلد وهي المعروفة اليوم ببركة السلطان، كما قام بعمارة أحد أبواب الحرم، وجاء بعده السلطان محمد بن قلاوون فأدخل تحسينات عظيمة في البلدة شملت الحرم وغيره.

وفي عهد المماليك الشركسية أوقف الملك الظاهر سيف الدين برقوق قريتي صميل وديراستيا على الحرم الإبراهيمي فضلاً عما قام به من عمارات في الحرم. وفي عهد الملك الأشرف قايتباي تمت عمارة المزيد من الأوقاف في أنحاء المدينة، ومن الجدير ذكره أنه جعل المدينة مركزًا للبريد، ومحطة للبريد الجوي الذي يحمله الحمام الزاجل.

وبعد نهاية دولة المماليك ٩٢٢هـ خضعت الخليل كغيرها من مدن الشام إلى السلطنة العثمانية، ويبدو أن العثمانيين لم يولوا الخليل عناية كما أولاها المماليك، ولكنهم حافظوا على ماشيده من كانوا قبلهم، واتجهوا إلى تشجيع الزراعة، فانتشرت في البلاد زراعة العنب، كما شجعوا الصناعة، فقامت صناعات عديدة هناك كصناعة الصابون والزجاج وغزل القطن والصوف وغيرها، وغدت المدينة محطة القوافل المتجهة إلى مصر والعقبة، والعائدة منهما.

ومع سقوط دولة الخلافة وقعت البلاد تحت قبضة الاستعمار البريطاني فأصبحت الخليل مركز قائم مقامية تابعًا للواء القدس الشريف، وبلغ عدد سكانها ٥٣ ألف نسمة، وقام الأهالي بفتح العديد من المدارس والمشافي والمصارف، وفي عهد المستعمرين بدأت الهجرة اليهودية المنتظمة تتدفق إلى البلاد من أنحاء العالم لتستوطن في فلسطين انتظارًا لمخططهم في إنشاء دولة يهودية.

صفات أهل الخليل

اشتهر أهل الخليل بالتدين وبالكرم وبشدة ترابطهم الأسري وبالبعد عما ينافي التمسك بالدين، فالخليليون البالغ عدد سكانهم الآن أكثر من ١٣٠ ألف نسمة لم ينشئوا دارًا للسينما على الرغم من تشجيع الاحتلال لمثل هذه الأعمال، وكانت المدينة الوحيدة في فلسطين التي لا توجد بها دار للسينما، ولا يوجد فيها إلا فندق صغير، لأن من العيب أن ينزل الضيف في الفندق ولو كان غريبًا. وبجوار الحرم الإبراهيمي يوجد مطبخ كبير (التكية الإبراهيمية) تعد فيه المأكولات لضيوف المدينة والفقراء على مدار العام ودون انقطاع منذ زمن بعيد.

أسر الخليل:

من عائلات الخليل المشهورة عائلة التميمي التي تعود بأصولها إلى الصحابي الجليل تميم الداري، وعائلة الجعبري، والقواسمة، ويغمور، والنتشة، وقفيشة، ومرقة، وشبانة، والعجيل، وجمجوم، وقويدر، والقاضي، وحجازي، وطهبوب، والجنيدي، والناظر، وعابدين، وعمرو، والبكري، وغيرها.

وفي الخليل عدد من الجمعيات



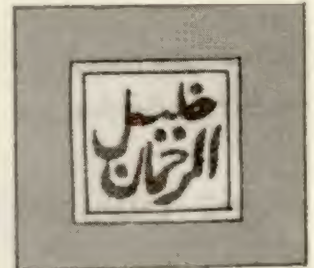
مسجد الريان بالخليل في طور البناء

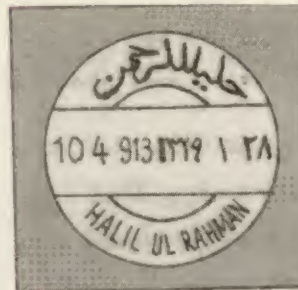


لوحة بريشة فنان تصور جانبًا من المعالم الرئيسية في الخليل



إقبال على العمل على الرغم من كل الصعوبات







مجموعة من الطوابع التي ترجع إلى سنوات مختلفة بالترتيب (١٨٩٢م/ ١٩٠٢م/١٩١٥م).

الخيرية التي تقوم بمساعدة الفقراء والمحتاجين، وبفتح المدارس الخيرية لتعليم أبناء الفقراء.

أعلام من الخليل

خلد التاريخ أعلامًا من الخليل منهم موسى بن نصير فاتح الأندلس، أصله من الخليل، عمل والده لدى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان قائدًا لحرسه الخاص، وعمل موسى واليًا على الشمال الإفريقي، وفي عهده فُتحت الأندلس. ومن مشاهير الخليل الشيخ الإمام مجد الدين أبو محمد عبدالعزيز الخليلي الداري، أنشأ في القاهرة المدرسة المجدية الخليلية عام ٦٦٣هـ، والوزير عمر بن عبدالعزيزالخليلي التميمي(ت:٧١١هـ)، كان وزيرًا في دولة السعيد بن الظاهر بيبرس، والشيخ صالح بن خليل بن سالم أحد شيوخ ابن حجر العسقلاني، ومن أعيان القرن الثالث عشر الهجري، والشيخ حسن الخليلي والشيخ خليل التميمي الداري (ت:١٣١٧هـ) والشيخ الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري وكان يقال له شيخ الخليل، له نحو مئة مؤلف، وله ديوان شعر طبع بمصر عام ١٨٢٤م، ومؤلفات في القراءات وعلوم الحديث. والشيخ محمد أحمد التميمي ولد عام ١٨٢٤م، وهو أول من ألف رواية بالعربية في فلسطين سماها «أم حكيم». ومن شهداء ثورة البراق الذين أعدمهم البريطانيون عام ١٩٣٠م، عطا أحمد الزير ومحمد خليل جمجوم وفؤاد حسن حجازي، ومن هؤلاء الأعلام الشيخ نسيب البكري الذي نشأ محبًا للقرآن، فعمل إمامًا وواعظًا بالمسجد الإبراهيمي، وشارك في ثورة البراق وانضم إلى المجاهدين عام

١٩٣٦م، وعين قائداً للمجاهدين بعد مقتل عبدالقادر الحسيني، وفي نيسان/ إبريل ١٩٤٨م لقي ربه في إحدى المعارك، ومن مشاهير عصرنا ماجد أبو شرار الذي اغتيل في باريس، والشاعر يوسف الخطيب وباجس أبو عطوان ومحيي الدين الشريف وغيرهم.

سقوط الخليل ومحاولات التهويد

كانت نسبة اليهود في الخليل قبل عام ١٩٤٨م أقل من واحد بالألف من مجموع سكانها، ففي إحصاء ١٩٢٢م بلغ عدد المسلمين في قضاء الخليل ٥٣ ألف نسمة مقابل ٤٣٠ يهودياً، وفي عام ١٩٣١م ارتفع عدد المسلمين إلى أكثر من ٦٧ ألف نسمة مقابل ١٣٥ يهودياً.

وفي عام ١٩٢٩م انخفض عدد اليهود إلى أدنى معدل له فلم يبق في الخليل أحد من اليهود، وذلك بسبب ثورة البراق التي اندلعت في كل أنحاء فلسطين، وخاصة في الخليل وصفد، وسببها خروج الآلاف من اليهود بمظاهرة إلى حائط المبكى بالقدس، فخرج العرب بمظاهرة مماثلة فاندلعت ثورة عارمة عمت البلاد وجرت اشتباكات دموية بين الطرفين فقد اليهود فيها ١٣٣ شخصاً وجُرح لهم ٣٣٩ شخصاً، مقابل ١١٦ قتيلاً للعرب و٢٣٢ جريحاً، وكان نصف قتلى اليهود من الخليل، فخرج اليهود منها ولم يعودوا بكثافة إلاعام ١٩٦٧م.

وفي حرب ١٩٤٨م دمّر المجاهدون خمس مستعمرات في قضاء الخليل، وكانت واقعة على طريق (القدس - الخليل) وعلى مسيرة ١٣ كم من الخليل. وبعد الحرب سقطت نصف أراضي القضاء وقراها تحت الحكم الإسرائيلي، بيد أن المدينة ظلت بمنأى عن شرورهم حتى سقوطها عام ١٩٦٧م.

ولما دخلت القوات الإسرائيلية الخليل توجس الأهلون خيفة من وقوع مذبحة انتقامية لما حدث عام ١٩٢٩م، فاستدرك رئيس بلديتها هذا الأمر فقام بعرض هدنة على الحاكم العسكري تتضمن عدم مقاومة الأهالي للاحتلال مقابل منح الأمان للجميع.

فرح اليهود باحتلال الخليل فأقاموا الحفلات والرقصات، إذ إن المدينة لا تقل أهمية عندهم عن القدس، وقد أدلى المسؤولون اليهود من ساسة ومتدينين تصريحات أكدت أن الهدف الأول للتهويد بعد مدينة القدس مدينة الخليل، بل إن بعضهم ذهب ألى أن الخليل تفوق في أهميتها مدينة القدس بحجة أنها كانت أول عاصمة لمملكة داود، وأن فيها عدداً من قبور الأنبياء وزوجاتهم.

ولهذه الأهداف المعلنة وضعوا مخططات لتهويد المدينة وأهمها:

- إثارة الذعر والرعب بين السكان عن طريق التهديد والاعتقال وتوزيع المنشورات التحريضية؛ فبعد الاحتلال وزع المتطرفون منشوراً باللغة العربية في أنحاء فلسطين بآلاف النسخ جاء فيه: «إننا سنذبح ١٠٠ عربي مقابل كل يهودي، أيها اليهود اذبحوا العرب اذبحوهم جميعاً، ولا تبقوا منهم أحداً، أيها اليهود إياكم أن تنسوا الخليل في عام ١٩٢٩م، واعلموا أننا سنعيد بناء كنيس إبراهيم ويعقوب وإسحاق فوق أنقاض مسجدهم، كما سنعيد بناء هيكل سليمان في مكانه»(٤).
- محاولة تغيير ملامح المدينة ودرس الآثار الإسلامية بالتدريج، فقد قاموا بإزالة عمارة الرباط المنصوري المشيّدة بأمر السلطان المملوكي قلاوون منذ عام ٦٧٩هـ والواقعة تجاه القلعة التي أزالوها فيما بعد، وكان الرباط يستعمل فيما مضى خاناً للمسافرين وعابري السبيل والزوار وطالبي العلم، وكان ينفق على نزلائه من ريع الأوقاف، وقبل هدمه كان مقراً لدائرة أوقاف الخليل في زمن الاحتلال البريطاني حتى تاريخ هدمه، وما زالت بلدية الخليل تحتفظ باللوحة الرخامية التي كانت مثبتة في أعلى الرباط وقد كتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عمّ فضله كل شيء وصلى الله على سيدنا محمد وآله، أمر بعمارة هذا الرباط المبارك ووقفه على الفقراء وزوار الخليل عليه السلام مولانا السلطان الملك المنصور أبو المعالي سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي - أدام الله أيامه، وتقبل منه - سنة تسع وسبعين وستماية، وصلى الله على سيدنا محمد وآله».

كما طمسوا البئر الملاصقة لسور الحرم، وهدموا بعض الزوايا والتكايا



مشروع إفطار الصائم من صور الدعم التي تقدمه الندوة العالمية للشباب الإسلامي

بحجة توسيع الشوارع والساحات.

- الاستيطان اليهودي حول المدينة، وهو مشروع أقرته الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٦٨م، وتم بموجبه إنشاء أول مستعمرة على مشارف (كريات أربع) تمهيداً لتطويق المدينة ومحاصرتها بالمستعمرات، وتنفيذاً لهذه المشروعات تمت مصادرة مساحات شاسعة من الأراضي والقرى المحيطة بالمدينة لإقامة الأحزمة الاستيطانية، وقد بلغت مساحة الأراضي المصادرة والمغلقة حتى عام ١٩٩٥م حوالي ٤٠٠ ألف دونم أي حوالي ٣٦,٢٪ من مساحة المحافظة، بالإضافة إلى الطرق الالتفافية الخاصة بالمستوطنين التي بلغت ٤٥٠٠ دونم.

وقد بلغت المستوطنات اليهودية في المحافظة الآن ٢٧ مستوطنة منها أربع مستوطنات ملتصقة بالمدينة، وخمس بداخلها، وإحدى عشرة على امتداد خط الهدنة لعام ١٩٤٨م.

- إقامة حي يهودي في قلب المدينة تحت ستار إعادة بناء الحي اليهودي الذي كان قائمًا قبل عام ١٩٢٩م، وبالفعل بدأ الحاخام موشيه ليفنغر مع مئة من أتباعه منذ عام ١٩٦٨م بمحاولة إنشاء أول نواة استيطانية يهودية، وقام بتشجيع اليهود على ذلك، وتقديم المساعدات لهم، إلا أن انشغالهم بمستعمرة كريات أربع أرجأ الموضوع عدة سنوات، ففي عام ١٩٧٩م قامت مجموعة من نساء «كريات أربع» بقيادة زوجة الحاخام لينفغر باحتلال عمارة الدبوية التي كانت مدارس لأبناء اللاجئين الذي لجؤوا إلى الخليل بعد حرب ١٩٤٨م، وبعض المباني المجاورة لتكون نواة للحي اليهودي، وعلى الرغم من احتجاج البلدية والساكنين شرع اليهود في إنشاء الحي المذكور وقد أسموه (بيت هاداساه).

- الاستيلاء على الحرم الإبراهيمي وتحويله تدريجيًا إلى كنيس يهودي على الرغم من استفزاز مشاعر المسلمين في أرجاء المعمورة، إذ يعد الحرم رابع المساجد الإسلامية شهرة بعد الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، لارتباطه بأبي الأنبياء عليهم السلام، وقد ظل المسجد الإبراهيمي للمسلمين على مر التاريخ عدا السنوات المعدودة خلال الحروب الصليبية. وفي أيامنا هذه يوشك الحرم على السقوط تحت قبضة اليهود بعد أن خططوا لتهويده منذ سقوط الخليل عام ١٩٦٧م، فمنذ الأيام الأولى للاحتلال بدأت جماعات اليهود تفد لزيارته، وبعد مدة صارت هذه الزيارات تأخذ طابعًا رسميًا إذ سمحت سلطات الاحتلال لليهود بأداء الصلوات في الحرم بشكل ظاهري في غير أوقات صلاة المسلمين. وفي عام ١٩٧٢م أقدم الحاخام مئير كاهانازعيم حركة «كاخ» مع مئة من أتباعه على اقتحام الحرم وأداء الصلاة الاستفزازية في أوقات صلاة المسلمين، وبعد الشكوى على هذا التصرف المشين قررت سلطات الاحتلال السماح لليهود بأداء الصلاة في أوقات صلاة المسلمين، ثم سمحوا بزيادة عدد الساعات المخصصة لهم مقابل تخفيض عدد ساعات المسلمين، كما قاموا بإدخال عدد الكراسي للجلوس عليها أثناء الصلاة، وخزانتين لحفظ التوراة، وفي عام ١٩٧٢م منعوا الصلاة على موتى المسلمين وباشروا بسقف صحن المسجد الداخلي المكشوف وتخصيصه لليهود، ومنع المسلمين من ارتياده، كما استولوا على الزواية اليعقوبية، وفي عام ١٩٧٤م، أدخلوا البوق للحرم وكأنه كنيس يهودي، وفي عام ١٩٧٦م، تسلل أربعة من المستوطنين إلى الحرم الشريف وقاموا بتمزيق المصاحف وإهانتها - أهانهم الله ولعنهم - وقد أدى هذا الحادث إلى وقوع مصادمات بين المستوطنين والأهلين، منع على إثرها التجوال، فاستغل اليهود هذا المنع فقاموا باقتحام المسجد فحطموا أبوابه وسرقوا معظم الكتب التاريخية النادرة والأثاث الموقوفة للمسجد.

ولم يُذعن السكان لهذه التصرفات المشينة فقاوموها على قدر استطاعتهم، ونددوا، وعقدوا المؤتمرات، وأرسلوا الرسائل، ولكن معاناتهم ازدادت بسبب الاعتقال والإبعاد، فقد تم إبعاد قاضي الخليل الشرعي ورئيس البلدية عقب هذه الاضطرابات.

المذابح اليهودية في الخليل:

لم تسلم بلاد الخليل من المجازر الرهيبة التي تعرض لها السكان الآمنون في فلسطين، وكانت أبشع مجزرة في فلسطين ارتكبت في قرية «الدوايمة» الواقعة إلى الغرب من مدينة الخليل، وقد فاقت جريمتها ما حدث في دير ياسين (٢٥٠) قتيلاً وفي كفر قاسم (٥٠) قتيلاً وفي قبية (٤٢) قتيلاً، ومن الغريب أن هذه المجزرة ظلت في طي الكتمان مدة ٣٦ عامًا إلى أن كشفتها مراسلة صحيفة «حداشوت» الإسرائيلية عام ١٩٨٤م عندما أجرت مقابلة مع مختار القرية وبعض جزاري المذبحة ممن بقوا على قيد الحياة، وقد اعترفوا بفعلهم المشين، ومن المؤسف له أن مختار القرية الذي نجا من هول ما حدث كان قد بلغ المسؤولين العرب عن المجزرة وأعطاهم وثيقة بأسماء المقتولين، وروت الصحيفة الإسرائيلية أن أكثر سكان القرية ذبح، ولم ينج إلا القليل منهم، فقد قام أفراد الكتيبة ٨٩ التابعة لمنظمة «ليحي» بتطويق القرية ليلة ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٨م، ثم اقتحموها تحت ستار الظلام مطلقين رصاص أسلحتهم النارية على السكان النائمين، وفرّ بعض الناس إلى مسجد الدراويش وعددهم ٧٥ مسنًا، وفي الصباح تم اكتشافهم فقتلوا جميعًا، وبعد ساعات روعت البلاد بقتل من تبقى حيًا من أهل القرية الذين كانوا مختبئين في المغارة القريبة من القرية وبلغ عدد القتلى (٥٨٠) قتيلاً ما بين رضيع ومسن وعاجز وشاب، وبعد الانتهاء من المجزرة جمعت الجثث، وأُلقيت في بئر وسط القرية في محاولة لإخفاء جريمتهم البشعة(٥).

وفي عام ١٩٦٦م تم الهجوم على قرية السموع التابعة للخليل فأصيبت مدرسة، وعيادة، ومسجد، و١٢٥ منزلاً، وتم قتل ١٨ شخصًا، وجرح ١٣٠ آخرين.

وفي بداية التسعينيات هاجم خمسة مستوطنين الجامعة الإسلامية بالخليل التي يزيد طلابها على ٧٠٠ طالب، وفتحوا فوهات بنادقهم وقذفوا القنابل اليدوية على جموع الطلاب ثم فروا بسياراتهم إلى كريات أربع، وكانت حصيلة المجزرة وقوع أكثر من أربعين طالبًا بين قتيل وجريح.

ولم ينس المسلمون ما حدث في منتصف شهر رمضان المبارك من عام ١٤١٤هـ عندما أقدم المستوطن اليهودي غولد شتاين على مهاجمة المصلين، وهم سجود في صلاة الفجر داخل المسجد الإبراهيمي، فاستشهد حوالي ٣٠ مصليًا وجُرح العشرات منهم، وفي أيامنا هذه يعيش أهل الخليل وغيرها من المدن الفلسطينية تحت ظلال الاحتلال مرابطين في الأرض المباركة، وهم ينتظرون من إخوانهم المسلمين الدعاء لهم بالثبات والنصر بإذن الله.

المصادر والمراجع:

أحمد سامح الخالدي: أهل العلم والحكم في فلسطين،عمان ١٩٦٨م.
ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة، القاهرة١٣٢٨هـ.
عبدالرحمن ياغي : الأدب الفلسطيني الحديث القاهرة ١٩٦٩م.
عبدالرزاق البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دمشق ١٩٦١م.
مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، القاهرة ١٢٨٣هـ.
مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين عمان١٩٨٦م.
الندوة العالمية للشباب الإسلامي، لجنة شباب فلسطين: الخليل (كتب) الدمام ١٤١٨هـ.
هيئة الموسوعة الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، دمشق ١٩٨٤.

هوامش:

١- زاد ابن حجر في الإصابة أربعة آخرين هم: هانئ بن حبيب جبلة بن مالك وعروة بن مالك وقيس بن مالك.
٢- أنطى: أعطى بلغة أهل اليمن يجعلون العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء وقرئ إنا أنطيناك الكوثر.
٣- الإصابة: ترجمة أبي هند الداري.
٤- نشرة فلسطين عدد٩٣ رمضان ١٣٨٨هـ الهيئة العربية العليا لفلسطين بيروت.
٥- للاستزادة عن مجزرة الدوايمة راجع: من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين ١٩٣٦-١٩٨٣م، دار الجيل عمان ط١ حزيران ١٩٨٥م.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية

منصور بن بعرة الذهبي الكاملي

وُجدت معاملات الناس التجارية منذ القدم، وكانت تتم أولاً على شكل مقايضة السلع، ومع التطور الحضاري للإنسان أصبح التعامل عن طريق النقود المعدنية «ذهبية وفضية ونحاسية»، وصناعة النقود هذه لم تكن منتشرةً في كل بقاع الأرض، فالعرب مثلاً كانوا قبل الإسلام يتداولون نقود كسرى وقيصر؛ حيث تجلب هذه النقود من بلاد فارس والروم، ثم أصبحت حاجة العرب المسلمين ملحة بعد توسع رقعة العالم الإسلامي إلى وجود دارلسك النقود في البلاد الإسلامية، لتكون هناك استقلالية مالية للمسلمين عن غيرهم أولاً، وللطلب المتزايد على العملات النقدية لكثرة المعاملات التجارية وتطورها ثانياً. من أجل ذلك أنشئت في أصقاع العالم الإسلامي دور لضرب النقود، ومنها دار الضرب المصرية، وقد أنشئت هذه الدار وغيرها من دور الضرب أو «مصانع النقود» على أسس علمية وتجارية رائدة، حفظها لنا كتاب «كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية» لمؤلفه منصور بن بعرة الذهبي الكاملي. ويرجع هذا الكتاب إلى العصر الأيوبي، وتحديداً زمن السلطان الملك الكامل، الذي تولى الحكم في مصر بين سنتي ٦١٥-٦٣٥هـ، وعمل عدة مشروعات نافعة أثناء توليه الحكم، منها دار الضرب والمدرسة الكاملية وغير ذلك. وقال المؤلف في مقدمة كتابة: «قد جمعت في هذا الكتاب من أسرار عمل الدينار والدرهم بدار الضرب ما لا غنى عنه لمتوليها من معرفته، ولابد من مقدمات العمل قبل مباشرته، فلعلك لا تسترجع فائتة، ولا تستدرك فرط ما فيه، ويكون الضرر فيه أضعاف منفعته، فإن دار الضرب هي أسرار المملكة، وناموس السلطنة، وكنوز العالم... والصراط المستقيم الذي لا يجوزه إلا الأمناء المخلصون من النساء والرجال، فإليها تنتهي غاية الامتحان».

فالمؤلف يؤكد أهمية وجود دار لسك النقود وصنعها، كما يؤكد وجوب تحلي العاملين في هذه الدار بالأمانة والإخلاص. والقارئ للكتاب يجد أن مؤلفه قد كتبه بلغة عصره وأسلوب أهل صناعته سواء ما يتصل بالمعادن وتصنيعها، أو ما يتصل بالنقود نفسها، مع ذكر المصطلحات وتفسيرها في كثير من الأحيان، وعالج كلَّ ذلك معالجة رجل مارس العمل ووقف عليه، وتناوله تناول خبير في المعادن وضربها وسكها، مما جعل كتابه مرجعاً أصيلا عند العلماء والباحثين. واقتصر فيه على تفصيل العمليات الفنية والكيماوية اللازمة لتخليص الذهب والفضة من الشوائب وضرب العملة منها، فضلاً عن تناوله إدارة دار الضرب واختصاصات العاملين عليها في العصر الأيوبي خاصة. فمن هنا نلاحظ أن الكتاب يهتم بناحيتين:

- الأولى: الناحية الاقتصادية، مثل مصادر الذهب الوارد إلى دور السك، وعيار الدراهم، وأنواع الدنانير السائدة في ذلك العصر، ومهمة دار السك الأيوبية واختصاصات موظفيها.
- الثانية: في العمليات الكيماوية لصنع الدراهم والدنانير الذهبية والفضية والنحاسية، مثل تصفية كل من الذهب والفضة وتعديل عيارهما، واختيار عيار سبائك الذهب قبل السك للوصول إلى العيار المطلوب. وقد رتب المؤلف كتابه على سبعة عشر باباً، حيث يقول: وقد رتبته سبعة عشر باباً في ضوابط أصول العمل التي عليها العمدة، وإليها المستند، ومنها تنكشف للحاذق دقائق أسرار عملية لم تخطر له من قبل في خَلَد، ثم يورد عناوين الأبواب واحداً تلو الآخر قبل البدء بشرحها وتفصيلها. ومن الأبواب التي طرقها:

- استخلاص الذهب والفضة من الأرض وأماكن وجودهما فيها.
- معرفة نقود الذهب المختلفة الشكل ومبلغ كل نقص منها عن المعيار.
- في عمل عيارات يعرف بها قيمة كل صنف من الذهب.

في صفة تعليق الذهب وصفة بناء الأتون، وهو الفرن الذي يصهر فيه الذهب.

- استخراج ما تخلف في أفران المصهر من شوائب وتراب من بقايا الفضة.

وقد أفرد الباب الأخير لبيان مهمة كل واحد من العاملين والمسؤولين في دار الضرب، فالمشارف مهمته حفظ جميع الحواصل من فضة وذهب وآلات وغيرها. وهو ما يعرف الآن بأمين المستودع.

والشاهد عليه أن يشهد على جميع ما حوت الدار بما عاينه من أعمال العمال ومباشرته إياهم ومقابلته على الحساب، وخطه بذلك عليه، وهذه وظيفة مدقق الحسابات المعروفة الآن.

والنقاش: الذي ينقش النقود، وعليه أن يكون أميناً وأن لا يشتغل بشيء سوى نقش السكة ليتمهر.

ونشر الكتاب في مصر سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م بتحقيق الدكتور عبدالرحمن فهمي الذي ألحق به صوراً عديدة لنقود ضربت في العصر الأيوبي.

الإسلام والغرب: الجوار المفقود

ISLAM UND DER WESTEN DIE VERLORENE NAEHE

PROF. GERNOT ROHER

بقلم المستشرق الألماني:
جيرنوت روتر
ترجمه عن الألمانية وعلق عليه:
ثابت عيد

كان الأمر بسيطًا في العقود الماضية ـ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وحتى انهيار الدول التي تبنّت نظرية الخلاص الشيوعية ـ: فنحن كنا الأخيار، أو الطيبين ـ، أما الأشرار ـ الأعداء ـ، فكانوا دائمًا الآخرين. هكذا كان الغرب الرأسمالي ينظر إلى الشرق الشيوعي، مثلما كان الشرق الشيوعي ينظر إلى الغرب الرأسمالي. وامتد التقسيم الثنائي القطب شرقًا وغربًا، أو إيديولوجيًا يسارًا ويمينًا، إلى داخل المجتمعات الفردية. لقد كانت صورة العدو الوهمي das Feindbild(١) بسيطة بمثل كونها سهلة الفهم. ومع انهيار المعسكر الشرقي ١٩٨٩ـ١٩٩٠م، أصيبت صورة العدو الوهمي هذه بالتصدع والشروخ. وأخيرًا عفّى عليها الزمان، وأصبحت غير صالحة للاستعمال من قبل القادة العسكريين، ومنتجي السلاح، أو المسؤولين السياسيين، لمواصلة تسويغ ارتفاع النفقات العسكرية في الغرب. وعندما انقضّ صدام حسين على الكويت، بعد ذلك بشهور قليلة، مهدّدًا بذلك، كما يقال: إمدادات الغرب بالطاقة، جاء هذا الاعتداء في الوقت المناسب تمامًا. كان التوقيت دقيقًا إلى درجة أن البعض لم يشأ أن يصدق أن هذا قد حدث من قبيل المصادفة، ليقدّم لـ «العالم المتمدين» عدوًا وهميًا جديدًا: الإسلام، وعن قصد تجوهلت حقيقة أن المجرم السياسي صدام حسين يمثل الإسلام بالقدر نفسه الذي يمثل به نوريجا المسيحية مثلاً، وبعد ذلك شيدت البنية العلوية(٢) الأيديولوجية لصورة العدو الوهمي الجديد.

صامويل هانتينجتون وصراع الحضارات

في سنة ١٩٩٣م قدّم هانتينجتون Samuel Huntington ـ وهو على كل حال مدير المعهد الشهير للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد ـ الدعوى These بأن الصدامات العسكرية المستقبلية ستحدث على طول الشريط الواقع بين المناطق الحضارية، وخاصة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية(٣). بمثل هذه الدعاوي يتم الترويج للصدامات المستقبلية على أنها صدامات لا يمكن تحاشيها، أو تكهنات تتحقّق من تلقاء نفسها: self-fulfilling prophecies، وكان الاستقبال الإيجابي لهذه الدعوى في وسائل الإعلام الغربية مخيفًا حقًا. وهو في رأيي لا يثبت، إلا أن حرب الحضارات المتنبأ بها قد بدأت بالفعل في عقول الغربيين قبل ذلك بوقت طويل.

نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف بين الأديان الثلاثة

إن التنافر، أو عدم التوافق In-kompatibilitact، المزعوم بين الفكر الإسلامي ـ ومن وجهة نظر الغربيين الفكر العربي في المقام الأول ـ والفكر الغربي، هو بالنسبة لكُتّاب كثيرين حقيقة لا ريب فيها. وكون نقاط الاتفاق بين الإسلام والمسيحية واليهودية تفوق نقاط الخلاف بينها، هي حقيقة يندر حتى إظهارها، أو إبرازها. فمنشأ الديانات

الثلاث هو عالم شبه الجزيرة العربية السامي، وسيدنا إبراهيم هو الأب الأول المشترك لها، والتوحيد الأبوي هو رسالتها المشتركة، والوحي الإلهي هو وسيلتها المشتركة، وهي جميعًا تقرّ بأن الجنة والنار هما جزاء العمل في الحياة الدنيا. وكما أن محمدًا صلى اللّه عليه وسلم، كان مقتنعًا بأن ما تلقاه من وحي يطابق الوحي الذي كان موجهًا أصلاً إلى اليهود والمسيحيين، فكذلك اعتقد مسيحيو الشرق لفترة طويلة أن الإسلام ليس إلا صورة جديدة من المسيحية. نقطة أخرى بين هذه الأديان، ولكنها في الوقت نفسه أكبر عامل يفرق بينها، هي ادّعاء الحوز على الحقيقة المطلقة. وليس من المنتظر في الوقت الحالي قيام حوار بين أديان التوحيد الثلاثة، لأن ذلك يعني أن الديانات الثلاث عليها أن تعترف جميعًا ـ الثلاث وليس فقط الديانتان الأخريان دائمًا ـ أنها نسخ متشابهة جدًا من الأصل المفقود، كما وصف ذلك بجلاء ليسنج -Less ing(٤) في قصته Ringparabel، سينتج عن ذلك مذهب مجرد مستنير للألوهية الطبيعية Deismus(٥)، وهو على الأرجح تصور مخيف لمعظم علماء الدين في الديانات الثلاث.

الجهل أحد أسباب سوء الفهم

بيد أن الأمر في التصورات العدائية -Feind bilder المتبادلة لا يتعلق بمسائل الخلاف العقائدية على الإطلاق، أو يحدث هذا عرضًا فقط على أحسن تقدير. فالتناقض لا يُبنى عند كلا الطرفين بين الإسلام والمسيحية، ولكن بين الإسلام والغرب. وهذا يعني أن نقطة الانطلاق تتمثل في كتلتين ثقافيتين متجانستين، تسمى الأولى باسم دينها، والثانية باسم موقعها الجغرافي. وهكذا يتم النقاش على مستويين مختلفين. وطبقًا لذلك كثيرًا ما لا يتفاهم الطرفان. ولكن سوء الفهم له أيضًا سبب آخر هو أن كل فريق يعدّ تصوراته الخاصة بالقيم بديهية وصحيحة، وأن كل ما يخالف هذه التصورات ـ حقيقة أو خيالاً ـ ينظر إليه على أنه سلبي وخاطئ. ولنضرب مثالين لذلك من القرون الوسطى، المثال الأول: إن مؤلف ملحمة رولاند Rolandslied(٦) يجعل العرب يعبدون محمدًا صلى اللّه عليه وسلم وأبوللو Apollo وتيرفاجانت Tervagant. فالثالوث المسيحي كان حقيقة بديهية في عقول الغربيين إلى الحد الذي جعلهم يتهمون المسلمين به أيضًا. كذلك فإن عبادة محمد صلى اللّه عليه وسلم، كمؤسس دين، على التوازي مع عبادة المسيح، هي نقل خاطئ تمامًا للتصورات الذاتية. المثال الثاني يتمثل في تهمة أخرى محببة، كانت تقول إن المسلمين يعبدون ـ بجانب اللّه ـ فينوس Venus: إلهة الحب عند الرومان. ومما استند إليه أصحاب هذا الزعم قولهم بأن المسلمين قد رفعوا من شأن يوم الجمعة، وجعلوه أفضل أيام الأسبوع، وأن يوم الجمعة (dies veneris - vendredi, venerdi) (٧)، قد كان في القرون الوسطى اللاتينية هو يوم فينوس Venus: إلهة الحب عند الرومان، بينما كان يوم الأحد (-domenica dies, di amanche) (٨) هو يوم الإله. كذلك يصادف المرء في المعالجات الحديثة لقضايا الشرق الأوسط بصورة مستمرة تعبيرات غربية يتم فرضها على هذه القضايا العربية، فمثلاً في الحرب الأهلية اللبنانية كان المسلمون بالنسبة لوسائل الإعلام الغربية هم «اليساريين»، وكان المسيحيون هم «اليمينيين»، بالرغم من أن هذه المسميات لا أساس لها من الواقع.

خطأ مساواة الإسلام بالتطرف والعنف

وأخيرًا، فإن قصور الغرب عن الفهم ناتج عن مساواة وخيمة العواقب للإسلام بحركات التطرف التي اتّخذت من العنف أسلوبًا لها. إن تنوع التيارات المختلفة داخل الإسلام لا يلاقي لدى الغرب أي اهتمام يُذكر. بل إن الغربيين يركزون أبصارهم على مَن يُطلق عليهم «المتطرفون Fundamentalisten» ويتجاهلون في ذلك حقيقة أن التنوع الإسلامي نفسه يُظهر تشكيلة واسعة من التيارات.

الإسلام في الكتب المدرسية الألمانية

إذا تصفح المرء كتب التاريخ الألمانية(٩)، فسيجد أن اتصال الغرب المسيحي بالعالم الإسلامي قد تراجع وانحصر في ثلاثة أحداث عسكرية، أولها هي معركة بلاط الشهداء المسماة موقعة تور وبواتييه-Tours und Poiti ers(١٠) سنة ٧٣٢م، التي أنقذ فيها كارل (= شارل) مارتل Karl Martell(١٠) الغرب ـ كما يقال ـ من الاجتياح الإسلامي، وهو ما يُعدّ

مكانة المرأة في المجتمعات الإسلامية تحتل مقامًا متميزًا في برنامج الغرب الخاص بصورة العدو الوهمي، وهي فكرة نمطية ثابتة تعود إلى القرون الوسطى في أوربا

هراء تاريخيًا، لأن الأمر من وجهة النظر الإسلامية كان يتعلق بمجرد حملة من الحملات التقليدية، عديمة الأهمية تمامًا من الناحية الاستراتيجية العسكرية في أرض العدو. وبالرغم من ذلك فمازال تمجيد هذا الحدث التاريخي يمثل جزءًا من المعارف الأساسية في الغرب. ويتبع ذلك الحملات الصليبية التي لم يعد الغرب يمجدّها كعمل بطولي عظيم، إلا أن الحسرة على فقدان القدس تظهر تلميحًا في كل ما يقرؤه المرء أو يسمعه عن هذا الموضوع. إن كون صلاح الدين وخلفائه ـ بطردهم الصليبيين ـ قد صانوا الشرق الأوسط من السيطرة الغربية، هو حقيقة لا يقدّرها الغرب. وفي مقابل ذلك يتم تقريظ الأمير لويجن(١٢) Prinz Eugen «الفارس النبيل» منقذًا للغرب والمسيحية، لأنه أدّب الأتراك، ووضعهم عند حدودهم، كل هذا يجري في الغرب تحت الشعار الذي يبدو أنه لا يمكن استئصاله، القائل بإن مقصد

الإسلام الوحيد هو التوسع «بالنار والحديد». إن سعي بعض الدول - التي اتفق أن حكامها في ذلك الوقت كانوا مسلمين - إلى التوسع - تمامًا مثلما فعلت ذلك دول أخرى كان يحكمها مسيحيون، مع ملاحظة أن أوضاع المسيحيين في حالة الفتح الإسلامي، كانت في العادة أفضل بكثير من العكس - هو في الواقع حقيقة معروفة لا جدال فيها، ولكنها لم تتمكن فيما يبدو من فرض نفسها على الوعي الأوربي. وتمثّل أسطورة النار والحديد أحد أوجه أهم فكرة نمطية ثابتة في إطار المشاعر العدائية تجاه الإسلام Feindbildtopos، أي إن الإسلام والمسلمين جميعًا يتّسمُون أصلاً بالعنف والعدوانية، وبذلك فهم يمثّلون تهديدًا للحضارة

شول لاتور Scholl Latour(١٤)، تمامًا مثل الحديث عن «الرغبة العربية في تدمير الذات». ويتم تقويم ١٤٠٠ سنة من التاريخ العربي بعبارات مثل: «إن حلم تأسيس وطن عربي كبير قد تبدّد منذ سنة ٦٢٢م، بصورة متكررة مع المذابح والاغتيالات والثورات وأعمال العنف. لقد قضت نشوة القتل والاستشهاد في مراحل متقطعة على محاولات بناء دولة مستمرة ذات توجهات عقلانية»، بغض النظر عن أن حلم تأسيس وطن عربي كبير لم يظهر منذ سنة ٦٢٢م، ولكن على أكبر تقدير منذ نهاية القرن التاسع عشر، تحت تأثير فكرة الدولة القومية الأوربية(١٥)، وهو ما يجعل ملاحظة الخبير السابق(١٦) لشؤون الشرق الأوسط جيرهارد

التنافر وعدم التوافق المزعوم بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي هو حقيقة لا ريب فيها لدى كتاب كثيرين

الغربية، ولم يتغير شيء من هذه الصورة منذ القرون الوسطى، على الرغم من الخبرات التاريخية كافة.

الخبراء المزيّفون(١٣)

وإذا كان المرء في ذلك الوقت قد استمتع بتصوير محمد [صلى الله عليه وسلم] وحشًا شيطانيًا مخيفًا، وبالروايات التي تصف المسلمين وهم يقطعون أطراف الصليبيين وهم أحياء، وينزعون أحشاءهم من أجسادهم برافعة، فقد احتل مكان ذلك اليوم ما يطلق عليه «الكتب التخصصية» Sachbuecher التي تكشف عناوينها بصورة كافية عن مقاصد مؤلفيها، مثل: سيف الله Allahs Schwert، وسيف الإسلام Das Schwert des Islam، والسيف الأخضر Das gruene Schwert... إلخ. ثم يأتي علاوة على ذلك الحديث عن «مشاعر الجماهير الإسلامية الحماسية التي لا يمكن التنبؤ بها» على حد تعبير الصحفي الألماني

كونسلمان Gerhard Konzelmann لا أساس لها من الصحة التاريخية - تظهر هنا علاوة على ذلك - مثلما هو الحال عند مؤلفين كثيرين آخرين أيضًا - بجانب العنف - فكرة نمطية مبتذلة أخرى هي: الزعم بلا عقلانية المسلمين عامة والعرب خاصة.

الغرب لا يفهم معنى الجهاد

إن ما يتخلل مسوّغات الزعم بأن الإسلام هو دين عنف كنغمة أساسية هو فكرة الجهاد. إن «الجهاد في سبيل الله» يُعدّ فرضًا على أمة الإسلام، ويمكن أن يتخذ صورة الكفاح المسلح. ولكن أين يحصل كبار علماء الدين الإسلامي في وسائل الإعلام الغربية على منبر، أو مجال، أو فرصة، ليوضّحوا من خلالها أن فريضة الجهاد المسلح تقتصر على حالة الدفاع فحسب؟ أو ليشرحوا أن «الجهاد في سبيل الله» بالمعنى الأصلي للكلمة يعني فرضًا أخلاقيًا وروحيًا؟ وجهة النظر الإسلامية

إن الاتهام الدائم الذي يوجهه الغرب إلى الإسلام أنه في الحقيقة دين عدواني، يُنظر إليه من جانب المسلمين على أنه نفاق صرف. وفي كتابات بعض المسلمين تُقلب هذه التهمة أيضًا وتوجه إلى الغرب. ويتم تأكيد ذلك في أغلب الأحوال بحقائق محددة، بداية من الحروب الصليبية، ومرورًا بالقضاء على المسلمين واليهود في إسبانيا وطردهم منها، وعبورًا بمحاكم التفتيش، حتى عصري الاستعمار والانتداب، وانتهاءً بتأسيس دولة إسرائيل (التي يُنظر إليها على أنها وليد الاستعمار الغربي الحديث). وسياسة الاقتصاد العالمي التي توصف بأنها استغلالية وإمبريالية، التي يمارسها الغرب بمساندة بعض الحكومات المطيعة في الشرق الأوسط، الشعار المتداول: البترول. كذلك فإن التدخل المستمر في الشؤون الإسلامية أو العربية الداخلية مع ادّعاء الولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة على الكرة الأرضية برمتها. وكون التهديد الجسدي للمسلمين من جانب المسيحيين مازال مستمرًا بصورة عينية ملموسة، فهو ما يقوم به الصرب في الوقت الحاضر بممارستهم للتطهير العرقي في البوسنة. وهي بالمناسبة حقيقة يحلو للصحافة العربية أن تنظر إليها على أنها في الوقت الحالي آخر أعمال محاكم التفتيش.

المخاوف متبادلة

إن مخاوف الغرب بأنه مهدد من قبل العالم الإسلامي، وهي مخاوف يتم تشجيع ترويجها عن قصد، تقابلها مخاوف الشرق الأوسط من التهديد المستمر من قبل الغرب. فإذا استعرضنا تاريخ القرن العشرين بالذات والظروف السياسية الخاصة بسياسة القوة، فسنجد أن الخوف في الحالة الثانية له ما يسوّغه، لأن التهديد فيها حقيقي. ويصاحب الإحساسَ بالتهديد المادي إحساسٌ آخر قوي بالتهديد من قبل الثقافة الغربية. ويقابل الوهمَ الغربيَّ القائل بعدم عقلانية الشرقيين، وَهْمُ المتشدّدين الإسلاميين القائل بالانحطاط الروحاني للغرب. وهنا يتم التفريق بوضوح بين الاكتشافات

الخاصة بعلوم الطبيعة من ناحية - والتي لا يُنظر إليها، إلا بوصفها امتداداً منطقيًا للمعارف والعلوم التي ورثها الغرب عن عرب القرون الوسطى، وهي اكتشافات يقبلها المسلمون ولا يعترضون عليها، وبين الفكر المادي الصرف الذي يُنظر إليه على أنه فكر «منحط»، وليس دينيًا، بل إنه ضد الدين، وما يتبع ذلك من الإعلان عن انحلال المعايير في الغرب. ويعبّر كل من عالج هذه الموضوعات - على الأقل بين السطور - عن الخوف من فقدان الهوية الحضارية.

المرأة في الإسلام

بجانب عدوانية الإسلام المزعومة، تحتل مكانة المرأة في المجتمعات الإسلامية مقامًا متميّزًا في برنامج الغرب الخاص بصورة العدو الوهمي، وهذه أيضًا فكرة نمطية ثابتة Topos تعود جذورها إلى القرون الوسطى، بيد أن بعض مظاهرها قد تغير كلية في تلك الأثناء. فقد نتج عن التصورات الإسلامية الخاصة بالجنة، وما فيها من الحور العين ذوات البكارة الأبدية، وكثرة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، والحق الشرعي لكل مسلم في الزواج من أربع نساء - أن القرون الوسطى المسيحية صوّرت الإسلام على أنه الوليد الشهواني للشيطان، ومحمد صلى الله عليه وسلم على أنه وحش جنسي آثم. وهكذا كتب في نهاية القرن الحادي عشر رئيس كاتدرائية مدينة ماينتس Mainz في ألمانيا - ايمبريخو -Em bricho، يقول إن المسلمين يحتفلون: «بجميع أشكال الزواج التي تحرمها الشريعة الإلهية. ولأنهم جرّدوك، أيها الطبيعة، من حقوقك غصبًا - تسعى إلى ممارسة المرأة السحاق مع نظيرتها، ويمارس الرجل اللواط مع مثيله، بل وخلافًا للتقاليد، يجامع الشقيق شقيقته، ولا تمانع المتزوجة أن يباضعها أخوها الشيطان، الأبناء يهتكون عرض أمهم، والبنت تغتصب أباها. وكل ما هو محبب على هذا المنوال، كانت الشريعة الجديدة (= الإسلام) تحلله». نظرًا لمثل هذه الكتابات السطحية الوضيعة، لا يستطيع المرء أن يتخلص من الإحساس بأن هؤلاء الكُتّاب قد أرادوا إشباع تخيّلاتهم الجنسية الشاذّة من ناحية، وسعوا من ناحية أخرى إلى صرف الأنظار عن أوضاع معيّنة موجودة بالفعل في الغرب المسيحي، بما في ذلك الأديرة المسيحية، أو أنهم أرادوا توجيه الموعظة إلى الآثمين في المجتمعات الغربية. وبالرغم من أن الإسلام لم يعد يتصدر تصوراتنا العدائية كمركز للفجور في المقام الأول، إلا أن لفظ «حريم» (Harem) مازال يؤدي دوراً محدوداً في هذا السياق. وكون نظام الزوجة الواحدة هو القاعدة، وتعدد الزوجات هو الاستثناء في العالم الإسلامي، فهذه حقيقة لم تتمكن من التقليل من هذه الأفكار الخاطئة، تمامًا مثلما لم تقلل الإباحية الجنسية الموجودة بالفعل في الغرب من تلك التصورات المشوهة عن الإسلام. وعلى الرغم من ذلك فلم يعد موضوع تعدد الزوجات هو أهم النقاط التي يهاجمها الغرب، إذ احتل مكانه الفكرة النمطية الثابتةTopos الخاصة باضطهاد المرأة في المجتمعات الإسلامية. إن الرواج المنقطع النظير الذي حقّقه كتاب بيتي محمود -Betty Mah moody وفيلمها «ليس من دون ابنتي» Nicht ohne meine Tochter يُرينا على أي تربة مخصبة بالأوهام وقع ذلك العمل الدنيء المشحون بالأقوال العنصرية.

استراتيجية صرف الأنظار عن العيوب الذاتية

وهنا - أيضًا - لا أستطيع أن أتخلص من الانطباع بأنه من خلال تقديم الزوج المسلم المعتدي على زوجته كقاعدة، يريد الغربيون أن يجعلوا مثلاً من وجود «بيوت النساء» Prauenhaeuser المخصصة للزوجات المعتدى عليهن في الغرب المسيحي نسيًا منسيًا، وحتى لا يُساء فهمي: فليس قصدي هنا هو الدفاع عن البنى الأبوية في المجتمعات الإسلامية، ولكن هدفي هو أن أوضح أن توظيف وضع المرأة المسلمة في خلق صور مكررة ومبتذلة للعدو، يبدو أنه يرمي في الغالب إلى صرف الأنظار عما يقابل ذلك من العيوب الذاتية القائمة في الغرب.

رأي المسلمين في مكانة المرأة في المجتمع الغربي

كذلك فإن الوهم الغربي الخاص باضطهاد المرأة في الإسلام، أو التعصب المفرط للرجال ضد النساء المبني على تفوق الرجل على المرأة Sexismus، والذي يظهر بوضوح في أنظمة الحريم، له ما يقابله بصورة معاكسة في تصورات بعض المسلمين للغرب كعدو، حيث تُصوَّر المرأة في الغرب على أنها مستغلَّة، أو مُسخَّرة جنسيًا. وحق المرأة أن تسير في الشوارع شبه عارية، لا يُقيّم من وجهة النظر هذه أنه حرية شخصية، ولكن يُنظر إليه بوصفه إذلالاً وتحقيراً للمرأة. ويُوسم البغاء، والمجلات والأفلام الجنسية بأنها سمات انحطاط أخلاقي. بهذه الصورة عن دور المرأة يتم الربط بدقة وإحكام بين انهيار البنى الأسرية وعزلة الإنسان في الغرب. وتُبرَز هذه الحقيقة على الأقل كأحد أسباب تعاطي المخدرات، وارتفاع نسبة الانتحار في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية. وكما أن الحجاب قد أصبح بالنسبة للغرب رمزًا لاضطهاد المرأة في العالم الإسلامي، فكذلك صار بعض المسلمين ينظرون إلى الملابس المثيرة للشهوة الجنسية على أنها رمز لإهانة المرأة، وجعلها أداة للمتعة في الغرب. تمسك الطرفان بهاتين النظريتين لكي يحمّل كل طرف الآخر تهمة معاداة المرأة التي يمارسها هو بنفسه.

صورة الإسلام في الغرب

لم يتأثر الرأي العام الألماني بالعقليات المستنيرة مثل ليسينج وروبكرت وجوته، وكان تأثره أكثر بالكتابات الشعبية لأمثال كارل ماي

بعد انتهاء الحروب الصليبية

إن تصوّرات الغرب العدائية تجاه الإسلام لها جذور تبلغ من العمر ألف عام. والأصوات التي دعت إلى حوار سلمي بين الحضارتين كانت منذ القرون الوسطى حالات استثنائية، أو اقتصرت على حلقات العلماء التي، وإن لم يعترف فيها بقيمة الدين الإسلامي، كان العالم العربي يُنظر إليه فيها بعين التقدير والاحترام. أما الرأي العام المتعارف عليه plebeia opinion، فلم يتأثر بذلك. وبعد سقوط عكا - آخر قلاع الصليبيين - سنة ١٢٩١م، وبسبب الحروب التي دارت داخل أوربا اللاتينية/المسيحية، اختفى السراسنة die Sarazenen، كما كان العرب يُسمَّون في ذلك الوقت، إلى حد ما من الأفق الغربي. وركز مفكرو النزعة الإنسانية(١٧) في عصر النهضة(١٨) جهودهم على التراث الكلاسيكي القديم. وشمل احتقار العصور الواقعة بينهما كل ما هو عربي.

حصار الأتراك فيينا وخوف الغرب من الإسلام

وظل الوضع هكذا، حتى أحيا زحف الأتراك المتواصل نحو أبواب فيينا، بعد فتح القسطنطينية (سنة ١٤٥٣م)، قصة التهديد القديم مرة أخرى. وهكذا كتب مارتن لوتر Martin Luther (١٤٨٣- ١٥٤٦م) - الذي كان يرى الإسلام العدو الخارجي، والبابا العدو الداخلي - سنة ١٥٤١م «دعوة للدعاء على الأتراك» Vermanungen zum Gobet wider Tuerken.

صورة الإسلام في عصري التنوير والرومانسية

مع الروح المتسامحة لعصر التنوير Aufkaerung بداية من القرن السابع عشر(١٩) من ناحية، وروح عصر الرومانسية Romantik ١٧٦٠-١٨٣٠م(٢٠) المتميزة بالحماسة والهيام من ناحية أخرى، وكذلك مع حركة الاستشراق التي كانت تتطور ببطء، بدا وكأن الغربيين قد تجاوزوا تصوراتهم العدائية تجاه الإسلام. وحتى الدين الإسلامي أصبح يُنظر إليه الآن أحيانًا نظرة إيجابية. وهكذا كتب لايبنس Leibniz(٢١) سنة ١٧١٠م في كتابه عن نظرية العدل الإلهي Theodizee، يقول: «أيضًا محمد صلى الله عليه وسلم Mahomet لا يبتعد عن هذه القواعد الأساسية للدين. وقام اتّباعه بنشرها بين شعوب أقاصي آسيا وأفريقيا، التي لم تكن المسيحية قد وصلتها بعد، وقضوا في كثير من البلدان على الخرافات الوثنية التي كانت تتعارض مع المذهب الصادق للتوحيد الإلهي وخلود النفس».

ليسينج ورويكرت وجوته يمتدحون العرب

ويمثل بعد ذلك كل من ليسينج Lessing (١٧٢٩-١٧٨١م)، وروبكرت Rueckert ١٧٨٨- ١٨٦٦م(٢٣) وجوته Goethe (١٧٤٩-١٨٣٢م) في الأدب الألماني قمم نظرة تمجيدية صريحة للشرق. تحدث جوته عن العرب بحماسة وهيام، ولكن حماسته هذه فترت عندما تعرض لمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه: «نصب حول العرب غلافًا دينيًا كثيفًا وعرف كيف يحجب عنهم الأمل في أي تقدم حقيقي(٢٤). ولكن «الرأي العام»، المسمى اليوم plebeia opinion (= رأي العامة)، لم يتأثر بهذه العقليات المستنيرة.

صورة المسلمين عند الكاتب الألماني كارل ماي

وأحسن دليل على ذلك هو نجاح أعمال الكاتب الشعبي كارل ماي Karl May ١٨٤٢-١٩١٢م(٢٥) الذي طبع صورة الشرق لدى أجيال برمتها من الناطقين بالألمانية. وفي صورة الشرق هذه - إذا غضضنا النظر عن بعض الشخصيات الغربية والساذجة - يظهر المسلمون بالذات كأشخاص محتالين، وحشيين، متجهمين، ينتصر عليهم كارا بن نيمسي Kara Ben Nemsi المجاهد في سبيل المسيح. ويظهر عند كارل ماي إحساس الأوربيين بالتفوق الذي كان في تزايد مستمر منذ دخول نابليون مصر على أبعد تقدير. وفضلاً عن ذلك يعتقد

هوامش المترجم

١- ينظر: KARIN HOEMER, DER BEGRIFF FEINDBILD. URSACHEN UND ABWEHR, IN VEREN AKLEMM UND KARIN HOERNER (HRSG), DAS SCHWERT DES EXPERTEN. PETER SCHOLL- LATOURS VERZERRTES ARABER - UND ISLAMBID. PALMYRA VERLAG, HEIDELBERG 1993, S.34 - 43.

وراجع أيضًا:

KARL- HEINZ HILMANN, WOERTERBUCH DER SOZIOLOGIE, KROENER VERLAG, STUTTGART 1994. (4. AUFLAGE), S. 218. F.

٢- البنية العلوية بالألمانية Ueberbau، وبالإنجليزية Supra-structure: «... يُطلق ماركس أحيانًا على الأساس الاقتصادي البناء الأسفل، أو القاعدة السفلى: infra-structure، وعلى الظواهر الخلقية والعقلية البناء الأعلى: supra-structure، ويرى أن الثانية تقوم على الأولى».

- انظر: أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦م، الطبعة الثانية، ص ٤١٢.

٣- راجع الترجمة العربية لمقال هانتيجتون بقلم منى ياسين في كتابها: الغرب والإسلام، دار جهاد للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٤م، ص ١٧١ وما بعدها.

٤- ليسنج جوتهولت ١٧٢٩-١٧٨١م «مسرحي وناقد ألماني، هاجم في نقده مقلدي المسرح الفرنسي، واتخذ شكسبير مثلاً أعلى، ودعا إلى جمالية مسرحية جديدة، من نقده «فن المسرح في همبورغ»، «لاوكون». ومن مسرحياته «ناتان الحكيم»، [وهي] مسرحية برجوازية فلسفية».

- انظر: المنجد في الأعلام، الطبعة السادسة عشرة، دار المشرق، بيروت ١٩٨٨م، ص ٥٠٤.

- وراجع أيضًا: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤م، ص ٣٥٩-٣٦١.

٥- Deismus بالألمانية، وdeism بالإنجليزية: «مذهب الألوهية الطبيعية: المذهب القائل إن الله خالق الكون والمشرع له، ولكنه ليس أكثر من ذلك. فهو ليس مصدر الخير، وليست له صلة مباشرة بالعالم، ولذا فلا يمكن أن يكون هناك اتصال بين الإنسان والله. كما ينكر هذا المذهب الوحي والأنظمة الدينية».

- انظر: أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦م، الطبعة الثانية، ص ١٠٠.

٦- ملحمة رولاند Chanson de Roland يعود تاريخ كتابتها إلى الفترة ما بين سنة ١١٠٠ و١١٢٥م. وتتكون من أكثر من أربعة آلاف بيت من الشعر البطولي باللغة الفرنسية القديمة. تصوّر هذه الملحمة فناء مؤخرة الجيش الجرماني الغربي على يد المسلمين في ممر رونسفال، ثم انتقام شارلمان من المسلمين، وتدور هذه الملحمة حول المعركة البطولية التي سقط فيها الشريف الألماني رولاند، أحد فرسان شارلمان. وفي سنة ١١٣٥م قام القسيس كونراد بنقل هذه الملحمة إلى اللغة الألمانية الوسيطة، حيث أصبحت تعرف بـ Rolandslied.

- قارن: Der grosse Knaur, Buchclub Ex Libris, Zuerich 1967, Bd. 1, S. 464.

7- يوم الجمعة باللغة اللاتينية Veneris dies، وبالفرنسية Vendredi، وبالإيطالية Venerdi، يعني يوم إلهة الحب فينوس.

- راجع:

Duden, Das Herkunftswörterbuch, Dudenverlag, Mannheim/Wien/Zurich 1989, S. 204.

٨- يوم الأحد باللغة اللاتينية Domenica dies، وبالفرنسية Dimanche، وبالإيطالية Domenica، يعني يوم الإله.

- راجع:

Duden, Das Herkunftswörterbuch, Dudenverlag, Mannheim/Wien/Zurich 1989, S. 682.

٩- انظر عن هذا الموضوع العمل الممتاز الذي قام به البروفيسور فالاتوري Abdoljavad Falaturi, Islam in Religious education Textbooks in Europe,islamiseche wissenschaftiliche Akademie, Koeln 1990.

10- عن معركة بلاط الشهداء، راجع: عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوربا، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٢٦ وما بعدها.

- وانظر أيضًا: عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والثقافة العربية في أوربا، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٩م، ص ١٢٠ وما بعدها.

- وكذلك: عمر فرّوخ، العرب والإسلام في الحوض

الأوربيون في هذا السياق أنهم ملزمون بمهمة حضارية تجاه الشرق.

من أسباب خوف الغرب من الإسلام

كان من الطبيعي أن يختفي عنصر التهديد من التصورات العدائية تجاه الإسلام في عصري الاستعمار والانتداب، بسبب تفوق الغرب تقنيًا وعسكريًا. وعلى الرغم من استمرار هذا التفوق حتى يومنا هذا، إلا أنه قد تم إعادة إحياء عنصر التهديد هذا في العقود الأخيرة من جديد. ويعود ذلك في المقام الأول إلى أربعة أسباب رئيسية.

أولها: زوّد الغرب والكتلة الشرقية سابقًا دول الشرق الأوسط، وشمال إفريقية التي نالت استقلالها بكميات هائلة من أنظمة التسليح الحديثة ومستلزماتها من التقانات (التكنولوجيات) المتقدمة، والتي يمكن استخدامها الآن - على الأقل من الناحية النظرية - أيضًا ضد أوربا - أو على الأقل ضد المصالح الأوربية والأمريكية في الشرق، اللفظ المتداول: القنبلة الذرية الإسلامية.

ثانيًا: إن هجرة أعداد كبيرة من المسلمين - والتي شجعها الغرب في البداية -، حيث يمثل الأتراك في ألمانيا، ومواطنوشمال إفريقية في فرنسا غالبية العمال المهاجرين وطالبي اللجوء السياسي - أدت هذه الهجرة إلى تصاعد موجة العداء تجاه الأجانب، وهو عداء موجه في المقام الأول ضد المسلمين، ويركز على رموزهم الإسلامية التعبير المتداول: «مسألة الحجاب».

ثالثًا: أدت التوترات الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك أزمة الهوية الحضارية، وفشل الاتجاهات الفكرية (الايديولوجيات) المستوردة من الغرب مثل القومية والاشتراكية - عند طبقات اجتماعية معيّنة في الشرق الأوسط إلى إحياء معايير ورموز إسلامية. ويشعر الغرب بأنه هو المستهدف الحقيقي، اللفظ المتداول: التطرف الإسلامي.

رابعًا: إن زوال صورة العدو من الصراع القديم بين الشرق والغرب، قد أيقظ - كما سبقت الإشارة في البداية - الرغبة لدى أوساط معينة في الغرب. لإيجاد عدو جديد. ولما كانت صورة الإسلام، كعدو، مستترة أو كامنة في الغرب منذ ألف سنة على الأقل، فقد كان من السهل إحياؤها مرة أخرى.

خاتمة

لقد شجع بطرس المبجل(٢٦) - رئيس دير مدينة كلوني - إنجاز أول ترجمة للقرآن سنة ١١٤٣م - وكان الهدف المعلن لهذه الترجمة هو محاربة الإسلام عن طريق دحض قواعده. وهو ما يُعدّ مع ذلك تقدمًا هائلاً. كتب بطرس مخاطبًا المسلمين: «إنني أهاجمكم - ليس بالسلاح، ولا بالعنف - مثلما اعتاد أصحابنا أن يفعلوا - ولكن بالعقل. ليس بالكراهية، ولكن بالحب». إن الغرب سيكون قد حقق في علاقته بالحضارة الأكثر قربًا له، وعلى الرغم من ذلك فإنها غريبة عليه، إذا توصل إلى حوار معها يخلو من الكراهية والعنف.

الغربي من البحر المتوسط، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م، الطبعة الثانية، ص ١٢٨ وما بعدها.

١١- راجع: زيجريد هونكه، الله ليس كذلك، ترجمة غريب محمد غريب، مؤسسة باڤاريا، مجلة النور، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٤٧ وما بعدها.

١٢- قارن: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م، الطبعة التاسعة، ص ٥٢٢ وما بعدها.

١٣- اتفق العلماء على أن فرسان تشويه صورة العرب وتلطيخ سمعة الإسلام في ألمانيا هم ثالوث الفساد: الصحفي الألماني بيتر شول لاتور وزميله جيرهارد كونسلمان، وثالثهم هو المهاجر السوري بسام طيبي كبير خبراء شتم العرب ولعن الإسلام. راجع عن ثالوث الفساد هذا، الدراسة الممتازة التي قامت بها الباحثة Dorothee Boelke دوروتيه بولكه تحت عنوان: Drei Mann in einem Boot: Der Islamische Fundamentalismus bei Peter Scholl-Latour, Gerhard Konzelmann und Bassam Tibi (= ثلاثة في قارب واحد: التطرف الإسلامي عند بيتر جول لاتور وجيرهارد كونسلمان وبسام طيبي). وقد نشر هذا البحث في:

Verena Klemm und Karin Hoerner (Hrsg.), Das Schwert des "Experten". Peter Scholl-Latours verzerrtes Araber- und Islambild. Palmyra Verlag, Heidelberg 1993, S. 200-228.

14- راجع دراسة الباحثين الألمان عن تشويهات جول لاتور للإسلام: Verena Klemm und Karin Hoerner (Hrsg.), Das Schwert des "Ex- perten". Peter Scholl-Latours verzerrters Araber und Islambild. Palmyra Verlag, Heidelberg 1993.

15- عن الدولة القومية راجع: عبدالغني غنوم، مادة: دولة، في: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، بيروت ١٩٨٦م، ص ٤٣٤ وما بعدها.

١٦- انظر كتاب روتر الذي فضح فيه جهالات الصحفي الألماني كونسلمان وتشويهاته في الإسلام: Genot Rotter, Allahs Plagiator, Palmyra verlag, Heidelberg 1992.

17- النزعة الإنسانية: Humanism بالإنجليزية، وHumanisums بالألمانية: «وهو تعبير شائع في العلوم الإنسانية، لكنه يستخدم بمعان مختلفة، وأحيانًا متناقضة. وإذا أردنا التعميم، فيمكن وصفه بذلك التيار الفكري الواسع الذي يسعى إلى تأكيد القيم الإنسانية في مواجهة القيم المادية أو الاقتصادية، أو التقنية، أو الدينية والعلوية عمومًا. في عصر النهضة: كانت «النزعة الإنسانية» عبارة عن النزعة إلى تقديس العقل، وإلى العودة إلى الثقافة القديمة، أي تجاوز ثقافات القرون الوسطى الدينية واللاهوتية. والنزعة اللاهوتية» عمومًا هي نزعة جعْل الإنسان مقياسًا للأشياء. وبالنسبة للبعض، هي تأكيد أن الإنسان يستطيع بقواه الخاصة أن يصل إلى الخلاص».

- انظر سامي ذبيان وآخرين، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠م، ص ٧٣.

١٨- عصر النهضة: renaissance: «العصر الذي بدأ منذ انتهاء العصور الوسطى حتى العصر الحديث، وامتاز بحركة إحياء الفنون والآداب».

- انظر: أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦م، الطبعة الثانية، ص ٣٥٤.

- وراجع أيضًا مادة: فلسفة النهضة (فكر أوربي)، بقلم محمد سبيلا في: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الثاني، الجزء الثاني، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٨م، ص ١٠٣٤ وما بعدها.

١٩- فلسفة التنوير Aufkaerung: «حركة فلسفية بدأت في القرن الثامن عشر، وتتميز بفكرة التقدم، وعدم الثقة بالتقاليد، وبالتفاؤل والإيمان بالعقل، وبالدعوة إلى التفكير الذاتي، والحكم على أساس التجربة الشخصية».

- انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٩م، ص ١٣٩.

٢٠- رومانسية فلسفية: Philosophical romanticism: «مذهب جماعة من فلاسفة الألمان في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وعلى رأسهم نيتشة وهيجل. ويعارض هذا المذهب الآراء السائدة في القرن الثامن عشر، وبخاصة مذهب التنوير، ويعول على العاطفة والحدس والحرية. ويستهين بالقواعد الجمالية والمنطقية، ويعتد بفكرة الحياة واللاامتناهي».

- انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٩٣-٩٤.

٢١- راجع عن ليبنتس: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، ص ٣٨٧ وما بعدها.

٢٢- عن رويكرت انظر: عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩م، الطبعة الثانية، ص ٢٠٠-٢٠٢.

٢٣- انظر عن جوته: جيته، الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، ترجمة عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠م، الطبعة الثانية، ص ١وما بعدها.

٢٤- راجع:

Johann Wolfgang von Goethe, Werke Kommentare und Register, Hamburger Ausgabe in 14 Banden, C.H. Beck, München 1981 (12. Auflage), Bd. 2, S. 139ff.

- وقارن أيضًا: جيته، الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، ترجمة عبدالرحمن بدوي، ص ٣٧٥.

٢٥- كارل ماي Karl May، ١٨٤٢-١٩١٢م: كاتب ألماني تخصص في قصص المغامرات الخيالية. وتدور مغامراته هذه في دول لم يكن قد زارها من قبل، وخاصة أمريكة الشمالية ومنطقة الشرق الأوسط.

- راجع: Der grosse Knaur, Buchclub Ex Libris, Zuerich 1967, Bd. 3, S. 198.

26- قارن:

Norman Daniel, Islam and the West, One world, Oxford 1993, p. 36 ff.

أيها اليسرويون أبشروا

عبدالحميد سليمان حمو

يبلغ عدد الذين يستعملون يدهم اليسرى بدلاً من اليمنى ستمئة مليون إنسان في العالم، والذين يلقب واحدهم في محيطنا العربي بالأعسر أو الأشول. أما أنا فقد أطلقت عليه لقب اليسروي نسبة إلى اليد اليسرى واعتماداً على قاعدة النسبة إلى المقصور الرباعي الساكن الحرف الثاني(*).

إن هذا السلوك لا يظهر في سنتي المهد الأولى من عمر الوليد لأنه يستعمل في هذه الفترة كلتا يديه على السواء. حسب وضعه الجسمي، فإذا كان الشيء الذي يريد إمساكه على يساره أمسكه بيساره، وإن كان عن يمينه حرك يمناه، ولكنه حين يتدرج إلى الطفولة يبدأ بالتركيز على إحدى يديه. والجدول التالي يبين لناوضع الطفل اليمنوي وعلى عكسه الطفل اليسروي.

العمر الزمني بالسنوات

من	إلى	نسبة استخدام اليمنى
ستة شهور	سنة وستة شهور	٥٠٪
سنة وستة شهور	سنتين وستة شهور	٦٨٪
سنتين وستة شهور	ثلاث سنوات	٦٩٪
ثلاث سنوات	أربع سنوات	٧٦٪
أربع سنوات	خمس سنوات وستة شهور	٨٢٪
خمس سنوات وستة شهور	ثماني سنوات	٩٠٪

وقد ذهب القدماء إلى اعتبار الطفل اليسروي إنسانًا معوقًا ناقص العقل مختل الإدراك، ولعلهم أطلقوا عليه لقب الأعسر تمشيًا مع هذا الاتجاه. ففي القاموس المحيط العُسر بالضم وبالضمتين وبالتحريك ضد اليسر كالمعسور، وتعسّر الأمر اشتد والتوى، وأعَسَرَ: افتقر، وأعسرت عَسُر عليها ولادُها وجيش العُسرة (بالضم) جيش تبوك لأنهم نُدبوا إليها في حَمّارة القيظ فعُسر عليهم. والرجل أعسر وجمعه عُسْران. والمرأة عسراء وجمعها عُسُر وفي لسان العرب العُسر والعُسُر ضد اليسر وهو الضيق والشدة والصعوبة، أ.هـ.

وكأني بصاحب هذا السلوك حين عُسرت عليه اليمنوية لحق به هذا اللقب وبقي في دائرته، ولم يتمكن من الفكاك منه على الرغم من الشر الذي تنسبه العرب إلى الشمال. قال ابن خالويه النحوي، قال ابن عرفة قال: سمعت ثعلبًا يقول: إن العرب تنسب كل خير إلى اليمين وكل شر إلى الشمال. قلت ولعل الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة الثعلبية ما أورده صاحب لسان العرب «ليس أشدّ رميًا من الأعسر»، فأبشر أيها الأعسر فقد فزت بها وحدك!.

أما لقب الأشول فلعله قُرن بالأعسر في العصور المتأخرة زيادة في التشهير، وتأكيدًا أن كثرة الألقاب تدل على شرف الملقّب!! لأنني لم أعثر على هذا اللقب وعلى هذا الوزن فيما بين يدي من المعجمات اللغوية، بيد أني وجدت في القاموس المحيط عبارة شالت الناقة بذنبها شولاً وشولانًا وأشالته رفعته. وفي لسان العرب شال ذنبها: ارتفع وشال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه ا.هـ. فهل لقب الأشول جاء من لفظة شال الواردة في المعجمات اللغوية؟ جاء في اللسان نقلاً عن التهذيب: الناقة الشائل: اللاقح التي تشول بذنبها للفحل، أي ترفعه، فذلك آية لقاحها، وترفع مع ذلك رأسها ، تشمخ بأنفها. وهي العاسر أيضًا، وقد عَسَرَت عسارًا. من أسمائهم: الأشول. وهكذا فلعل ارتباط المعنيين جاء من هذه الزاوية. فما رأي علماء اللغة؟ أفيدونا أفادكم الله.

وكأنني بالدراسة التي صدرت عن جامعة كولومبيا مؤخرًا تؤكد جزءًا مما ذهب إليه القدماء في نظرتهم إلى اليسروي، فقد أظهرت الدراسة التي استغرقت أكثر من عشر سنوات أن الأشخاص العُسر يتعرضون لمخاطر الحياة أكثرمن الأشخاص اليُمن، وقال: رئيس قسم علم النفس في جامعة كولومبيا البريطانية في فانكوفر «غرب كندا» الذي ترأس الفريق العلمي:

إنه ثبت في ميدان النشاط المهني أن الأشخاص العسر يرتكبون حوادث عمل بزيادة ٣٥٪ على الأشخاص اليمن، وأوضح ستانلي كوهن أن الأشخاص العسر عندما يستعملون الأدوات المنزلية، فإن هذه النسبة ترتفع إلى ٤٩٪، وأقول كان الله في عون اليسرويين وأنا منهم، ولا يخفف من وطأة هذه الأحكام القاسية إلا ما ذهب إليه بعض الغربيين من اعتبار العسر ظاهرة من ظواهر الذكاء والعبقرية والنبوغ حين لاحظوا وجود المبدعين اليسرويين في فنون الإبداع المختلفة، ولا يجوز القول بافتقارهم إلى النباهة والعبقرية والنبوغ وهم مسجلون في سجل الخالدين من أمثال الرسام العبقري الإيطالي ليوناردو دافنشي، والرسام المبدع مايكل أنجلو، والإمبراطور الروماني صيباريوسي، والمؤرخ البريطاني توماس كارليل، والقائد الإنجليزي وبطلهم الذي حطم أسطول نابليون في مياه أبي قير قبالة ساحل الإسكندرية، نلسون، والممثل العالمي شارلي شابلن، والرؤساء الأمريكيين السابقين هاري ترومان وجيرالد فورد وجورج بوش، والرئيس الأمريكي الحالي بيل كلينتون ووزير دفاعه ويليام بيري، وقائد القوات الأمريكية في حرب عاصفة الصحراء نورمان شوارتزكوف، وقائد القوات المشتركة ومسرح العمليات في الحرب نفسها صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز. وغير هؤلاء كثير، وإن أنس فلا أنسى العبقري الإسلامي الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت عبقريًا يفري فريه. اليسروي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إلا أن هذا الاتجاه تنقصه الدقة العلمية كاتجاه القدماء، فليس كل يسروي ذكيًا وعبقريًا وإلا كان عدد العباقرة من اليسرويين فقط ستمئة مليون إنسان، فإذا أضفنا إليهم مثلهم من اليمنويين وما أكثرهم لزاد العدد على المليار عبقري وهذا رقم خيالي في قواميس العبقرية التي تؤكد أن نسبة الموهوبين في ا لمجتمعات البشرية لا تتجاوز الثلاثة في المئة من مجموع السكان، وعليه أقول: إن الاتجاهين يفتقران إلى الدقة العلمية، وللعاطفة دخل كبير فيهما، وإلى أن يتكرم علينا العلم ويكشف عن حقائقه ودقائقه في هذه المسألة سنبحث عن السر وراء استعمال اليد اليسرى، فقد ظهرت دراسات ونظريات حول ظاهرة اليسروية، ولكنها لم تستقر على حقيقة علمية واضحة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

فمنها أن جسم الإنسان غير متناظر، وأن مركز الثقل عند الإنسان يميل إلى ناحية اليمين، مما يزيد معه وزن الشق الأيمن عن الشق الأيسر بما يقارب أربعمئة غرام تقريبًا، ولذا يحاول أن يميل بجسده ناحية اليسار حتى يتوازن وهذا ما يحرر يده اليمنى، ويجعلها أكثر كفاءة وقدرة من اليسرى.

ومنها ما يذهب إلى السيطرة المخية على إحدى اليدين فسيطرة الجانب الأيمن من المخ تجعل حركة اليسرى أكثر سهولة، بينما سيطرة الجانب الأيسر من المخ تساعد الطفل على استخدام يده اليمنى وتفضيلها، وهكذا فالعملية ناتجة عن تكوين عضويّ في المخ، وإنني إذ أميل إلى تصديق هذه النظرية واتجاهها المخي أقول: لماذا ظهرت السيطرة المخالفة مع اليسرويين؟ إن اكتشاف سبب السيطرة سيقود حتمًا إلى البحث عن علاج ناجع، يرفع هذه السيطرة عن اليسرويين ليعودوا ويقفوا على أرضية واحدة مع إخوانهم اليمنويين ويد الله مع الجماعة.

ومنها ما يذهب إلى أن ميل بعض الأطفال لاستخدام اليد اليسرى جاء كوسيلة لرفض السيطرة الاجتماعية التي يفرضها الكبار، قلت: وفي أكثر المجتمعات سيطرة الكبار على الصغار واضحة، فلماذا رضخت الأغلبية اليمنوية لهذه السيطرة وفيهم النوابغ والعباقرة والقادة والصفوة؟ ولماذا لاتعود الأمور إلى نصابها بعد أن يتحرر اليسروي من سيطرة الكبار وهيمنتهم، إن الظاهرة عملية عضوية نابعة من داخل الشخص لا من خارجه، وللبيئة تأثير ملموس في تعديل اتجاهها نحو اليمنوية لا في فرض اليسروية. وبتعبير أوضح: إن الوالدين لو تداركا الأمر من بدايته وأسرعا لتوجيه الطفل اليسروي إلى استعمال يمناه، وتوافرت عندهما إرادة التوجيه والمتابعة، وتوافرت إرادة التعديل والتصحيح عند الطفل، لتمكن الثلاثة من تعديل هذا السلوك في كثير من نواحيه لا كلها، ولا ينبئكم مثل خبير، فأنا يسروي واجتهدت ذاتيًا وبعد سن البلوغ في استعمال اليمنى عند الأكل والشرب والسلام والمصافحة... وبعض الأمور الأخرى، لكنني أعجز عن استعمالها في الكتابة ورمي الكرة والقرص. وعلى الرغم من هذا الاجتهاد والإصرار، آخذ ملعقة الأكل في لحظات الغفلة باليسرى، لكنني سرعان ما أنتبه فأنقلها إلى اليمنى كي تعمل، وأشيل اليسرى لتركن إلى السكون والدعة. ولي ابن عم عكسي يأكل باليسرى ويكتب باليمنى وقد جاوز الخمسين من عمره، ولكن خطه لا يتميز عن خط تلميذ في السنة الخامسة من المرحلة الابتدائية إن لم يأت دونه، ما أريد قوله هو إن البيئة وأخذ المرء نفسه بالشدة قد ينفعان في تصحيح ظاهرة اليسروية

وتعديلها جزئيًا لا كليًا، لأنها داخلية عضوية وتحتاج إلى تدخل طبي فعّال لتصحيحها وتعديل مسارها. وحتى يأتي ذلك الوقت سنستمر في البحث عن سر هذه الظاهرة واستعراض النظريات والدراسات التي ظهرت عنها.

ومنها التي تعلل تفضيل إحدى اليدين في الاستخدام بقوة الإبصار، فإن كانت العين اليسرى أقوى إبصارًا كان الطفل يسرويًا وإن كانت اليمنى أحدّ إبصارًا كان الطفل يمنويًا.

ومنها التي رجحت السبب الوراثي بعد أن ثبت أن ليسروية أحد الوالدين أثرًا في إيجاد نسبة لليسروية بين أولاده تصل إلى سبع عشرة بالمئة (١٧٪)، وأن يسروية الوالدين كليهما ترفع النسبة إلى ست وأربعين في المئة(٤٦٪)، أما أولاد اليمنويين فإن نسبة ظهور اليسروية بينهم لا تتعدى اثنتين في المئة (٢٪) فقط. قلت وهذا السبب الوراثي معقول جدًا يضاف إلى السبب العضوي الذي سبقت الإشارة إليه سابقًا، خصوصًا، وأنا اليسروي، ولي سبعة من الأولاد أكبرهم فتاة يسروية، والباقون يمنويون ومعهم والدتهم .

ولا يزال العلماء يبحثون عن الأسباب الحقيقية وراء ظاهرة السلوك اليسروي وعن نتائجه، وقد كشفت دراسة حديثة عن تمتع اليسرويين بقدرة على التعليم والتفكير الجيد وعقلية ابتكارية، وأن اليمنويين يسيطر على أنماط تعلمهم وتفكيرهم النمط الأيسر، يليه النمط المتكامل، ثم النمط الأيمن. أما اليسرويون فيسيطر على أنماط تفكيرهم وتعلمهم النمط المتكامل، يليه النمط الأيسر، ثم النمط الأيمن، أي إن نمط التفكير الأيمن في كلتا الحالتين هو الأقل استخدامًا. كما أظهرت الدراسة أن علماء النفس اكتشفوا أيضًا أن التعلم يركز على النمط الأيسر، ويمكن مراعاة ذلك في الإكثار من المدارس الصناعية والعلوم التي تعتمد على مهارات النفس الحركية كالموسيقى والألعاب الرياضية والمهارات الفنية كالرسم والنحت والزخارف. وبينت الدراسة أن كثيرًا من الحالات اليسروية وراثية حيث سيطر النصف الأيمن من المخ عضويًا (فسيولوجيًا) على النصف الأيسر من الجسم، أي إنها ناتجة عن خصائص تحملها الجينات، وفي هذه الحالة يصعب تغييرها، وبالتالي لا يجوز الاعتراض على هذا السلوك في الأفراد أو محاولة إجبارهم على استخدام اليد اليمنى في الكتابة، بل يجب تنمية ما لديهم من طرائق للتعلم والتفكير تساعد على استغلال إمكانياتهم وقدراتهم الاستغلال السليم، الذي يتميز باستخدام النمط المتكامل. جاء من نتائج العيّنة التي تكونت من خمسة وثمانين طالبًا من طلبة كلية التربية في جامعة القاهرة، أن ثلاثة وثلاثين طالبًا يستخدمون اليد اليسرى في الكتابة، وأن اثنين وخمسين طالبًا يستخدمون اليد اليمنى، وأن المتفوقين عقليًا منهم يتميزون عن العاديين باستخدام النمط المتكامل.

وكشفت الدراسة السابقة بأن اليسروية تعود إلى عدة أسباب ونتائج، أهمها الوراثة ووجود صفات سائدة وصفات مثنوية محمولة على الجينات، أو نتيجة أخطاء التدريب والسماح من أولياء الأمور والمعلمين للأطفال باستخدام اليد اليسرى بدلاً من اليمنى، أو نتيجة خلل بسيط في المخ، أو لبعض الأمراض التي قد تصيب الآباء وينتقل أثرها إلى الأبناء. أقول: أبشر أيها الأعسر فقد فزت بها أيضًا.

إن البحث عن النتائج والأسباب مفيد جدًا، ولكن البحث عن العلاج الناجع ضروري، ولا يجوز إغفاله أو تأخيره. وما أنزل من داء إلا وأنزل له دواء وعندئذٍ ستعود الأمور إلى نصابها وتزول اليسروية وأسبابها.

ختامًا لا يسعني إلا أن أقول: ربّ ضارة نافعة، فإن اليسروي صاحب عقلية ابتكارية يغلب على تفكيره النمط المتكامل كما تقول الدراسة السالفة. ومع هذا النفع أجدني مسوقًا إلى دعوة أصحاب الاختصاص كي يبحثوا عن علاج ناجع للظاهرة اليسروية حتى تختفي وتعود الأقلية اليسروية لتندمج في الأغلبية اليمنوية، وحتى يظهر العلاج الناجع فإنني أدعو اللغويين وأصحاب المعجمات اللغوية إلى الرفق باليسرويين والبحث عن إيجاد لقب آخر غير الأعسر والأشول يلقبون به اليسروي إن لم يرق لهم هذا اللقب الذي أطلقته، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. كما أنني أقول لإخواني اليسرويين أبشروا بالعقلية الابتكارية والنمط المتكامل ففيهما بعض العزاء والسلام عليكم .

المراجع:

(*) تقول القاعدة: يجوز حذف ألف المقصور أو قلبها واوًا إن كانت رابعة في كلمة سكن ثاني حروفها، ويجوز في حالة القلب زيادة ألف قبلها، مثل: يُسْرى: يُسرِي. يُسْرَوِيّ، يُسْراوِي.

١ـ علم النفس التكويني الدكتور عبدالحميد محمد الهاشمي، ص١٥٣.
٢ـ مجلة العربي العدد ٣٥٣ نيسان ١٩٨٨م.
٣ـ جريدة الشرق الأوسط العدد ٣٩٤١، ١٢/٩/١٩٨٩م.
٤ـ جريدة الشرق الأوسط العدد ٥٨٦٩، ٢٣/١٢/١٩٩٤م.
٥ـ المجلة العربية العدد ٢٠١، شوال ١٤١٤هـ.
٦ـ مجلة كل الأسرة الإماراتية العدد ٦٣، ٢٨/١٢/١٩٩٤م.
٧ـ مقاتل من الصحراء، صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز.
٨ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي.
٩ـ لسان العرب لابن منظور.
١٠ـ مختار الصحاح للجوهري.
إضافة إلى مراجع أخرى.

دائرة المعارف

شعراء الأطفال في الوطن العربي

أحمد فضل شبلول

نشطت في السنوات الأخيرة حركة التأليف الشعري للأطفال على يد مجموعة من الشعراء العرب الذي رأوا ضرورة أن يكون للأطفال شعر خاص بهم، وبعالمهم الطفولي البريء والمحبب إلى النفس، بدلاً من الاعتماد على ما ينظمه بعض المعلمين والتربويين والموجهين غير الموهوبين، أو بدلاً من الاختيار العشوائي لنصوص فاقدة الروح والجمال والفائدة، وإلقائها على أطفال الروضة والحضانة، وتدريسها لتلاميذ المراحل التعليمية المختلفة. وقد عمد هؤلاء الشعراء إلى تقديم نصوص على درجة من الإجادة الفنية والوعي لأهميةالشعر للأطفال في مراحلهم العمرية المختلفة.

لقد وجهت الدعوة إلى شعراء العربية للدخول إلى هذا الميدان البكر منذ قرن من الزمان، وبالتحديد عام ١٨٩٨م، عندما دعا الشاعر أحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢م - ١٢٨٥هـ -١٣٤١هـ) أصدقاءه الشعراء لكتابة الشعر للأطفال وقد سبقت دعوة شوقي هذه دعوة الزعيم الوطني مصطفى كامل (١٨٧٤-١٩٠٨م - ١٢٩١- ١٣٢٦هـ) لبث الأدب التهذيبي والوعي في نفوس نابتة، فقال «وإنا لا نعدم في ذلك العمل مساعدة الفضلاء والأدباء والشعراء»

وخلال قرن من الزمان سطع نجم عدد غير قليل من الشعراء الذين توجهوا بكتاباتهم للأطفال في مختلف أرجاء الوطن العربي. وهنا أسماء العديد من الشعراء الذين كتبوا شعراً للأطفال خلال العقود السابقة، واضعين أمام كل اسم الأعمال التي قدّمها لعالم الطفولة والأطفال، دون الإشارة إلى أعمال الشاعر الأخرى التي قد يكون قدّمها للمكتبة العربية بعيداً عن هذا الميدان الذي نبحث فيه.

وفي سبيل هذا العمل قمت بمراجعة العديد من المعاجم والكتب والدواوين الشعرية المثبتة في نهاية القائمة، كما قمت بمراسلة العديد من الشعراء في أنحاء العالم العربي، الذين لبّوا الدعوة بصدر رحب، واستجاب معظمهم لطلبي أحسن الاستجابة، وأنتهز هذه الفرصة لأقدم لهم كل الشكر والتقدير على حسن الظن بكاتب هذه السطور.



إبراهيم أبو طالب: ولد باليمن ١٩٧٠م. من أعماله مسرحية " إنا نحن من يهواك " و«صرخة »و "أوبريت «من فوائد العلم، أو العلم والشباب» بالإضافة إلى كتابة الاسكتشات والأناشيد في النشاطات المدرسية والكشفيةالمحلية. قام بإعداد مسابقة رمضان للأطفال ــ شعراً ــ لإذاعة الجمهورية اليمنية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

إبراهيم أبو عباة: ولد ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م في مدينة شقراء بالمملكة العربية السعودية. من أعماله شدو الطفولة «من أناشيد الأطفال».الرياض شركة العبيكان للطباعةوالنشر، ١٤٠٧هـ. «هتاف الشباب»، ١٤١١هـ.

إبراهيم البوارشي: ولد في فلسطين. من أعماله: «أناشيد للأطفال» ١٩٢٨م.

إبراهيم شعراوي: من أعماله: «أوبريت الوسام» القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

إبراهيم العرب: ولد في الإسكندرية ١٨٦٣م، وتوفي١٩٢٧م. من أعماله: «ديوان آداب العرب»، ١٩١١م

إبراهيم نصر الله: ولد في عمّان ١٩٥٤من أعماله: «صباح الخير يا أطفال»، «صباح الخير يا ثورة»، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان: دار الشروق، ١٩٨٣م. «أشياء طيبة نسميها الوطن»، عمّان: دار ابن رشد، ١٩٨٤م، «أناشيد الصباح» عمّان: دار الشروق، ١٩٨٤م.

إبراهيم ياسين: ولد في بصرى بالشام ١٩٥٤م من أعماله: «ماذا قال المطر للعصافير»، ١٩٩٢م .

أحمد حسن أبو عرقوب: ولد في بلدة " الفالوجة"بفلسطين١٩٣٦م /١٣٥٥هـ.

أحمد حقي الحلي: ولد ١٩١٧م. من أعماله: «المحفوظات الطفلية»، دار المعارف، ١٩٥٢م.

أحمد الحوتي: من أعماله: الفارس المغرور القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

أحمد زرزور: ولد في قرية «سروهيت » بالمنوفية، بمصر١٩٤٩م من أعماله: «ويضحك القمر»، مجموعة شعرية للأطفال، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م/١٣٦٨هـ. «ما قالته الغيمة الأخيرة»، (مجموعة شعرية للأطفال) القاهرة، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

أحمد سويلم: ولد في "بيلا" بمحافظة كفر الشيخ بمصر ١٩٤٢م /١٣٦١هـ. من أعماله: «حكايات من ألف ليلة وليلة» (٥ حكايات)، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٠م، «حكايات وأغاني كامل كيلاني» (مسرحية شعرية)، عشر مسرحيات شعرية، مؤسسة الخليج العربي،١٩٨٧م، وهي: «جحا والبخيل»، و«هزيمة أبرهة»، و«حي بن يقظان»، و«الدرويش والطماع»، و«الأمير وصاحب الكوخ»، و«الطيب والشرير»، «الوفاءبالوعد»، و«الأميرالفنان»، و«الجزاء العادل»، و«القاضي وجحا»، و«حكمة الأجداد». مؤسسةالخليج العربي، ١٩٨٩م،عشر مسرحيات شعرية من كليلة ودمنة القاهرة: أخبار اليوم.

أحمد شوقي: ولد بالقاهرة ١٨٦٨م/١٢٨٥هـ - وتوفي بها في ٤/تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٢م - ١٣٥١هـ، من أعماله: صاغ أكثر من خمسين حكاية شعرية للأطفال، تدور أحداثها حول الحيوان، وتجري فيها حوارات بين أفراده، ضمنها الطبعة الأولى من الشوقيات التي صدرت عام ١٨٩٨م.

أحمد عبدالسلام البقالي: ولد في أصيلة بالمغرب ١٩٣٢م. من أعماله : «أناشيد وأغاريد»، و«نار المخيم»، و«لن تقف السيرة».

أحمد فضل شبلول: ولد في الإسكندرية بمصر ١٩٥٣م، من أعماله «أشجار الشارع أخواتي»، عمان : دار البشير للنشر والتوزيع بالتعاون مع مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض، ١٩٩٤م، «حديث الشمس والقمر»، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة «سلسلة كتاب قطر الندى رقم٢٧» ١٩٩٧م.

أحمد الكواملة: ولد في مخيم العرّوب القريب من الخليل بفلسطين ١٩٥٢م من أعماله: «الأسد والثيران الثلاثة» (مسرحية شعرية للأطفال من وحي كليلة ودمنة)، عمّان، الينابيع للنشر، ١٩٩٤م، «الأرض» مسرحية شعرية، «أبطال الغد» (مسرحية شعرية) «فصول» (مسرحية شعرية غنائية للأطفال).

أحمد محمد حسن: ولد في مدينة قوص بمحافظة قنا ١٩٥٥م. من أعماله: «رحلة في الزمان».

أحمد محمد الصديق: ولد في بلدة شفا عمرو بالقرب من عكا بفلسطين ١٩٤١م. من أعماله: «أناشيد الطفل المسلم»، دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، قصائد للفتاة المسلمة».

أحمد محمود مبارك: ولد في الأسكندرية بمصر ١٩٤٧م.

أحمد المختار الهادي: ولد في تونس بجهة المتلوي بالجنوب الغربي ١٩٤٢م/١٣٦١هـ. من أعماله: «محفوظات وأناشيد»،(حصلت على تأشيرة وزارة التربية بتونس في ١٩٩٢/٨/٤م).

أحمد المختار الوزير: ولد في تونس ١٩١٢م وتوفي ١٩٨٣ - ١٤٠٣هـ من أعماله: «ديوان الأطفال»، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م، «أهازيج» (شعر للأطفال). الشركةالتونسية للتوزيع، ١٩٧٥م. «عليسة» (مسرحية شعرية للأطفال)، الشركة التونسية للتوزيع. ١٩٧٥م.

أحمد معاش الباتني: ولد في مدينة باتنة بالجزائر ١٩٢٨م، من أعماله: «قصص وأشعار للأطفال».

أحمد ممتاز سلطان: ولد بطرابلس بليبيا ١٩٦٩م/١٣٤٧هـ. من أعماله: «وطني - مرحى»، (مجموعة شعرية للأطفال)، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م، «أنغام الطفولة» مجموعة شعرية تحتوي على ٤٣ قصيدة للأطفال، ١٩٩٢م.

أحمد الناصر الأحمد: من مواليد بريدة بالمملكة العربية السعودية ١٣٧٣هـ. من أعماله: «أناشيد للأطفال».

أحمد نجيب: ولد في مدينة الجيزة بمصر ١٩٢٨من أعماله: «ديوان شعر أحمد نجيب للأطفال والناشئين».

أحمدو يحيي بن باب بن محنض: ولد قرب مدينة بوتلميت بموريتانيا ١٩٦٩م. من أعماله: «ديوان أغاني الطفولة».

إدوارد عويس: ولد في مدينة عجلون بالأردن ١٩٣٦م/١٣٥٦هـ.

أديب التقي: ولد في قرية شبعا بجنوب لبنان ١٨٩٥م /١٣١٣هـ، وتوفي ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ، من أعماله «أغاريد التلاميذ».

إسعاف النشاشيبي: (١٣٠٢ـــ ١٣٦٧هـ) ولد وعاش في القدس من أعماله: «البستان» ١٩٤٥م.

إسكندر الخوري البيتجالي: ولد في بلدة بيت جالا القريبة من بيت لحم بفلسطين ١٨٨٨م /١٣٠٥هـ، وتوفي١٩٧٣م/١٣٩٣هـ. من أعماله: «المثل المنظوم» (قصائد على ألسنة الطير والحيوان) ١٩٤٢م، «الطفل المنشد» (أناشيد للصغار)

أشرف عامر: ولد في القاهرة ١٩٥٨م من أعماله: «نجارنا الفنان» (سلسلة أشعار ملونة للأطفال) ١٩٩٣م «الولد والقطة».

أنس داود: ولد بمدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ بمصر ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ، وتوفي ١٩٩٣م من أعماله: سبع مسرحيات شعرية للأطفال والناشئين (صدرت في مجلد واحد عام ١٩٩٢م عن مكتبة الإسكندرية)، وهي المسرحيات: «رحيل الغمام»، «الذئب»، «ماما نشوى»، «السنونو»، «يصادق أيمن»، «السنونو يهاجر إلى مصر»، «السنونو الكبير»، «السنونو... يشاهد الإسكندر».

أنطون حنا شماس: ولد في قرية فسوطة بالجليل الأعلى بفلسطين ١٩٥٠م - ١٣٦٩هـ. من أعماله: «السفر إلى جزيرة الممكن» (قصائد للأطفال).



بسام بليبل: ولد بالرقة بسورية ١٩٥٦م، من أعماله: «طفولة شاعر» (ديوان شعرللأطفال).

بهاء الدين عبد الموجود: من أعماله: «مطلع الفجر»، القاهرة: شركة سفير ١٩٩٢م.

بيان الصفدي: من أعماله «مصباح علاء الدين» دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، كتاب «أسامة الشهري»، ١٩٨٦م «أغلى كلمة».



جابر خير بك: ولد بمحافظة اللاذقية بسوريا ١٩٣٣م، من أعماله: «الرياحين» (مجموعة قصائد للأطفال).

جاك سليم: من أعماله: «أغاني الصغار».

جبران النحاس: من أعماله: «ديوان تطريب العندليب» ١٩٤٠م.

جمال علوش: ولد في دير الزور بسورية ١٩٥٧م، من أعماله: «وطني العربي» (شعر للأطفال) دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩١م «لمن يغني النهر؟» (شعر للأطفال)، وزارة الثقافة ١٩٩٦م.

جمال عمرو: من أعماله: «نسعى إلى مستقبل»، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جمال قعوار: ولد في مدينة الناصرة بفلسطين المحتلة ١٩٣٠م، من أعماله: ألحان الطالب (مجموعة أناشيد مدرسية بالاشتراك مع الشاعر جورج نجيب خليل).

جواد جميل: ولد في محافظة ذي قار بالعراق ١٩٥٤م. من أعماله: «نشيد الثورة» (شعر للأطفال) ١٩٨٨م.



حسن خليل عبد الله: ولد في الخيام اللبنانية ١٩٤٤م، من أعماله: «أناالألف» (مجموعة أناشيد للأطفال)

حسن عبد الفتاح ناجي: ولد في محافظة إربد بالأردن ١٩٤٨م، من أعماله: تغريد (مجموعة أناشيد للأطفال) ١٩٧٥م، «الكنز» (لوحات شعرية للأطفال) إربد، ١٩٨٣م.

حسين علي محمد: ولد في قرية العصايد، مركز ديرب نحم محافظة الشرقية بمصر ١٩٥٠م، من أعماله: «مذكرات فيل مغرور» (شعر قصصي للأطفال) عمّان: دار البشير للنشر والتوزيع، بالتعاون مع مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض،١٩٩٣م .

حصة العوضي: ولدت في الدوحة بدولة قطر ١٩٥٥م من أعمالها: «أنشودتي ١».(أناشيد للأطفال) ١٩٨٣م، «أنشودتي٢» (أناشيد للأطفال) ١٩٨٧م، «ياسمين» (مسرحية شعرية للأطفال) ١٩٩٦م.

خ

خالد الخزرجي: ولد في مدينةالسماوة، وهي قضاء تابع لمحافظة المثنى بالعراق ١٩٤٠م من أعماله: «الأمل» (مجموعة شعرية للأطفال)، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٩م «قوس قزح» (مجموعة شعرية للأطفال)، بغداد: دار ثقافة الأطفال، ١٩٥٥م.

خضر عكاري: ولد في سلمية بمحافظة حماة بسورية ١٩٤٤م، من أعماله: «أناشيد للطفولة» دمشق: وزارةالثقافة السورية، ١٩٨٧م «تشرين يا صغار»، سورية: دار الغدير ١٩٩٠م»، «فراشات ملونة»، سورية: دار الذاكرة، سلسلة أدب الأطفال، ١٩٩٤م.

د

درويش الأسيوطي: ولد في الهمامية بمحافظة أسيوط بمصر ١٩٤٦م، من أعماله: «أغنيات للصباح»، القاهرة: الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة (كتاب قطر الندى ٢٠)

ر

راشد عيسى: ولد في مدينة نابلس بفلسطين، ١٩٥١من أعماله: «ياوطن»، (أناشيد للفتيان)، عمّان، ١٩٩١م، ثلاثة أناشيد في مناهج اللغة العربية في الأردن: «وطن الخير» (للصف الثاني الأساسي)، «مكارم الأخلاق» (للصف االثالث الأساسي)، «الربوع الخضراء» (للصف الرابع الأساسي). أناشيد منهجية لأطفال مدارس الروضة في الوطن العربي في سلسلتي: ١- هيّا إلى العربية (جزآن) عمان: دار المنهل، ١٩٩٤م، ٢- هيّا إلى الإيمان، عمان دار المنهل، ١٩٩٦م «للشمس أغني»، عمان رابطة الكتاب الأردنيين، أناشيد للتلفزيون التربوي في الأردن ١٩٩٦م، أناشيد للمدارس الخاصة في الأردن ١٩٩٢- ١٩٩٦م. أربعة أناشيد غنائية لمسرحية الأطفال «الفتاة النفسية» ١٩٩٤م.

رفعت عبد الوهاب المرصفي: ولد في بنها بالقليوبية بمصر ١٩٥٤م.

ز

زكي الحابر: ولد في البصرةبالعراق ١٩٣١م.

س

سعد البواردي: ولد في شقراء بالمملكة العربية السعودية ١٣٤٨هـ. من أعماله: «قصيدة للأطفال» (مجموعة شعرية للأطفال).

السعيد المثردي: ولد بالرديف بتونس ١٩٥٤م، من أعماله: «جمبل ... أنت ياوطني».

سعيدة خاطر الفارسي: ولدت في ولاية صور بسلطنة عمان ١٩٥٩م، من أعمالها: «أغنيات للطفولة والخضرة» (ديوان شعر للأطفال) ١٩٧٩م.

سليمان العيسى: ولد في قرية النعيرية، غربي مدينة أنطاكية بسورية ١٩٢١م، من أعماله:«ديوان الأطفال»، «المستقبل» (مسرحية غنائية)، «النهر» (مسرحية غنائية)، أناشيد الصغار، (القطار الأخضر)، الفارس الضائع، ١٩٦٩م، إنسان.ابن الأيهم١٩٧٠م، الصيف والطلائع١٩٧٠م، «غنوا يا أطفال» ١٩٧٧م، أناشيد للأطفال، «نشيد الحجارة» (مجموعة قصائد)، دمشق: دار طلاس،١٩٨٨م، «شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال».

ش

شوقي بغدادي: ولد في بانياس بالساحل السوري ١٩٢٨م. من أعماله: «القمر على السطوح»، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، «كتاب أسامة الشهري»، ١٩٨٤م، قصص شعرية للأطفال. ١٩٨١م . عصفور الجنة . حكايات شعرية للأطفال.١٩٨٢م

شوقي هيكل: ولد بقرية أبي زعبل بمحافظة القليوبية بمصر ١٩٤٢م.

ص

صالح الشافعي: ولد في بئر سبع ١٩٤٦م من أعماله: «فرسان المستقبل» (شعر للأطفال)، ١٩٩١م، «همس الوجود» (حكايات شعرية للأطفال على ألسنة الحيوانات والنباتات والإنسان)، إربد الأردن: مؤسسة روعة للخدمات الفنية ١٩٩٦م .

صالح هواري: ولد في بلدة سمخ الواقعة على شاطئ بحيرة طبرية بفلسطين ١٩٣٨م من أعماله: «عصافير بلادي»، (مجموعة شعرية للأطفال)، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨١م، «هنادي تغني» (مجموعة شعرية للأطفال) دمشق: اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٧م. «قتلوا الحمام» (ثلاث مسرحيات شعرية للأطفال)، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٨٤م .

صفاء البيلي: ولدت بمصر ١٩٦٨م. من أعمالها: «إشارة مرور»، (ديوان شعر للأطفال من ست إلى تسع سنوات)، «نشيد اليمامة»، (ديوان شعر للأطفال من ٩ إلى ١٥سنة).

ط

طه عبد الغني: ولد في قرية قلنديا. شمال مدينة القدس بفلسطين ١٩٣٧م.

طلعت سقيرق: ولد في دمشق ١٩٥٣م .

ع

عادل الغضبان: ولد في حلب بسورية (١٣٢٦ــ ١٣٩٢هـ/ ١٩٠٨ــ١٩٧٢م)، ثم استقر في القاهرة.من أعماله: ديوان الوتر الناعم، ١٩٦٢م، وقسمه إلى أربعة أقسام: الله - الوطن - الطبيعة - المجتمع.

عباس علي الديلمي: ولد بقرية الرونة لواء تعز باليمن ١٩٥٢م من أعماله: كتب ما يزيد على مئة أغنية للأطفال، وله ثلاث مُغَنّيات (أوبريتات) غنائية للأطفال، هي: «وردة الشفق»، و«نوارس الأمل»، و«زهرة الجبل».

عبدالجبار الرحبي: ولد في منطقة الميادين التابعة لمحافظة ديرالزور بسورية ١٩٠٦م، من أعماله: «ديوان الطفل الصغير».

عبدالحفيظ أبو نبعة: من أعماله: «أفراح أغاريد الطفولة».

عبدالرحمن عبد الله الواصل: ولد في مدينة عنيزة بالمملكة العربية السعودية ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

عبدالرزاق حسين: ولد بالقدس بفلسطين ١٩٤٩م من أعماله: «معًا إلى القدس» (مجموعة شعرية للأطفال)، ١٩٨٨م، «أغاني الحروف» (مجموعة شعرية للأطفال) ١٩٩٢م، «أعطر السير» (شعر للأطفال) ١٩٩٢م، «هيا نشدو للأطفال» (شعر)، «واحة الأطفال» (شعر).

عبدالرزاق الربيعي: ولد في بغداد ١٩٦١م.

عبدالرزاق عبد الواحد: ولد في بغداد ١٩٣٠م.

عبدالستار القرة غولي: من أعماله: «روايات من تاريخ العرب» (مجموعة من الحكايات المنظومة).

عبدالعزيز أبو غوش: ولد في مدينة بيت لحم بفلسطين ١٩٣٩م .

عبدالعليم القباني: ولد في مطوبس بمحافظة كفر الشيخ بمصر ١٩١٨م، ثم استقر في الإسكندرية، من أعماله: «قصائد من حديقة الحيوانات»، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

عبدالغني محمد عون: ولد في معرة مصرين بسورية ١٩٤٩م، من أعماله: «في المسرح الشعري للأطفال» «الأوبريت الغنائي»، «العيد وابن الشهيد»، ١٩٨١م، «حكمة صقر» ١٩٨٢م، «إبراهيم هنانو»١٩٨٣م، «جرةالذهب» ١٩٨٤م، «لا تتركوا الوطن» ١٩٨٦م، «من ذكاء العرب» ١٩٨٧م، «أيلا» ١٩٩٥م، «الحديقة لنا» ١٩٩٦م، «الأعشاب الطيبة» ١٩٩٦م. «أغنيات للطفل العربي».

عبدالقادر الأسود: ولد في إدلب ـ أرمناز بسورية ١٩٤٨م، من أعماله: «رقص الزنابق» (شعر للأطفال).

عبدالقادر أحمد الحداد: ولد في مدينة حماة بسورية ١٩٤٥م، وتوفي بمدينة عمان بالأردن ١٩٨٨م، من أعماله: «بستان الأناشيد» (للبراعم).

عبدالكريم حبيب: ولد في حمص بسورية ١٩٥٦م، من أعماله: «تشرين والأطفال» (مسرحية شعرية).

عبدالكريم الكرمي: أبو سلمى، ولد في طولكرم بفلسطين ١٩٠٩م ـ ١٣٢٨هـ، وتوفي في دمشق ١١/تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٨م، من أعماله: «أغاني الأطفال»، دمشق: مكتبة أطلس ١٩٦٤م.

عبدالله خالد عبدالله: ولد بمدينة الزبير جنوب العراق ١٩٥٣م، شارك في المجلد رقم ١٢من موسوعة الباب المفتوح الصادرة عن إحدى دور النشر الأمريكية بخمس وخمسين قصيدة للأطفال، وقعت في ٢٢ صفحة.

عبدالله فُريج: من مواليد القاهرة، ١٩٠٧م . من أعماله: «كتاب نظم الجمان في أمثال لقمان» ١٩٨٣م.

عبدالله منصور: ولد في قرية المنسي قضاء حيفا بفلسطين ١٩٤٢م، من أعماله: المسرحية الشعرية «الغزال كحول» بالاشتراك مع محمود الشلبي ١٩٨٦م .

عبدالمنعم عوّاد يوسف: ولد في شبين القناطر بمحافظة القليوبية بمصر ١٩٣٣م، من أعماله: «عيون الفجر»، (أناشيد للأطفال)، الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام ١٩٩٠م، «ساحرةالأفق الشرقي» (١٠ـ ١٥سنة)، القاهرة: الهيئة المصريةالعامة للكتاب ١٩٩٥م.

عقيل سعيد العرفي: ولد في دير الزور بسورية ١٩٤٥م، من أعماله: «الضياء»، (مجموعة أناشيد إسلامية للأطفال).

علاّل الفاسي: ولد بفاس ١٩٠٨م/١٣٢٦هـ. وتوفي في بوخارست ١٩٧٤م ـ ١٣٩٤هـ، ودفن في الرباط. من أعماله: «رياض الأطفال»، «عبر وأساطير».

علي البتيري: ولد في بتير بمحافظة القدس، بفلسطين ١٩٤٥م. من أعماله: «لوحات تحت المطر» (مجموعة شعرية للأطفال) ١٩٧٣م، «المتوسط يحضن أولاده» (مجموعة شعرية للأطفال) ١٩٨١م، «القدس تقول لكم» ١٩٨٣م، «أطفال فلسطين يكتبون الرسائل» ١٩٨٤م، «فلسطين يا أمي» ١٩٨٦م، «صوت بلادي» (مجموعة عربية لأطفال الروضة والمرحلة الابتدائية) عمّان: مطبعة صفد، ١٩٨٧م.

علي الشرقاوي: ولد بالمنامة بالبحرين ١٩٤٨م. من أعماله: «أغاني العصافير»، ١٩٨٣م، «شجرة الأطفال» ١٩٨٣م «قصائد الربيع» ١٩٨٩م، «الأصابع» ١٩٩١م.

علي الصقلي: ولد بفاس بالمغرب الأقصى ١٩٣٢م، من أعماله: «ألف باء»، «أنغام طائرة»، «ريحان وألحان»، «مسامير ومزامير» «المعركة الكبرى».

علي بن شنين الكحالي: ولد في صحار بسلطنة عمان ١٩٦٣م، من أعماله: «أنشد معي» (ديوان للأطفال) ١٩٩١م، «ينابيع الحياة».

علي عبدالمحسن جبر: من أعماله «أناشيد إسلامية»، القاهرة: دار الصحوة.، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

علي فكري: ولد في مصر ١٨٧٩م وتوفي ١٩٥٣م، من أعماله: «مسامرات البنات» في جزأين (الجزء الأول ١٩٠٣م) القاهرة: مطبعة اللواء، «النصح المبين في محفوظات البنين» (١٩١٦م)، جمع فيه بجانب كتاباته بعض أناشيد الأطفال لطائفة من الكتاب والشعراء مثل الرافعي، وشوقي وناصيف اليازجي، وموسى شاكر.

عمر بهاء الدين الأميري: ولد في حلب بسورية ١٩١٥م، وتوفي ١٩٩٢م. من أعماله: «رياحين الجنة» (شعر في الطفولة والأطفال)، عمان: دار البشير، ١٩٩٠م، بالاشتراك مع رابطةالأدب الإسلامي العالمية.



فؤاد بدوي: ولد في روينة بمحافظة كفرالشيخ بمصر ١٩٣٣م، ومن أعماله: «من أصحابي». القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م. «قطرات من نهر الحب» ١٩٨٤م، «ياألله» ١٩٨٥م، «سبحان الله».

فاروق سلوم: ولد في تكريت ـ صلاح الدين بالعراق ١٩٤٨م، من أعماله: «أغاني الحصان»١٩٨٠م

فاروق يوسف: من أعماله ٥٠ قصيدة للأطفال. بغداد: دار ثقافة الأطفال.

فاضل الكعبي: ولد في بغداد ـ المحمودية، بالعراق ١٩٥٥م، من أعماله: «جنة عصفور» ١٩٨٢م، «براعم الثورة» ١٩٨٤م، «أجنحة وبساتين»١٩٨٢م.

فاطمة بديوي: ولدت بمدينة حماة بسورية ١٩٣٢م، من أعمالها: «أغاريد الطفولة» (أناشيد مدرسية) ١٩٦١م.

فدوى طوقان: ولدت بفلسطين ١٩١٧م، وتحمل الجنسية الأردنية.

فرّاج عبد العزيز مطاوع: ولد في المحلة الكبرى بمصر ١٩٥٩م، من أعماله: «حديث صحفي مع الإنسان الآلي»، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.



كامل كيلاني: ولد بالقاهرة ١٨٩٧م، وتوفي ١٩٥٩م. أصدر عبد التواب يوسف ديوانه للأطفال بعنوان «ديوان كامل كيلاني للأطفال»، الهيئةالمصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٨٨م.

كمال رشيد: ولد في قرية الخيرية التابعة لمدينة يافا بفلسطين ١٩٤١م، من أعماله: «أناشيدي» ج١، ج٢ ١٩٨٩م.

كمال قداوين: ولد في تونس ١٩٥٥م

(ل)

لطفي عبد المعطي مطاوع: ولد بقرية القيصرية مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، بمصر ١٩٦٠م.

(م)

محجوب موسى: ولد بالإسكندرية بمصر ١٩٣٥م، من أعماله: «ابن جحا تلميذاً» (مسرحية شعرية للأطفال)، ثلاث مسرحيات للأطفال.

محمد الأخضر السائحي: ولد بقرية العلية، تقرت، ورقلة، بالجزائر ١٩١٨م. من أعماله: «ديوان للأطفال»، ١٩٨٥م

محمد الأخضر عبد القادر السائحي: ولد في العلية، بولاية ورقلة، بالجزائر ١٩٣٣م، من أعماله: «نحن الأطفال» الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٩م.

محمد السنهوتي: ولد في قرية كفر أباظة، مركزالزقازيق بمحافظة الشرقية بمصر ١٩٠٩م، ثم انتقل بعد ولادته مع الأسرة إلى قرية سنهوت، مركز منياالقمح. من أعماله: «ديوان السنهوتي للأطفال» (جمع وتقديم وتبويب د.أحمد زلط)، الزقازيق: دار الشرق،١٩٩١م.

محمد الظاهر: ولد في عقبة جبر بأريحا بفلسطين ١٩٥٠م، من أعماله: «أبجدية الطفل العربي»، «قصائد لأطفال الآربي جي» ١٩٨٢م، عمان: دار الكرمل، ١٩٧٩م، «لينا النابلسي» (قصة شعرية)، عمان دار الشروق، «تغريد البطمة» (قصة شعرية) ١٩٨٤م، «قصائد إلى أطفال الأردن»، عمان: دار الكرمل ١٩٨٤م ، «دلال المغربي» (قصة شعرية) ١٩٨٥م، «الطائرات الورقية» ١٩٨٦م، «أغنيات للوطن» ١٩٨٧م، «أطفال الوطن الجميل» ١٩٨٨م، «أين كنت» ١٩٩٢م.

محمد عثمان جلال: ولد ١٨٢٨م ببلدة ونا القيس مركزالواسطي من أعمال محافظة بني سويف بمصر، وتوفي ١٨٩٨م. من أعماله: كتاب (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ)، قام عامر بحيري بتحقيقه ـ اعتماداً على طبعته الثالثة ١٩٠٨م وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٧٨م.

محمد عطيات: ولد في السلط بالأردن ١٩٣٧م، من أعماله: «الأناشيد المدرسية»، ١٩٨٢م .

محمد علي الرباوي: ولد في تنجداد بجنوب المغرب ١٩٤٩م. من أعماله: «عصافير الصباح» ١٩٨٩م .

محمد علي شمس الدين: ولد بالجنوب اللبناني ١٩٤٢م. من أعماله: «غنوا غنوا»، (قصائد للصغار) مجموعتان، منظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونسيف)، ومركز التدريب الاجتماعي، لبنان ١٩٨٣م .

محمد علي الهاني: ولد في توزر بالجنوب التونسي ١٩٤٩م، من أعماله: «أهازيج» (شعر للأطفال) تونس: الأخلاء ط١، ١٩٨٣م الدار التونسية للنشر ط٢، ١٩٨٥م. «ارسم وطنًا»، صفاقس: دارالبيروني، ١٩٩٤م

محمد القيسي: ولد في كفر عانة بفلسطين ١٩٤٤م، من أعماله: «في هوى فسلطين» (قصائد للفتيان) ,عمان: دار الأفق، ١٩٨٣م.

محمد المختار العلمي: ولد في شفشاون بالمملكة المغربية ١٩٢٧م.

محمد مزروع: ولد في قرية فرسيس، بمحافظة الشرقية بمصر ١٩٦٣م . من أعماله: «ألوان» (ديوان شعر للأطفال) ١٩٨٩م.

محمد منذر لطفي: ولد في مدينة حماة بسورية ١٩٣٥م، من أعماله: «من أغاني العودة»، (مسرحية شعرية للأطفال). حماة، المطبعة الحديثة ١٩٨٠م، «من رأى العمال؟» (مجموعة شعرية)، دمشق: كتاب أسامة الشهري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٢م، «الحقل السعيد» (مسرحية شعرية للأطفال) دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٤م، «وسام التعاون»، (مسرحية شعرية للأطفال)، دمشق: منشورات منظمة طلائع البعث، ١٩٨٨م، «القمر يغني للأطفال» (مجموعة شعرية للأطفال)، دمشق: اتحاد الكتاب العرب في سورية ١٩٩١م.

محمد موفق سليمة: من مواليد دمشق ١٣٧٠هـ، من أعماله: «أغاريد الأطفال» (بالاشتراك مع محيي الدين سليمة)، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٣هـ.

محمد وليد المصري: ولد في مدينة القصير من أعمال محافظة حمص بسورية ١٩٥٢م. من أعماله: «جديلة مدى».

محمدي حسن الشافعي: ولد بسامول مركز المحلة الكبرى بمصر ١٩٤٦م.

محمود أبو الوفا: ولد في الديرس، مركز أجا، لمحافظة الدقهلية بمصر ١٩٠٠م، وتوفي ١٩٧٩م. من أعماله: «أناشيد دينية»، ١٩٣٧م (وطبعت أكثر من مرة).

محيي الدين خريف: ولد بنفطة في الجنوب التونسي ١٩٣٢م، من أعماله: «الطفل والفراشة الذهبية» ١٩٧٥م، «محاورات الأطفال» ١٩٧٩م، «مسرحيات الأطفال» ١٩٨٠م، «براعم الطفولة» ١٩٩٢م، «محفوظات للأطفال».

محمود الشلبي: ولد في دنا بقرية يسان في فلسطين ١٩٤٣م، من أعماله: «هكذا يسموالوطن»، عمان: جمعية عمال المطابع الأردنية، ١٩٧٩م «الديك والنهار» ١٩٨٢م، «الغزال الكحول» (مسرحية شعرية للأطفال، بالاشتراك مع عبد الله منصور) ١٩٨٦م، «عصافير الندى» ١٩٨٨م.

محمود عبده فريحات: ولد في اليامون بالأردن ١٩٣١م . من أعماله: «مولد أمة» (مسرحية شعرية)، «هدية السماء» (مسرحية شعرية). «رهان مكة» (مسرحية شعرية) مصعب بن عمير (مسرحية شعرية)، «مسرح الأخطاءالشائعة: محاربة الخطأ شعرًا».

محمود مفلح: ولد في قرية بحيرة طبرية بفلسطين ١٩٤٣م، من أعماله: «غرِّد يا شبل الإسلام»، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع بالتعاون مع مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض، ١٩٩١م.

محمود مفلح البكر: ولد في التوافيق بطبرية بفلسطين ١٩٤٧م. من أعماله: «راية الفرح» (مغناة للفتيان) ١٩٨٦م، «ليلة عيد» (مغناة للأطفال) ١٩٨٧م .

مصطفى أحمد النجار: ولد في مدينة حلب بسورية ١٩٤٣م.

مصطفى جواد: (١٣٢٣ـ ١٣٨٩هـ - ١٩٠٥- ١٩٦٩م)، ولد في بغداد وتوفي بها.

مصطفى صادق الرافعي: ولد في بهتيم بمحافظة القليوبية بمصر ١٨٨٠م، وتوفي في طنطا ١٩٣٧م. من أعماله: ديوان « أغاريد الرافعي» جمع وتقديم مصطفى نعمان البدري، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٩م.

مصطفى عكرمة: ولد في قرية بابنا شرقي اللاذقية بسورية ١٩٤٣م، من أعماله: «جند الكرامة» (مسرحية شعرية) ١٩٧٢م، (طبعت عدة مرات)، «فتى الإسلام» ١٩٧٩م، سلسلة مكتبة الطفل العربي الشعرية، ١٢ كراسًا شعريًا ملونًا للأطفال، هي: «في المعبر»، «في الطريق»، ن«قلت وظيفتي»، «ليتني أخبرت»، «ماما»، «دين ووفاء»، «النهر»، «رسالتان في الحديقة»، «في الملعب»، «في العطلة»، «طالما قلت الحقيقة»، «المحفظة»، ١٩٨٠م. (طبعت عدة مرات)،

«أجمل ما غنّى الأطفال»، دمشق: دار الفكر ١٤٠٧هـ، «أحباب الله» جدة: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق١٩٩٣م.

مصطفى كامل: (١٨٧٤ـ ١٩٠٨) من أعماله: كتب بعض الأناشيد الوطنية ونشرها في مجلة المدرسة، وصحيفة المؤيد.

معروف الرصافي: ولد في بغداد ١٨٧٧م، وتوفي بها ١٩٤٥م. من أعماله: «تمائم التربية والتعليم» (شعر)، بغداد: وزارة المعارف ١٩٤٨م، ديوان «الأناشيد المدرسية».

معروف رفيق محمود: ولد في عنتبا بفلسطين ١٩٣٥م. من أعماله: «أشعار للفتيان والفتيات»، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م

معشوق حمزة: ولد في الحسكة بسورية **١٩٥٤م، من أعماله:** «عبير وقصائد أخرى»١٩٨٢م. «سلوى تغني» ١٩٨٤م، «البستان»، كتاب أسامة الشهري، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٥، «أحلى من الوردة» ١٩٨٧م، «شتلة ليلى» ١٩٩٠م.



نشأة المصري: ولد في مدينة النصر بمحافظة الدقهلية بمصر ١٩٤٤م. من أعماله: «حديث الأشجار»، ١٩٨٣م «صانعة الإشعاع»، (قصة شعرية طويلة)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢م «البذورالغامضة»، (قصة شعرية طويلة).القاهرة: دار سفير، ١٩٩٢م، «خالد بين الأخطار»، (قصةشعرية طويلة)، القاهرة: دارسفير، ديوان «حكايات الشجر».

نصرة سعيد: من أعماله: «أغاني الطفولة». حلب: ١٩٤٥م.

نقولا أبو هنا المخلصي: ولد في قرية البطمة بالشوف بلبنان ١٨٨٨م، وتوفي ١٩٥٦م. من أعماله: «أمثال لافونتين»، ١٩٣٤م .

نور الدين صمود: ولد في قليبية بولاية نابل بتونس ١٩٣٢م. من أعماله: «طيور وزهور» ١٩٧٩م، »حديقة الحيوان» ١٩٩١م.



هاني ماجد فيروزي: من مواليد مكة المكرمة ١٣٦٧هـ.

هيثم يحيي الخواجة: ولد في سورية ١٩٤٩م. من أعماله: «درب القمة»، (قصائد للأطفال)، حمص: دار ملهم للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.

وليد مشوح: ولد في ديرالزور بسورية ١٩٤٤م من أعماله: مجموعتان شعريتان، إحداهما للأطفال(٤ ــــ١٢) بعنوان «أناشيد المجد»، والأخرى لليافعين (١٢ــــ ١٦سنة) بعنوان «أغنيات للحياة والكون».



ياسين الفيل: ولد بدست الأشراف، مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة بمصر ١٩٢٧م.

يحيي الحاج يحيي: ولد في بلدة جسر الشغور بشمالي سورية ١٩٤٥م، من أعماله: «أناشيد الطفولة» (سلسلة أناشيد في أربعة أجزاء)، عمّان: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، «تغريد البلابل» (مجوعة شعرية) عمان دار البشير للنشر والتوزيع بالاشتراك مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية).

يوسف حمدان: من أعماله: «غنوا لفسلطين»، «أناشيدللفجر الطالع».

يوسف طافش: ولد في مدينة صفد بفلسطين ١٩٣٨م، من أعماله: «الفضاء الأخضر» (مسرحية شعرية للأطفال)، ١٩٨٧م.

يوسف العظم: من أعماله: «أناشيد وأغاريد الجيل المسلم»، عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م، «براعم الإسلام »، بيروت: المكتب الإسلامي.

الهوامش:

أولاً: رسائل الشعراء العرب إلى المُعدّ.
ثانياً: الكتب والمعاجم والموسوعات:
- أحمد زلط، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤م.
- أحمد زلط، رواد أدب الطفل العربي. الزقازيق: دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- أحمد السويلم، أطفالنا في عيون الشعراء، القاهرة: دار المعارف «سلسلة اقرأ»، ط٢، ١٩٨٧م.
- أحمد المصلح، أدب الطفل في الأردن ـ دراسة نقدية، عمّان: منشورات دائرة الثقافة والفنون، ١٩٨٣م.
- أحمد فضل شبلول، جماليات النص الشعري للأطفال، القاهرة: الشركة العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.
- أنس داود، أدب الأطفال في البدء كانت الأنشودة، الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٩٣م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الإلكترونية، بيروت: دار العريس للكمبيوتر، دار العلم للملايين، ١٩٩٦م.
- دار البشير للنشر والتوزيع. من الشعر الإسلامي الحديث «مختارات من شعراء الرابطة». عمّان: بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- دار الشّعب. الموسوعة العربية الميسرة. القاهرة، ٢مج، ط١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- راضي صدوق. ديوان الشعر العربي في القرن العشرين، توثيق أنثولوجي وأنطولوجي للشعراء العرب المعاصرين. دار كرمة للنشر، فياغايتا، روما، ج١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- سعد أبو الرضا. النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية. عمّان: دار البشير للنشر والتوزيع، بالتعاون مع مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض، ١٩٩٣م/١٤١٤هـ.
- سميح أبو مغلي ومصطفى محمد الفار وعبدالحافظ محمد سلامة، دراسات في أدب الأطفال، عمّان دار الفكر للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٣م.
- شركة الدائرة للإعلام المحدودة، معجم الأدباء والكتاب. الرياض، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- عبدالتواب يوسف، ديوان كامل كيلاني للأطفال. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.
- عبدالرؤوف أبو السعد، الطفل وعالمه الأدبي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤م.
- عبدالرزاق جعفر، الطفل والشعر ـ دراسة في أدب الأطفال، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م.
- عبدالعزيز المقالح، الوجه الضائع ـ دراسات عن الأدب والطفل العربي، بيروت: دار المسيرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- عبد العلي الودغيري، ديوان علال الفاسي، جمع وتحقيق، ج١، منشورات مؤسسة علال الفاسي.
- عبدالله شرف، شعراء مصر، ١٩٠٠ ـ ١٩٩٠م، القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، ١٩٩٣م.
علي الحديدي، في أدب الأطفال، القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية، ط٢، ١٩٧٦م.
- مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الكويت، ١٩٩٥م.
- مجموعة من الكتاب: الشعر والنقد والطفولة، الزقازيق «سلسلة أصوات معاصرة العدد ٣٥» يوليه ١٩٩٧م.
- محمد صالح الشنطي، في أدب الأطفال، أسسه وتطوره وفنونه وقضاياه ونماذج منه، حائل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- محمود شاكر سعيد، أساسيات في أدب الأطفال. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- مصطفى محمد الفار، الشاعر أبو سلمى أديبًا وإنسانًا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م.
- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، القاهر، بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة الألف كتاب «الثاني» ٣٠، ١٩٨٦م.
- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، الكويت: عالم المعرفة (١٢٣) ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
هدى محمد باطويل، الإنتاج الفكري المطبوع للطفل في المملكة العربية السعودية ـ دراسة تحليلية، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- هيفاء شرايحة، أدب الأطفال ومكتباتهم، عمّان: المطبعة الوطنية ومكتبتها، ط٢، ١٩٨٣م.
- وزارة الثقافة ومؤسسة نور الحسين، أدب الأطفال في الأردن «واقع وتطلعات» (مجموعة أوراق عمل الندوة التي أقيمت في الفترة ما بين ٢٢ ـ ٢٣ آذار ١٩٨٨م)، عمّان: مراجعة عصام الزواوي، ١٩٨٩م.

من الأدب التركي الحديث

حكاية أحمد آغا

سعاد درويش

ترجمة: محمد رمضان علي

كلَّت يداه من العمل الشاق المتواصل، دون جدوى، فنّحى الفأس جانبًا وأخذ يفكر. لقد قاتلت في هذه الحرب اللعينة التي فرضت علينا، فماذا أفدت لنفسي؟ وماذا حققت لوطني؟ لا شيء.

وها أنذا أعود إلى قريتي خالي الوفاض بعد فراق طويل، فأبتَلى بهذا الحقل القاحل والأرض الصلبة الجرداء التي لا تنبت شيئًا.

ومما زاد الأمر ضغثًا على إبّالة هذا الجفاف الساحق الماحق الذي قضى على كل أمَل. ثم حدّق بعينيه نحو السماء وقرر أن يعود إلى البيت.

ها هي ذي أمه العجوز النحيلة تهيّئ طعام العشاء في رتابة وبلادة. نظرت إليه بعينين ذابلتين حانيتين وقالت له:

- قلت لك يا ولدي ألف مرة من قبل: «لا فائدة! هذه الأرض جدباء وليس أمامك إلا أن تتجه إلى المدينة وتلتحق بعمل ما في أحد المصانع. كما فعل أبناء عمك وخالاتك جميعًا. إذا ظللنا على هذه الحال الكئيبة شهرين أو ثلاثة متنا جوعًا.

ضاق ذرعًا بهذا الإنذار المروع وإن كان مقتنعًا تمامًا بصدقه.

انتصب واقفًا وخرج من البيت، ثم يمم شطر مقهى عثمان آغا، فوجده خاليًا من رواده، ولم يكن به غير صاحبه يصلي صلاة العشاء، في ركن قصي. بعد لحظات فرغ عثمان من صلاته، فأعد فنجان القهوة الذي يقدمه إلى أحمد عادة في مثل هذا الوقت، وجلس يسامره.

ارتفع صوت رقيق بغناء شجيّ فأنصت الرجلان لحظات ثم قال عثمان:

هل تعرف صاحبة هذا الصوت؟ إنها جولدا! لقد كانت بالأمس القريب طفلة لاهية. وما زالت تُعدّ في طور الطفولة حتى اليوم، ولكنها تتقدم حثيثًا نحو مرحلة الأنوثة المبكرة. لم تعرف بعد الخفر والحياء اللذين يلمان بالفتيات في أول عهدهن بالشباب. ما زالت حتى اليوم تنطلق على سجيتها دون تحفظ، ولكنها في غاية البراءة والطهارة. طوبى لمن يظفر بها في المستقبل زوجة في بيته. سترف عليه رفيف الأقحوانة، تملأ بيته مرحًا ومحبة وسعادة.

دفعت هذه الكلمات أحمد إلى التفكير العميق وقال لنفسه: ما أشد حاجتي إلى زوجة لتفيض علي من ظرفها وأنسها، وتزيح الكآبة التي تخيم على حياتي؟

وفجأة شقت أجواز الفضاء صرخات امرأة، فقال عثمان:

- إنها السيدة شادان. تفترس زوجها المسكين بمخالبها، كما تفعل كل ليلة! وعقب أحمد حتى لا يترك عثمان بلا إجابة، فقال:

- إنها امرأة شريرة!

فقال عثمان: لقد صدق من قال: لعل له عذرًا وأنت تلوم! حياتها قاسية: فقر مدقع وبؤس وجفاف وأربعة أطفال. لقد فرغ كل ما كان اختزنه الناس، ففقدت نساء القرية جميعهن أعصابهن، وأصبحن حانقات.

تذكر أحمد أمه فردد ما قاله عثمان:

نعم أصبحن حانقات!.

- نضب المخزون من المحاصيل، والجفاف آخذ بخناقهن ولا أمل يرجى! .

قال أحمد: ما أروع أن يكون للمرء غدير يجري وسط أرضه. لم يحظ بهذه النعمة إلا ناجي بك. أما أنا فقد غرروا بي حتى اشتريت هذه القطعة من الأرض الجدباء القاحلة.

- لقد أخطأت يا أحمد عندما تعجلت بشرائها دون أن تستشير

أعيان القرية!.

ثم جاء إليهما وافد جديد.

- مساء الخير.

- مساء الخير يا رجب.

- هل من الممكن أن تتكرم عليّ بفنجان مضبوط يا عثمان آغا؟.

مضى صاحب القهوة متثاقلاً ليعد القهوة، وألقى رجب بثقله على الأريكة وتمتم:

- لم أعد أجد راحة في البيت. سوف تؤدي بي هذه الحال إلى الجنون لا محالة!.

لم يقل أحمد شيئًا، ولكن رجب استأنف حديثه قائلاً:

ما أسعد حالك يا أحمد؛ ليس لك امرأة مثل زوجتي شادان تنغص حياتك!.

وعاد صاحب القهوة واشترك في الحديث قائلاً:

- لقد سمعنا صراخ زوجتك يا رجب.

- وما عساني أن أصنع؟ صدقاني يا صاحبيّ إذا لم يكن للمرء أرض خصبة، يشقها ينبوع تجري فيه الماء، فليس من حقه أن يتزوج، هذه حياتي تحولت إلى جحيم. حرمت الراحة في البيت، ولكن ماذا في وسعي أن أصنع؟ أأستطيع أن استنزل الغيث من السماء؟ ثم أردف قائلاً:

- ولكن امرأتي معذورة في ثورتها، أمامها بناتها الأربع يتضورن جوعًا!

ثم تابع حديثه قائلاً: كم أنت سعيد يا أحمد! وذكي أيضًا!

إنك لم تتزوج بعد. وليس عندك أطفال. عادة ما يكون المرء في مثل عمرك جدًا. ولكنك بعيد النظر. آثرت راحة البال على كل شيء. ما أحكمك! وما أعقلك! وما أسعدك!

انزعج أحمد قليلاً ثم قال لنفسه: لا لا إنه يبالغ كثيرًا. لم أصل بعد إلى سن الأجداد. وهذه أمي ما زالت على قيد الحياة.

استأنف رجب حديثه وقال:

سأذهب إلى المدينة للبحث عن عمل في أحد المصانع، هذه رغبة زوجتي وإلا ماتت بناتي جوعًا. إن عليًا شقيق زوجتي يعمل هناك، وقد تحسنت ظروفه المالية كثيرًا وأغدق على أولاده، فلم لا أحذو حذوه؟.

ثم التفت إلى أحمد، ونظر إليه نظرة طويلة وقال:

- أقول لك مرة أخرى لله درك يا أحمد. أنت لست متزوجًا. أنت في غنى عن كل هذه المهالك التي يكابدها من كان مثلي.

لم ترق هذه النغمة في أذن أحمد كثيرًا، فهب واقفًا وألقى قروشًا على المنضدة ثم انصرف.

وفي طريقه إلى بيته التقى بشبح يمشي في الظلام. وما لبث أن تبين أنه جولدا بعينها.

ارتعدت الفتاة إذ رأت إنسانًا يبرز لها فجأة.

- لا تخافي! أنا أحمد!

- لست خائفة.

- وما تفعلين هنا في هذه الساعة؟.

لا شيء لقد كان الجو خانقًا داخل البيت، فخرجت لأستنشق الهواء.

- حقًا!

بقيا هكذا لحظات. كل منهما في مواجهة الآخر ينظر إليه في صمت. ثم تكلم أحمد في صوت مرتعش:

- أكنت تغنين منذ قليل؟ إنك تحسنين الغناء يا جولدا!

فابتسمت الفتاة وقالت:

- أترى أنني أحسن الغناء؟ إن أمي تنهرني كلما سمعتني أغني.

بدت جولدا في ضوء القمر رائعة فتانة. إنها في عيني أحمد أجمل من أي امرأة في حياته. اقترب منها، وهم بأن يأخذ يدها بين يديه، ويتحسس وجنتيها، ويهمس في أذنها بكلمة.

ثم تذكّر ما كان يقوله رجب منذ قليل، ورنت كلماته في مسمعيه من جديد: «لا يحق للمرء أن يتزوج ما لم تكن له أرض خصبة يشقها نهر جار».

ثم قطب أحمد ما بين حاجبيه، وقال فجأة:

- لقد تأخر الوقت، عِمي مساءً يا جولدا!

وابتعد...

وفي الصباح غادر أحمد القرية ويمم شطر المدينة للبحث عن عمل. ومضت أيام قليلة أخذ ساعي البريد يطرق باب أمه العجوز ليسلمها رسائله، من حين إلى آخر. وكانت أمّية فلم يكن أمامها إلا أن تتوجه إلى عثمان آغا ليقرأها لها ويكتب لها الرد. ثم انتقلت إلى رحمة الله بعد بضعة شهور، فكتب عثمان إلى أحمد وأنبأه بوفاتها.

وأخذ رواد المقهى يتجاذبون الحديث في شأنه ورجحوا أنه لن يعود إلى القرية بعد وفاة أمه، فلم يعد له فيها قريب ولا نسيب.

انقضت بضعة أعوام، وعاد أحمد إلى القرية وقد بدت عليه آثار النعمة، وفي مقهى عثمان أخذ يستطلع أخبار القرية، فعلم أن السيدة وجدان ستبيع مزرعتها لتهاجر إلى المدينة وتعيش مع حفيدها. ومزرعة وجدان أرض خصبة، وبها بئر، ومعروفة بمحاصيلها الوفيرة، فلماذا لا يشتريها؟ وعندما استشار عثمان آغا، قال له: هذه فرصة العمر، فلا تدعها تفوتك!

فتوكل على الله واشتراها، ثم استقر في بيته الجديد. وبدأ العمل في جد. وذات يوم حينما كان مع عثمان وحدهما سأله باهتمام:

حكاية أحمد آغا

- لم نعد نرى جولدا. هل تزوجت؟؟

حملق فيه عثمان قليلاً ثم قال:

- أبداً إنها لم تتزوج. إنها عازفة عن الزواج، ويبدو أن لها رأيًا خاصًا.

لقد رفضت كل من تقدم لها. الظاهر أنها تنتظر إنسانًا بعينه.

طأطأ أحمد رأسه ليخفي وجهه الذي تضرج بحمرة قانية.

بعد بضعة أيام، بينما كان عائدًا إلى بيته التقى بجولدا مصادفة.

- السلام عليك يا جولدا!

- وعليك السلام يا آغا!

- كيف حالك؟

ابتسمت ومطت شفتيها ثم قالت: بخير! ثم أضافت وهي تحملق في عينيه: «أما أنت فأرى أن أمورك قد تحسنت كثيراً!

فأجاب في خيلاء: نعم ولكن بعد أن كافحت طويلاً.

ثم أرسل زفرة وقال: كل شيء على ما يرام، غير أن أمي تركت فراغًا كبيراً.

- إنني أفهم مقدار ألمك .ولا شك أنك تكابد مرارة الوحدة!.

فتمتم قائلاً: نعم.

وأراد أن يقول شيئًا ولكن غلبه الحياء، فانصرف وهو يقول: إلى اللقاء قريبًا جدًا يا جولدا!

وكان العام سخيًا، فأزهر الحقل بنوار محصول وفير. وفي كل مرة كان يلتقي فيها بجولدا كان يحدث نفسه قائلاً: سأبيع القمح وأحصل على مال وفير. ثم أذهب إلى عثمان آغا ليحدث والد جولدا ليطلب يدها وأدفع مهراً كبيراً، وأقيم حفلاً فخمًا عظيمًا، كدأب الباشوات والبكوات.

وفي مساء خريف صفت سماؤه، كانت جولدا عائدة إلى بيتها، فرأت أحمد يقترب منها مرتديًا حلته الجديدة. وقال لها مبتسماً:

- مساء الخير!

- مساء الخير يا أحمد آغا!

- إنني عائد لتوي من المدينة وقد دفع لي التاجر مبلغًا كبيراً من المال. وفي جيبي الآن ما يكفي للاحتفال بزواجي وتقديم الهدايا الثمينة لخطيبتي.

وضحكت جولدا. فقال أحمد في نفسه: لا بد أنها فهمت ما أعنيه!.

- وإلى أين ذاهبة الآن يا جولدا؟

- إلى بيتي.

- بيتك؟ لا. إنه بيت أبيك وأمك. أما بيتك فالزوج وحده هو الذي يهيئ لك هذا البيت. ألا ترغبين في أن يكون لك بيت خاص؟

- لم ترد جولدا ولكن احمرت وجنتاها خجلاً وحياءً.

- يقولون إنك ترفضين الخطاب. فلماذا؟ يمكنك أن تثقي بي.

واصلت جولدا صمتها، فزادت جرأته فقال:

- سأقول لك ذلك. أنت ترفضين خطابك لأنك تحبين أن تكوني زوجة إنسان بعينه. إنسان اختارك وفضلك على نساء العالمين، أليس كذلك؟

- وكيف علمت هذا؟

- لا عيب في هذا. إنني عشت في المدينة ردحًا طويلاً من عمري ورأيت أن الأمور تتم على هذا النحو. لا عيب في ذلك أبدًا.

- وأمي؟

- لن ترفض أمك رجلاً يملك أرضًا ومالاً.

- ولكنه كما تعلم لا يملك شيئًا. ومنذ أن اختلف مع ابن ناجي بك لا يجد عملاً. امتقع وجه أحمد وأدرك أنه في واد والفتاة في وادٍ آخر. ثم تابعت كلامها وقالت:

- وبما أنك تعلم كل شيء، فدعني أكشف لك كل ما في قلبي، أنا أعلم أنك رجل نبيل. وأنك كافحت وتعذبت كثيراً، لقد حدث في الماضي أنني اتفقت مع حمدي على الزواج، ولكن أمي عارضت وحالت دون ذلك.

ثم اقتربت جولدا من أحمد وقالت بصوت حنون:

- إنك رجل كبير وتكاد تكون شيخًا وتعلم الكثير بعد أن قضيت أعواماً في المدينة وتستطيع أن تساعدنا يا عم أحمد.

- وكيف أساعدكما؟

- في حقلك مكان للعمل وتستطيع أن تلحق به حمدي. ولو رضيت أمي بزواجي من حمدي بعد ذلك لجئت بدوري واشتغلت في بيتك، وسوف أتفانى في خدمتك كما لو كنت من لحمك ودمك! إن أعظم متعة لمن كان في مثل سنك يا عم أحمد أن يسعد الآخرين!.

لم يجب أحمد ولكنه رمق الفتاة في ذهول وأخذ يفكر، لقد أصبح شيخًا!! أهكذا سريعًا؟ خلال صراعه المرير للحصول على قطعة أرض يشقها غدير صغير، ومرت الأعوام دون أن يدري حتى أصبح شيخًا، ولم يعد من المناسب أن يبدأ حياته من جديد. فات الأوان!.

- ليكن يا صغيرتي. سأتحدث إلى حمدي وألحقه بالعمل عندي.

وابتعد فجأة، ولكنه التفت قبل أن ينعطف مع الطريق وأضاف... وسأتحدث مع أمك أيضاً.



الحركة الثقافية في شهر

انعقاد المؤتمر الخامس لجمعية لسان العرب بالقاهرة

مركز للدراسات الإسلامية والعربية في جامعة إكسترا

مؤتمر للدراسات النوبية في بوسطن

معرض لمختارات الفن التشكيلي السعودي في القاهرة

أول كلية أهلية للبنات

تقرر - مبدئيًا - الموافقة على تأسيس كلية للبنات في جدة تحت مسمى «كلية عفت الأهلية للبنات».

وتعد الكلية أول كلية أهلية للبنات، وتكفلت بتحمّل تكاليف مبانيها ومرافقها كافة صاحبة السمو الأميرة عفت بنت محمد الثنيان آل سعود، حرم الملك فيصل بن عبدالعزيز - طيب الله ثراه - التي كانت أيضًا خلف إنشاء أول مدرسة نموذجية للبنات في جدة هي مدرسة دار الحنان قبل أربعة وأربعين عامًا.

وتقع الكلية على أرض مساحتها ستة وثمانون ألف متر مربع، والدراسة بها باللغتين العربية والإنجليزية في الأقسام الأدبية، والإنجليزية فقط في الأقسام العلمية، وتمنح درجة البكالوريوس في سبعة تخصصات هي: الصيدلة، العلوم الطبية التطبيقية (المختبرات الإكلينيكية)، الحاسب الآلي، نظم المعلومات، اللغة الإنجليزية (الترجمة) علم النفس التربوي، ورياض الأطفال.

وتقبل الكلية المواطنات السعوديات والخليجيات والمقيمات الحاصلات على شهادة الثانوية العامة علمي أو أدبي وما يعادلها بعد اجتياز مقابلة شخصية.

وتسعى الكلية إلى منح درجات جامعية متوسطة في مجالات أخرى، وبرامج دراسية ينتظر أن يتم الإفصاح عنها في وقتها.

معرض وندوة الإبداع في المملكة خلال مئة عام

تجري إحدى الشركات الخاصة حاليًا بتكليف من وزارة الأشغال العامة والإسكان، استعدادات لتنظيم «معرض الإبداع والتميز في النهضة العمرانية في المملكة العربية السعودية خلال مئة عام».

يقام المعرض في مدينة الرياض خلال الفترة من ٦ إلى ١٠ شباط/ فبراير ١٩٩٩م المقبل ضمن احتفالات العيد المئوي لدخول الملك عبدالعزيز مدينة الرياض.

تصاحب المعرض ندوة موسعة بعنوان «الإبداع والتميز في النهضة العمرانية في المملكة خلال مئة عام».

أسبوع الجوف السابع

تنظم مؤسسة الأمير عبدالرحمن السديري الخيرية في سكاكا أسبوع الجوف السابع خلال شهر جمادى الآخرة الجاري.

يضم الأسبوع نشاطات مختلفة من بينها معرض للكتاب، وآخر للفنون التشكيلية، وثالث زراعي، ورابع صناعي وحرفي، فضلاً عن مسابقات رياضية ومسابقات للمزارعين.

معرض لفناني الحاسب الآلي

نظم بيت التشكيليين في - جدة للمرة الأولى - معرضًا لفناني الحاسب الآلي.

ضم المعرض أعمالاً فنية أنجزت بالحاسب الآلي، أو أسهم الحاسب الآلي في إنجازها، وهدف المعرض تعريف المتلقي بالأعمال الفنية الحديثة التي تستخدم فيها تقنية الحاسب الآلي.

وفاة الشاعر يوسف أبو سعد

توفي في الشهر الماضي الأديب الشاعر السعودي يوسف عبداللطيف أبو سعد إثر نوبة قلبية مفاجئة.

والأديب الراحل من مواليد الهفوف في عام ١٣٥٦هـ، وعمل بالتدريس، وقد تخرج في جامعة الرياض (الملك سعود).

كتب جديدة

قصة التوسعة الكبرى، (عن توسعة الحرمين الشريفين)، تأليف حامد عباس، صدر عن مجموعة ابن لادن.

دامسة، مجموعة قصصية لمحمد علوان.

اشتعال الرمق، مجموعة شعرية لمحمد

عبدالرحمن الحفظي.

صدر الكتابان السابقان عن نادي أبها الأدبي.

الفن التشكيلي في الطائف: بداياته ومناهجه التطبيقية، إعداد حماد الجعيد، وسعود النفيعي، صدر عن لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف.

مبادئ في نظرية الشعر والجمال، تأليف أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

ظلال رجال هاربين، مجموعة قصصية لجار الله الحميد.

صدر الكتابان السابقان عن نادي حائل الأدبي.

النوم في الماء، مجموعة قصصية لناصر سالم الجاسم، صدرت عن نادي القصة السعودي بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، إشراف عبد المالك بن عبدالقادر طرابلسي. صدر عن مكتبة مكة المكرمة.

إدارة المكتبات البرلمانية، تأليف ديرموت انجلفيلد، ترجمه إلى العربية د. عبدالرحمن الحميدان، وراجعه د. سعد القبيعان، وصدر عن إدارة المكتبات البرلمانية في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، بالتعاون مع مجلس الشورى.

الإمارات

«بدايات» حور القاسمي

أقامت الشيخة حور سلطان القاسمي معرضها التشكيلي الأول تحت عنوان «بدايات» في دبي.

عكس المعرض مرحلة فنية معينة مرت بها الفنانة، ركزت خلالها على الأشخاص والمناظر القريبة منها، فضلاً عن التراث، من خلال المذهب التجريدي وتجميع المشاهد المرئية والأشكال التجريدية، بما ينبئ عن تجربة فنية غنية.

كتب جديدة

ثنائية مجبل بن شهوان، رواية لعلي أبو الريش، صدرت عن دار الاتحاد للصحافة والنشر في أبو ظبي.

التجربة الأنثوية، تأليف صنع الله إبراهيم، صدر عن دار الثقافة الجديدة.

الكويت

دراسة إنشاء صحيفة دولية

تدرس وزارة الإعلام حاليا الجدوى السياسية والاقتصادية لإصدار صحيفة دولية كويتية من لندن على أن تطبع في مراكز دولية عدة.

ترمي الصحيفة إلى إيضاح الجوانب المختلفة للسياسة الكويتية، والدفاع عن قضاياها.

كتب جديدة

الكويت تواجه الأطماع، تأليف د. يعقوب يوسف الغنيم، صدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية.

علم النفس البيئي، تأليف د. فرانسيس ت. ماك آندرو، ترجمه إلى العربية د. عبداللطيف محمد خليفة، د. جمعة سيد يوسف، وصدر ضمن سلسلة «كتب جامعة الكويت» عن المكتب التنفيذي للجنة التأليف والتعريب والنشر.

الأمن الغذائي للوطن العربي، تأليف د. محمد السيد عبدالسلام، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

قطر

من الكتب الجديدة

إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، تأليف د. محيي الدين عبدالحليم، صدر ضمن سلسلة «كتاب الأمة» برقم (٦٤) عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالدوحة.

مصابيح في عيون النهار، تأليف د. زكية مال الله، صدر عن قسم الدراسات والأبحاث بإدارة الثقافة والفنون.

اليمن

معرض صنعاء للكتاب

شارك ما يزيد على ١٧٠ دار نشر عربية وأجنبية في معرض صنعاء الدولي للكتاب الذي اختتم أعماله مؤخرًا.

وكان المعرض الذي تنظمه كل عام وزارة الثقافة والسياحة بالتعاون مع النادي الأدبي اليمني قد شهد مجموعة من الفعاليات الثقافية، منها حلقة دراسية عن الشاعر حسن عبدالله، ومحاضرة للشاعر الكبير سليمان العيسى عن «أدب الطفل».

وفاة الشاعر النبيل

توفي الشاعر اليمني القرشي عبد الرحيم سلام، الذي وافته المنية عن عمر يناهز ٦٠ عامًا.

وقد ترك الراحل مجموعة من الأعمال الشعرية والمسرحية فضلاً عن كتابات صحافية متنوعة، ومن أبرز أعماله «السماء لا تمطر ذهبًا»، و«مرايا الشوق»، وعُرف باسم الشاعر النبيل.

مصر

استعدادات للاحتفال باكتمال مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية

تقرر إقامة احتفال كبير بمناسبة اكتمال مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية في الثامن والعشرين من شهر إبريل/نيسان ١٩٩٩م المقبل.

وتبلغ المساحة الكلية لمباني المكتبة نحو ٨٠ ألف متر مربع، وأعدت لتضم - عند

الافتتاح - ما يقارب أربعمئة ألف مجلد، على أن تصل - فيما بعد - إلى ثمانية ملايين مجلد، موزعة على المكتبة الرئيسة، والمعهد الدولي لدراسة المعلومات، ومعهد التوثيق، والمتحف الأثري ومتحف العلوم، وغيرها من ملحقات المكتبة، التي تكلف مشروع إعادة بنائها نحو ١٨٠ مليون جنيه مصري.

نشرة شهرية لمشروع أطلس (الفلكلوري) المصري

تعتزم الهيئة العامة لقصور الثقافة إصدار نشرة علمية شهرية تحت عنوان «رسالة الأطلس».

تختص الرسالة بأخبار مشروع أطلس (الفلكلور) المصري الذي تنفذه الهيئة، حيث تتناول في كل عدد عنصراالخريطة المزمع جمع مادتها من المحافظات تبعًا للخطة، إضافة إلى كل ما كُتب عن المشروع في الصحف.

يذكر أن النشرة يشرف عليها علميا د. أحمد مرسي، ويرأس تحريرها عبدالرحمن الشافعي.

بدء عمليات ترميم مسجد عمرو بن العاص

بدأت - مؤخرًا - أعمال ترميم مسجد عمرو بن العاص بضاحية الفسطاط في القاهرة، والذي يعد أول مساجد مصر وإفريقية وأقدمها.

وكان الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه، قد بنى المسجد عقب فتحه مصر عام ٢١هـ (٦٤٢م) إلا أن أجزاء من المسجد تعرضت للانهيار بسبب المياه الجوفية، والأخطاء المعمارية التي وقعت أثناء عمليات الترميم سابقًا، والإضافات التي حدثت في عهد الأمير المملوكي مراد بك عام ١٧٩٧م.

المؤتمر السنوي الخامس لجمعية لسان العرب

يرعى الأمين العام لجامعة الدول العربية د. عصمت عبدالمجيد أعمال المؤتمر السنوي الخامس لجمعية «لسان العرب لرعاية اللغة العربية» الذي يعقد تحت شعار «دور المؤسسات في التخطيط لرعاية اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين» في نهاية شهر رجب المقبل (١٤ - ١٦ نوفمبر/ تشرين الثاني١٩٩٨م).

ووجه رئيس الجمعية د. عاطف نصار الدعوات إلى نخبة من علماء اللغة العربية للمشاركة في أعمال المؤتمر بأبحاثهم.

وكان المؤتمر السابق قد ناقش «أساسيات وضع خطة مستقبلية لرعاية اللغة العربية في الألف الميلادية الثالثة».

مؤتمر لاتحاد كُتَّاب فلسطين

تستضيف القاهرة أعمال المؤتمر السادس لاتحاد كُتَّاب فلسطين في نهاية شهر جمادى الآخرة الجاري.

يسعى المؤتمر إلى إعادة ترتيب شؤون الاتحاد وقضاياه، وبخاصة بعد تجميد عضويته في اتحاد الكُتَّاب العرب، وينتظر أن يشارك في أعماله كُتَّاب وأدباء من مصر والعراق وسورية والأردن، فضلاً عن الكُتَّاب الفلسطينيين.

٩ صحف ومجلات جديدة

صدرت موافقة لجنة شؤون الصحافة بالمجلس الأعلى للصحافة على صدور ٩ صحف ومجلات جديدة.

والإصدارات التسعة هي: مجلة «بلبل» وهي أسبوعية موجهة للأطفال تصدر عن دار أخبار اليوم، ويرأس تحريرها مؤنس كامل زهيري، وجريدة «شاشتي» وهي فنية أسبوعية، تصدر عن دار التحرير، ويرأس تحريرها سمير رجب، ومجلة «حقوق حلوان للدراسات القانونية والاقتصادية»،

محاضرات وندوات

«أركان الإيمان» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد آل فويس في بني عمرو بعسير الشيخ مجدوع العمري.

«نحو تعليم أفضل» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. سعيد بن محمد المليص.

«تأملات في سورة النور» عنوان محاضرة ألقاها في جامع ذرقان في العقلة بالقصيم الشيخ عبدالرحمن بن حمود الربعي.

«حجر رشيد واللغة المصرية القديمة» موضوع ندوة أقيمت في مكتبة مبارك العامة في الجيزة بمصر، تحدث فيها د. عبدالحليم نورالدين.

«إدارة القصر الملكي في مصر القديمة» عنوان ندوة نظمها متحف المجوهرات الملكية في الإسكندرية، وشارك فيها عدد من المتخصصين.

«الرؤى التاريخية في رواية (عودة الروح) لتوفيق الحكيم» عنوان محاضرة ألقاها في مكتبة البحر الأعظم في الجيزة بمصر د. عبدالمنعم الجميعي.

«ثقافتنا العربية ومخاطر العولمة» عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي د. عوض الجميعي.

«المسرح الكوميدي السياسي» عنوان محاضرة ألقاها في ديوان الكوفة في لندن نبيل صوالحة.

«دورالمكتبات والمؤسسات الجامعية في جمع مواد التاريخ الشفوي وحفظها وبثها» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الماجد للثقافة والتراث بدبي د. عبدالرحمن بن أحمد العكرش.

وهي مجلة علمية نصف سنوية تصدر عن كلية الحقوق بجامعة حلوان، ويرأس تحريرها د. جلال إبراهيم، ومجلة «الطفولة» وهي مجلة علمية تصدر كل أربعة أشهر عن كلية رياض الأطفال، وترأس تحريرها د. سهير كامل، ومجلة «عالم الكيمياء»، وهي علمية تصدر كل ٣ أشهر عن نقابة المهن العلمية، ويرأس تحريرها د. عبدالله هلال. ومجلة «الجمعية المصرية لأمراض الكلى» وتصدر عن الجمعية كل ٣ أشهر، ومجلة «الدلتا» وهي مخصصة لطب العيون وجراحتها، وهي علمية تصدر عن الجمعية السابقة ذاتها كل ٣ أشهر، ومجلة «آفاق الفجر الجديد»، وهي مجلة ثقافية اجتماعية أسبوعية للمعاقين تصدر شهريًا مؤقتًا عن الجمعية المصرية لأصدقاء المعاقين، ومجلة «حماية المستهلك» وهي أسبوعية متخصصة تصدر شهريًا مؤقتًا عن جمعية حماية المستهلك بالقاهرة، ويرأس تحريرها مصطفى إمام.

أول مكتبة خاصة بالطفل

افتُتحت - مؤخرًا - في حي المهندسين، أول مكتبة متخصصة للطفل والأسرة وما يحتاجان إليه من كتب وأشرطة كاسيت وفيديو وبرامج حاسب آلي، فضلاً عن خدمات الإنترنت.

ترمي المكتبة التي أسستها دار سفير للنشر إلى بناء عقل الطفل ووجدانه، من خلال ما توفره من إصدارات ثقافية ومعرفية تلبي احتياجات الطفل في بعديها الثقافي والمعرفي.

رحيل عالمين جليلين

توفي عالمان جليلان هما د. منصور حسب النبي، أستاذ الفيزياء بجامعة عين شمس، ومقرر لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والدكتور السيد رزق الطويل، الأستاذ بجامعة الأزهر، والرئيس العام لجماعة دعوة الحق الإسلامية.

ويعد الدكتور منصور حسب النبي أحد أبرز المهتمين بالإشارات العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، من خلال بحوثه أو محاضراته أو كتاباته المتنوعة على السواء، وله عشرة مؤلفات في هذا المجال منها: «إعجاز القرآن الكريم في آفاق الزمان والمكان»، «الإشارات القرآنية للسرعة العظمى»، هذا فضلاً عن مؤلفاته العلمية الأخرى في مجال الفيزياء.

أما د. الطويل، فهو مؤسس جماعة «دعوة الحق» ورئيسها، وهو حاصل على درجة الدكتوراه في اللغويات من جامعة الأزهر، وعمل بالتدريس في كليات الجامعة، كما عمل بالتدريس في ليبيا والسعودية، وله العديد من المؤلفات الإسلامية التي حرص من خلالها على تجنب الخوض في الخلافات ما أمكن، والتقريب بين المسلمين، والتوعية بمبادئ الإسلام وقيمه، وله كتابات نشرت في مجلة «الفيصل».

وفاة الشاعر عبدالعليم عيسى

توفي الشاعر عبدالعليم عيسى في القاهرة في يوم ٨ جمادى الأولى الماضي، وهو من رموز المدرسة التقليدية في الشعر العربي المعاصر، ومن المدافعين عن أصالتها؛ والشاعر الراحل من مواليد دمياط في عام ١٩٢٠م، وتخرج في كلية اللغة العربية في عام ١٩٤٣م، وعمل مدرسًا للغة العربية حتى أصبح موجهًا في وزارة التربية والتعليم.

«المعارك الأدبية» موضوع محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. عبدالمحسن فراج القحطاني.

أحيا الشاعران جاسم محمد الصحيح وإبراهيم دخيل الوزان أمسية شعرية في نادي الطائف الأدبي قدم لها د. عدنان المهنا.

«ملامح من الأدب العربي في ثنايا الشعر الإنجليزي» عنوان محاضرة ألقاها في جامعة أكسفورد البريطانية د. يوسف عزالدين.

«الاستنساخ والهندسة الوراثية» عنوان محاضرة ألقاها في مكتبة القاهرة الكبرى د. ماهر مهران.

«وسائل التنبؤ السياسي والاستراتيجي» عنوان محاضرة ألقاها في أكاديمية الدفاع الوطني بالقاهرة د. سعيد صادق.

«قضايا واتجاهات جديدة في التعليم» عنوان محاضرة ألقاها في جامعة العلوم التطبيقية الأردنية د. كريستوفر كوبر.

«قضايا المرأة والمجتمع والدراما» عنوان ندوة نظمها نادي سموحة في الإسكندرية شاركت فيها الأديبة فتحية العسال.

«الإنترنت واللغة العربية» عنوان محاضرة ألقاها د. فهد عبدالله اللحيدان.

«نحو سياحة ثقافية» عنوان محاضرة ألقاها د. عثمان محمود صيني.

ألقيت المحاضرتان السابقتان في نادي الطائف الأدبي.

«الاستشراق والتراث» موضوع ندوة استضافها مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث بدبي، شارك فيها د. عزالدين إبراهيم.

«مينا ليس موحد القطرين» عنوان محاضرة ألقاها في المتحف المصري بالقاهرة د. أحمد الشيخ.

وله خمسة دوواوين شعرية، هي: ألحان ملتهبة، ولهذا أنا أحيا، وللحياة أغني، وبعض نفسي، ومسافر بلا زاد.

مهرجان الإسماعيلية للفنون الشعبية

شارك نحو أربعين فرقة من ثلاثين دولة في أعمال مهرجان الإسماعيلية الدولي التاسع للفنون الشعبية الذي أقيم تحت شعار «حوار الثقافات وصراع الحضارات» خلال شهر جمادى الأولى الماضي.

كانت المشاركة العربية في المهرجان محدودة، حيث لم تتجاوز خمس دول هي: اليمن، وفلسطين، والأردن، وتونس، والمغرب فضلاً عن مصر، وقدمت الفرق المشاركة عروضها على مسارح أربع مدن مصرية هي: القاهرة، الإسماعيلية، بور سعيد، والسويس، كما أقيمت على هامش المهرجان معارض للفن التشكيلي والحرف البيئية.

مختارات الفن التشكيلي السعودي تعرض بالقاهرة

استضافت صالة الهناجر في دار الأوبرا أول رحلات المعرض المتجول لمختارات الفن التشكيلي السعودي.

ضم المعرض أعمالاً قدمها خمسون فنانًا وفنانة من مناطق المملكة المختلفة. ووزع خلاله كتيب خاص أصدرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بهذه المناسبة، وتصدرته كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب التي أكد فيها النهج القويم لتقديم تلك الإبداعات السعودية لتكون جسرًا للتواصل مع الأشقاء في مصر.

يذكر أن رحلة المعرض تشمل إسبانيا، وبيروت، والولايات المتحدة، وبريطانيا، والبحرين، والإمارات العربية، وسلطنة عمان.

الفائزون بجوائز العقاد

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز العقاد الأدبية التي تقدمها جمعية العقاد الأدبية.

فاز بالجوائز التقديرية كل من: إبراهيم صبري (الشعر) عن مجمل أعماله الشعرية، ود.صلاح عبد الحافظ (النقد) عن مجمل أعماله وأبحاثه النقدية والأدبية.

ونالت الجائزة التشجيعية في مجال الشعر شريفة السيد عن ديوانها «فراشات الصمت»، بينما حجبت جائزة النقد التشجيعية.

وفي مسابقة «الأدباء الشباب» فاز كل من خالد البوهي، وممدوح سالم «أحسن قصيدة»، إيهاب نشأت، وهويدا بركات «أحسن قصة قصيرة»، محمود إبراهيم، ومصطفى سعيد «أحسن بحث أدبي».

مسابقة للدراسات النقدية في الفنون التشكيلية

أعلنت لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للثقافة عن فتح باب المشاركة في مسابقة للدراسات النقدية للفنون التشكيلية للكُتَّاب الشباب تحت سن ٣٥ عامًا. وتحددت موضوعات المسابقة في المجالات الثلاثة التالية: دور الخزف في الفنون التشكيلية المعاصرة، الرؤى الشبابية في الفن التشكيلي المصري المعاصر، ومصر في عيون المستشرقين. وتحدد يوم ١٢ رجب المقبل الموافق غرة نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٨م موعدًا نهائيًا لاستقبال الدراسات المشاركة على عنوان المجلس ٩ ش حسن صبري ـ الزمالك.

ندوة «نحو فقه معاصر لإعلام متميز»

نظمت قناة اقرأ الفضائية ندوة إعلامية في القاهرة في الفترة من (١٦-١٨) جمادى الأولى الماضي تحت عنوان «نحو فقه معاصر لإعلام متميز»، وناقشت الندوة عدة محاور، هي: «تطور الإعلام العالمي وما هيته خلال القرن المقبل»، و«تقويم الواقع الإعلامي العربي»، و«الأسس والأطر العامة للتميز الإعلامي»، وكان المحور الرابع «القواعد والمتطلبات الخاصة بالإعلام المرئي المميز».

وتضمن كل محور من هذه المحاور عدة بحوث علمية، وشارك في إعدادها ومناقشتها نخبة من الأكاديميين المفكرين والخبراء، ومن هؤلاء د. يوسف القرضاوي ود. أحمد كمال أبو المجد، ود. محمد عمارة، ود. عادل الفلاح، ود. محمد كمال الدين، ود. أحمد سيف الدين، ود.سليمان صالح، والفنان حسن يوسف، والأستاذ زهير المزيدي، ورئيس قناة اقرأ الفضائية د.عبدالقادر طاش، وأشرف على الندوة د. محمود عاكف.

كتب جديدة

مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، تأليف سان سوفاجيه وكلود كاين، ترجمه إلى العربية عبدالستار الحلوجي، وعبد الوهاب علوب، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

مذكرات إمام الدعاة، سجلها محمد زايد.

ثنائية السجن والغربة، تأليف د. فتحي عبدالفتاح.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق

نجيب محفوظ: صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته، سجلها رجاء النقاش، وصدرت عن مركز الأهرام للترجمة والنشر بمؤسسة الأهرام الصحفية.

عجائب الهند، تأليف بزرك بن شهريار، قدم له وعلق عليه يوسف الشاروني.

موجز تاريخ الاتحاد السوفياتي، تأليف روجيه جارودي، ترجمته إلى العربية نورا أمين، وصدر ضمن سلسلة آفاق الترجمة.

صدر الكتابان السابقان عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الدين الحضارة، تأليف د. محمود حمدي زقزوق، صدر ضمن سلسلة «اقرأ»

عن دار المعارف.

التعريف بالعقاد، تأليف شوقي علي هيكل، صدر في باكورة سلسلة «المكتبة العقادية الصغرى» عن جمعية العقاد الأدبية.

في مستوطنة العقاب، رواية لفرانز كافكا، نقلها إلى العربية يوسف حسين، وصدرت عن دار شرقيات.

الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، تأليف د. عبادة كحيلة، صدر ضمن سلسلة «دراسات» عن دار عين.

نقش له في ذاكرتي، مجموعة شعرية لعفت بركات، صدرت ضمن سلسلة «إصدارات الرواد» عن فرع ثقافة دمياط.

الشخصية الإسرائيلية: دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، تأليف د. محمد خليفة حسن، صدر عن مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة.

العراق

الفائزون بجوائز البياتي الشعرية

أعلنت ـ مؤخراً ـ أسماء الفائزين بجائزة عبدالوهاب البياتي الشعرية للعام الحالي.

تقدم للمسابقة سبعون شاعرًا ليس لهم مجموعات شعرية، حيث قدم كل شاعر قصيدة، وخلصت لجنة التحكيم إلى اختيار ثلاث قصائد هي: «نازحون» للشاعر العراقي عبدالخالق كيطان، و «أناشيد مبللة بالحزن» للشاعر السوري عيسى الشيخ حسن، و«ضد اليابسة أو بهاء النسيان» للشاعر المغربي مبارك الراجي

غياب رائد القصة العراقية عبدالله نوري

توفي أحد رواد القصة العراقية القاص عبدالله نوري عن عمر يناهز ٧٧ عامًا.

ولد عبدالله نوري عام ١٩٢١م، وكان مولده في غرفة الحجر الصحي بقناة السويس في مصر، وعاش في أكثر من دولة عربية وأوربية، وهو حاصل على ليسانس حقوق عام ١٩٤٤م وتنقل في وظائف السلك الدبلوماسي العراقي حتى أحيل في بداية السبعينيات الميلادية إلى التقاعد لخلافه مع النظام الحاكم.

وقد تأثر في أسلوبه القصصي بالكاتب البريطاني جيمس جويس، وبخاصة روايته «يد ليسيس» وله العديد من المؤلفات المطبوعة نذكر منها قصص «رسل الإنسانية» و«نشيد الأرض»، و«ذيول الخريف» ومسرحية «خشب ومخمل».

الأردن

من الكتب الجديدة

أغنية الرعاة، رواية لرمضان الرواشدة، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان.

المسلمون الهنود وقضية فلسطين، تأليف تيسير جبارة، صدر عن دار الشروق للنشر والتوزيع.

فلسطين

آثار مدينة كنعانية من الألف الثالثة ق.م

اكتشف فريق آثاري فلسطيني في موقع على سفح تل صوفر في الجهة الغربية من مدينة نابلس آثار مدينة كنعانية تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد.

تكمن أهمية الكشف في أنه يمثل ردًا على مزاعم الصهاينة، ويؤكد وجود دويلات قامت في تلك المنطقة ومنها دولة شكيم الكنعانية.

فصلية «الشعراء» الثقافية

صدر ـ مؤخرًا ـ العدد الأول من مجلة «الشعراء» وهي فصلية ثقافية تصدر عن بيت الشعر في رام الله.

من أهم القضايا التي ناقشها العدد بحرارة وصدق قضية «التطبيع»، إلا أن المناقشات برغم حرارتها لم تضف جديدًا في التعاطي مع تلك القضية التي ما تزال تشغل المثقف العربي في أرجاء الوطن الكبير.

و«الشعراء» بداية جيدة لنشاط نأمل أن يدوم لبيت الشعر الفلسطيني.

من الكتب الجديدة

الليلة نمشي بين الماء والرمل، مختارات قصصية للقاص محمود الريماوي، صدرت عن وزارة الثقافة الفلسطينية بالتعاون مع دار النشر للخدمات الفنية.

توجد ألفاظ أوحش من هذه، ديوان لحسين جميل برغوثي، صدر عن وزارة الثقافة.

سورية

أسرع معرض في العالم

استضافت قلعة الحصن الأثرية (٢٠٠ كيلومتر شمال دمشق) أول معرض فني يقام في قلعة أثرية بسورية وأسرعها أيضًا، حيث استمر لمدة ساعة واحدة!! كما ذكرت صحيفة البعث.

ضم المعرض قرابة أربعين لوحة لفنانين شباب دون الثلاثين عامًا. تنوعت ما بين زيتية ومائية وجرافيك.

متحف للقاطرات البخارية

ينتظر أن يفتتح في محطة القدم الحديدية بجنوب دمشق متحف للقاطرات البخارية، وأدواتها خلال شهر رجب المقبل (نوفمبر/تشرين الثاني١٩٩٨م).

يضم المتحف قطع القاطرات البخارية التي يعود تاريخها للقرن الماضي وبعض المخارط القديمة وأجهزة الهاتف القديمة التي كانت مستعملة في بداية إنشاء الخط الحديدي الحجازي في أوائل القرن الميلادي

الحالي، فضلاً عن جناح لصور الخط.

وفاة أديب النحوي

توفي - مؤخرًا - القاص والروائي أديب النحوي عن عمر يناهز ٧٨ عامًا.

ولد النحوي في مدينة حلب عام ١٩٢٠م، ودرس القانون في جامعة دمشق، والتحق بالسوربون في باريس في مطلع الخمسينيات لمتابعة التخصص، إلا أن السلطات الفرنسية لاحقته لنشاطه في تأييد ثورة الجزائر، فاضطر إلى قطع الدراسة والهرب إلى سورية، حيث صار من أقطاب المعارضة في البرلمان خلال الوحدة مع مصر، ثم حين حدث الانفصال، قاد حركة المقاومة ضده في حلب، وحكم عليه غيابيًا بالإعدام، ولما سقط الانفصال وتولى الرئيس حافظ الأسد الحكم اختاره وزيرًا للعدل، وظل في هذا المنصب قرابة أحد عشر عامًا. تفرغ بعدها للكتابة.

وللنحوي ثلاث عشرة رواية ومجموعة قصصية تميزت بغلبة الطابع السياسي عليها، وحملت أولى مجموعاته التي صدرت عام ١٩٤٨م عنوان «من دم القلب» ومن مجموعاته الأولى «كأس ومصباح».

ومن أبرز أعماله: «حتى يبقى العشب أخضر»، و«حكايا للحزن»، و«قد يكون الحب»، و«تاج اللؤلؤ»، و«سلام على الغائبين»، و«سلاح الأعزل» وغيرها. وآخر ما أصدره مجموعته القصصية «كلمة ذوي الشهيد» التي صدرت عن دار طلاس في دمشق عام ١٩٩٣م.

تمثال أثري من القرن الثاني

اكتشف في مدينة تدمر الأثرية تمثال يمثل رأسَ أسد منحوتًا من الحجر الكلسي، ويعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي.

ووجد وجه التمثال غير مكتمل نتيجة تأكل جزء منه بفعل العوامل الطبيعية والرطوبة، بينما كان فم التمثال مفتوحًا ولسانه مدلى وعلامات أنيابه واضحة، وموصولاً بقناة صغيرة إلى حوض لتجميع المياه، التي كانت تخرج من الفم.

كتب جديدة

المسألة الثقافية في العالم العربي والإسلامي، تأليف د. رضوان السيد، وأحمد برقاوي.

مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، تأليف زكي ميلاد.

صدر الكتابان السابقان عن دار الفكر العربي في دمشق.

حافة القيامة: رواية لزهير الجزائري.

ما بعد الماركسية، (مجموعة أبحاث ندوة أقيمت في لندن عام ١٩٩٥م) أعدها للنشر فالح عبدالجبار.

قصص عابرة، مجموعة قصصية لعبدالله طاهر.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار المدى.

تحفة الأنام في فضائل الشام، تأليف شمس الدين أحمد بن محمد البصروي، تحقيق عبدالعزيز فياض حرفوش، صدر عن دار البشائر.

ميت لا يموت، مجموعة قصصية لنجيب كيالي، صدرت عن منشورات وزارة الثقافة.

الحكم الأيوبي في الشرق الأوسط (١١٧٤ - ١٢٥٠م)، تأليف د. صلاح الدين شريف، صدر عن دار ماجدة للنشر في اللاذقية.

السودان

وفاة الصحفي والأديب قيلي أحمد عمر

توفي في الخرطوم في ١٧ جمادى

رسائل جامعية

«شرح مجمع البحرين وملتقى النيرين لابن الساعاتي من أول كتاب البيوع إلى نهاية كتاب الهبة»، عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في المعهد العالي للقضاء في الرياض تقدم بها خالد بن عبدالله اللحيدان.

«نظام المجلسين النيابيين وتطبيقه في إنجلترا ومصر» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد توفيق يوسف.

«المرأة العاملة والرضا الوظيفي في دولة الإمارات العربية المتحدة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة كومينوس بجمهورية سلوفاكيا، تقدمت بها شمة بنت محمد بن خالد آل نهيان.

«مدى ملاءمة المعلومات التي يتطلبها معيار العرض والإفصاح العام لخدمة قرارات الاستثمار في الأسهم»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة، تقدمت بها تغريد عدنان جلال أبو الفرج.

«القناع التراثي والتراثيون في الشعر اليمني المعاصر»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها أحمد ياسين عبدالله السليماني.

«العبارة الصوفية في الشعر العربي الحديث»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا المصرية، تقدمت بها سهير حسنين.

«العوامل البيئية وآثارها على انتشار عدوى مرض الدرن في نطاق الأسرة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الدراسات والعلوم

الأولى الماضي الكاتب الصحفي والأديب قيلي أحمد عمر الذي يعد واحدًا من أعلام الفكر والصحافة في السودان.

وهو من مواليد الخرطوم، درس في قسم الهندسة بكلية غوردون في عام ١٩٣١م، ثم انتقل إلى مصر لدراسة الحقوق بجامعة الإسكندرية، وعمل بالصحافة في مصر في صحف الدستور والأهرام والزمان.

وترجم مذكرات المارشال روميل لجريدة الأهرام، وكانت له صداقات واسعة مع رموز الصحافة المصرية.

وعمل في السودان نائبًا لرئيس تحرير صحيفة «السودان الجديد» (١٩٥٦ - ١٩٥٨م)، ثم بوزارة الاستعلامات والعمل، ورأس تحرير صحيفة الثورة في الفترة من ١٩٥٨م إلى ١٩٦٣م، وترأس قسم النشر في وزارة الإعلام، وعمل ممثلاً للجنة الدائمة للإعلام التابعة لجامعة الدول العربية في الفترة (١٩٦٣م - ١٩٦٤م)، وأسس مجلة الخرطوم الثقافية الشهرية ورأس تحريرها (١٩٦٥ - ١٩٨٢م)، وكان أول أمين عام للمجلس القومي للآداب والفنون (١٩٧١ - ١٩٧٨م)، ورأس تحرير مجلة «الأشقاء» عند تأسيسها في عام ١٩٨٦م إلى توقفها في ٣٠ يونيو /حزيران ١٩٨٩م.

وقد اهتم الصحفي الراحل بشؤون الثقافة والآداب السودانية، وكان له اهتمام واسع بالشؤون الإفريقية، وبحركة الترجمة العربية من اللغتين الإنجليزية والفرنسية اللتين كان يجيدهما، ثم تعلم الألمانية في الفترة الأخيرة.

لبنان

٣٪ فقط من شباب لبنان يقرؤون الكتب!

كشف المدير العام لوزارة الثقافة والتعليم العالي د. مطانيوس الحلبي عن أن استفتاء أجرته اليونسكو في لبنان قبل ثلاثة أعوام قد دلّ على أن ثلاثة في المئة فقط من الشباب اللبناني يطالعون الكتب!!.

وأضاف د. الحلبي الذي كان يتحدث خلال افتتاح المكتبة الثقافية في عين زحلة: أننا ننتج ثقافة غالبًا ما تكون على مستوى رفيع، ولكن هل تؤدي الثقافة دورها عندنا، وأين نحن اليوم من حال الجاحظ، أربعون عامًا لم يقم فيها ولم ينم إلا والكتاب على صدره.

وأكد أن الوزارة لن توفر جهدًا لإعادة الحياة إلى المكتبة الوطنية في بيروت التي أبصرت النور عام ١٩١٢م، وأتلفت الحرب الأهلية قسمًا مهمًا من محتوياتها وقوضت مبناها.

كتب جديدة

الحركات الإسلامية الراديكالية في مصر، تأليف رفعت سيد أحمد، صدر عن مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت.

من هو الأفغاني؟ تأليف د. محمد الحداد، صدر عن دار النبوغ.

لعنة زحل رواية لجوزيف ب. بريستلي، ترجمها إلى العربية عصام محفوظ وصدرت عن دار الفارابي.

مختار الشعر الأسترالي: إعداد وتقديم ميراي سابا، صدر باللغة العربية عن دار الجديد.

السياسة الأمريكية تجاه العرب: كيف تصنع؟ ومنْ يصنعها؟ تأليف فواز

البيئية بجامعة عين شمس، تقدم بها إمام محمد سيد موسى.

«فن المثنوي عند الشاعر سنائي الغزنوي.. دراسة فنية مقارنة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة تقدم بها يوسف عبد الفتاح فرج.

«الإنتاج الفكري المصري المعاصر لعلوم السياسة والاقتصاد.. دراسة بيليومترمية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة حلوان المصرية، تقدمت بها زينب محفوظ.

«موقع السلطة القضائية في النظام السياسي المصري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدمت بها أحلام محمد السعدي فرهود.

«قواعد البيانات الشيئية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها شريف أحمد عبدالحليم

«لغة المسرح المعاصر.. نصوص الحرب والسلام»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدم بها منصور عبدالوهاب.

«المعالجة الصحفية لقضية البطالة في الصحافة المصرية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق المصرية، تقدم بها رفعت البدري.

«مشاهدة برامج التليفزيون وتأثيرها على نمو مفهوم التراث لدى الطفل المصري»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات والبحوث البيئية بجامعة عين شمس، تقدمت بها نعمة الله سيد عبدالرحمن.

«الصور والنقوش القديمة على مقابر الملكات في الدولة القديمة بمنطقة أهرام الجيزة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة السوربون تقدمت بها سامية الملاح.

جرجس، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

أسس الوعي التاريخي عند المسلمين، تأليف د. وليد نويهض، صدر عن دار ابن حزم.

عندما يسخن الصوت، رواية د. فاتح عبدالسلام.

العباسيون في سنوات التأسيس: تفسير جديد للثورة والشرعية ونظام الحكم، تأليف عصام سخنيني.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، تأليف سالم حميش، صدر عن دار الطليعة.

المغرب

دعوة لإنشاء دار إفريقية للكتاب

أكد ٦٠ كاتبًا ومفكرًا وأديبًا إفريقيًا خلال مؤتمرهم الأول في أصيلة ضرورة خلق فرص للتواصل لتحسين علاقات التبادل الثقافي بين الكتّاب الأفارقة، وأوصوا بإنشاء دار إفريقية للكتاب في أصيلة.

وكان منتدى أصيلة الذي استضاف المؤتمر واختتم أعماله في وقت سابق قد منح الشاعر الكونغولي عرجات باتيست تاتي لوطار جائزة تشيكايا أوتامسي للشعر الإفريقي لعام ١٩٩٨م.

ولوطار من مواطني الكونغو برازافيل، وقد سبق له أن نال عدة جوائز أدبية منها جائزة سيمبا الإيطالية ١٩٧٧م، وجائزة بانا - أفريكان أوكينيو للشعر في نيجيريا ١٩٨٧م، وجائزة جمعية الكُتّاب باللغة الفرنسية ١٩٨٨م، والجائزة الكبرى لإشعاع اللغة الفرنسية ١٩٩٢م.

ملتقى عتبات

اختتم - مؤخرًا - المؤتمر الدولي للفكر والإبداع «عتبات» الذي نظمته كلية الآداب والعلوم الإنسانية في بنمسيك بالدار البيضاء.

تضمن الملتقى الذي شارك في أعماله باحثون من داخل المغرب وخارجه عدة نشاطات فكرية وأدبية وإبداعية فضلاً عن معارض تشكيلية وموائد مستديرة وعروض سينمائية وموسيقية.

مهرجان الموسيقى الأندلسية

تستضيف مدينة فاس المهرجان الدولي السابع للموسيقى الأندلسية في منتصف شهر جمادى الآخرة (٨ أكتوبر/ تشرين الأول١٩٩٨م)، ولمدة أربعة أيام.

تنظم المهرجان بلدية فاس بالتعاون مع جمعية هواة الموسيقى الأندلسية بالمغرب، ويرمي إلى إبراز التراث والموروث الفني الأندلسي، وتشجيعه مع الحفاظ على أصالته، وتقام على هامشه نشاطات ثقافية، من أبرزها: ندوة حول أنواع الزجل والموشحات وورش تطبيقية حول تقديم الموسيقى الأندلسية، وتجربة تسجيل انطولوجيا الموسيقى الأندلسية، كما يتم تكريم الفنان الراحل عبد الكريم الرايس، في الذكرى الثانية لوفاته.

يذكر أن المهرجان تشارك فيه مجموعات موسيقية من ليبيا وتونس والجزائر وفرنسا وإسبانيا فضلاً عن المغرب.

كتب جديدة

الماهية والعلاقة: نحو منطق تحويلي، تأليف علي حرب، صدر عن المركز الثقافي العربي في الدار البيضاء وبيروت.

الشعر المغربي المعاصر: عتبات التحديث، تأليف محمد الميموني، صدر عن وكالة شراع.

كشك موسيقى، مجموعة قصصية لسعيد الكفراوي، صدرت عن دار الفنك.

روايات عربية: قراءة مقارنة، تأليف سيزا قاسم، صدر عن الرابطة في الرباط.

البوسنة

ترميم جامع نذير آغا الأثري

بدأت - مؤخرًا - أعمال ترميم جامع نذير آغا الأثري في مدينة موستار، بمعرفة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وبمشاركة جهات ومنظمات عربية وعالمية.

وكان المسجد قد بني قبل أربعة قرون ونصف القرن وتحديداً في عام ١٥٥١م، وتعرض عام ١٩٤٦م للهدم، وخرب خلال حرب البوسنة، وقد تكفل حاكم إمارة الشارقة سمو الشيخ د.سلطان القاسمي بتكلفة الترميم.

السويد

أحدث الكتب

الحجر والرماد: ذكريات مثقف عربي، تأليف هشام شرابي، صدر عن دار نلسن.

كتاب الرؤيا، تأليف منعم فقير، صدر عن دار نشر أفريقيا الشرق.

روسيا

اكتشاف نقود عربية من القرن العاشر الميلادي

اكتشفت في محافظة فوفجود بوسط روسيا مجموعة قطع نقدية عربية قديمة، وقد عثر على النقود وعددها ثلاث عشرة قطعة في لقية قديمة تعود إلى القرن العاشر الميلادي.

هولندا

بدء الدراسة بجامعة روتردام الإسلامية

بدأت الدراسة في أول جامعة إسلامية تقام في مدينة روتردام وأوربا في منتصف

شهر جمادى الأولى الماضي.

أسست الجامعة مجموعة من المغتربين المسلمين تضم مغاربة وأتراكًا وفلسطينيين وصوماليين.

وتحمل الجامعة مسمى «جامعة روتردام الإسلامية» ولغة التدريس فيها الهولندية، وتسعى للمواءمة بين العيش بالهوية الإسلامية والمواطنة الهولندية، وتقبل الشهادة الثانوية العامة العربية وشهادة (VWO) الهولندية وما يعادلهما، ومدة الدراسة بالجامعة أربع سنوات مقسمة على قسمين: تمهيدي واستكمالي، وتدرس العلوم الإسلامية والمواد المعرفية العصرية.

معرض إبداعات فينيقية

اختتمت - مؤخرًا - أعمال معرض «إبداعات فينيقية» الذي استضافه متحف أمستردام للفنون.

ألقى المعرض ضوءًا على تطور الفنون الفينيقية القديمة والتقنيات الإبداعية التي أدخلت إليها على مدى قرن كامل (١٤٦٠- ١٥٦٠م)، وتنوعت المعروضات ما بين أعمال نحتية ولوحات زيتية.

بريطانيا

مركز الدراسات الإسلامية والعربية

افتتحت جامعة إكسترا مركزًا للدراسات الإسلامية والعربية، من مهامه تدريس علوم الدين الإسلامي وأصوله والثقافة العربية والإسلامية واللغة العربية والاقتصاد الإسلامي.

تأسس المركز بتمويل من الشيخ د. سلطان بن محمد القاسمي، الذي قدم منحة قدرها مليون جنبة إسترليني لتمويل المركز.

إيوان كسرى معرض للانهيار

ذكر باحث آثاري عراقي في لندن أن «إيوان كسرى» أحد أبرز الآثار في العراق وأهمها معرض للانهيار بعد أن قررت السلطات العراقية عدم صيانته.

وقال الباحث: إن إيوان كسرى أو «طاق كسرى» كما يسمى في العراق قد فقد في السنوات الأخيرة أجزاء كبيرة من سقفه وأجنحته، وأحاطته السلطات المختصة بأسلاك لمنع وصول الزوار إليه خشية أن ينهار على رؤوسهم.

ضجة حول الطبعة الجديدة لمعجم أكسفورد

أحدثت الطبعة الجديدة لمعجم أكسفورد، الذي بلغ من العمر قرابة مئة عام، ويعد المرجعية الرئيسة للغة الإنجليزية، جدلاً واسعًا في أوساط المثقفين والصحافة البريطانية لما احتواه المعجم في طبعته الجديدة من تعديلات جذرية في معالجة التراكيب اللغوية سواء للمفردات أم المصطلحات.

من النماذج التي أثارت جدلاً ما نص عليه المعجم من قبول فصل الفعل عن أداة المضارع مثل to walk بحيث تقال مثلاً to quicly walk بدلاً من to walk quickly كما اعتمد المعجم أكثر من ألفي كلمة جديدة فرضتها ظروف الحياة العصرية مثل البليرية نسبة إلى رئيس الوزراء توني بلير، والعمال الجدد، وغير ذلك.

«جاسوس النهر» و«عناقيد الغضب» يتصدران قائمة أفضل ١٠٠ رواية

اختارت مجموعة خبراء من كلية راد كليف البريطانية كتابي «جاسوس النهر» لفيتز جيرالد، ورواية «عناقيد الغضب» لشتينيك ليتصدرا القائمة الثانية لأفضل مئة كتاب مكتوب باللغة الإنجليزية في القرن العشرين.

احتل المركز الثاني قصة هاربر لي «كيف تقتل طائرًا مغردًا؟»، وقصة «اللون البنفسجي» لإليس والكر.

وكانت القائمة الأولى قد أعدتها مجموعة من المؤرخين والنقاد والناشرين بتكليف من دار نشر راندوم هاوس.

معرض لوحات ومنحوتات الأمير تشارلز

يقام حاليًا في المتحف الوطني بمدينة كارديف بمقاطعة ويلز معرض لوحات ومنحوتات يمتلكها ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز.

تعرض المقتنيات في إطار الاحتفال بالذكرى الخمسين لمولد الأمير تشارلز، وتعكس المجموعة التأثير الملكي في الفن وتأثير الفن في الملكية.

وضم المعرض بورتريهات لأميرة ويلز الراحلة ديانا، وولديها هاري ووليام، ولوحات أخرى للأمير تشارلز والملكة الأم، ومنحوتات وأعمال بريشة فنانين كبار.

معرض يحكي قصة قرنين من تاريخ الهند

استضاف المتحف البريطاني - مؤخرًا - معرضًا فنيًا يؤرخ للفترة من عام ١٦٠٠ - ١٨٦٨م من تاريخ الهند.

تضمن المعرض رسومات ولوحات ومنحوتات تعكس تاريخ الهند وتقاليدها وطقوسها وبيئتها خلال تلك الفترة، ومن المقرر أن يتنقّل المعرض بين عدة مدن بريطانية.

أحدث الكتب

النبي: عصر جبران خليل جبران وحياته، ببليوجرافيا أعدها روبين روتر فيلد، صدرت عن مطبعة بنجوين.

من أجل حب ويلي، رواية لأجنس أوبنز، صدرت عن دار بلومز بري.

تعليق «كتاب شامل عن الشاعر. و. هـ. أودن» تأليف جون فولر، صدر عن دار فيبر اند فيبر.

المعجزة الخامسة، تأليف بول ديفيز، صدر عن دار نشر ألين لين.

فن جديد. عالم جديد، تأليف مرجريت جارليك، صدر عن دار نشر بيل.

الولايات المتحدة

مؤتمر للدراسات النوبية

استضاف متحف الفن في مدينة بوسطن مؤتمرًا دوليًا للدراسات النوبية شارك في أعماله ممثلون لنحو ثلاثين دولة من مختلف أنحاء العالم منها مصر.

ناقش المؤتمر الذي اختتم أعماله في مطلع شهر جمادى الأولى الماضي حضارة النوبة القديمة وتاريخها وآثارها على مر العصور، كما تناول أكبر عملية إنقاذ للآثار في العالم التي تمت في منطقة النوبة في حقبة الستينيات الميلادية بمساهمة عالمية وحملة نظمتها اليونسكو لإنقاذ آثار النوبة من الغرق بعد إنشاء السد العالي، وهي الحملة التي تمخض عنها انتشال مئات من الآثار كانت مهددة بالغرق. وصارت - فيما بعد - نواة لمتحف النوبة.

أحدث الكتب

سوندهايم: الإنسان والمبدع، تأليف ميريل سكرتيش، صدر عن دار نشر كنوف.

نفوس مذنبة، رواية لدوروثي لويس، صدرت عن دار نشر بالونتين.

نساء عربيات في الولايات المتحدة الأمريكية، تأليف إيفلين شاكر، صدر عن دار نشر برايجر في كونكتيك.

فرنسا

معرض «مجد الإسكندرية» يواصل تجواله

انتقل معرض «مجد الإسكندرية» للفنون والآثار المصرية من باريس إلى مدينة أغد الفرنسية في منتصف شهر جمادى الأولى الماضي.

وكان الرئيسان حسني مبارك وجاك شيراك قد افتتحا المعرض في باريس قبل ثلاثة أشهر في إطار الاحتفال ب «عام مصر» في فرنسا، الذي يعقد تحت شعار «آفاق مشتركة على مشارف القرن الحادي والعشرين» وتستضيف مختلف مدن فرنسا نشاطاته المتنوعة.

يذكر أن معرض «مجد الإسكندرية» يضم نحو سبعين قطعة أثرية تحكي قصة تسعمئة عام من تاريخ تلك المدينة العريقة، واختيرت معروضاته من مخازن الآثار ومتاحف الإسكندرية والقاهرة، ومن أبرزها تمثال بطليموس الأول الذي يزن ١٤ طنًا من دون الرأس.

أحدث الكتب

الافتتان بمصر، تأليف أحمد يوسف.

تركيا بين عوالم ثلاثة، تأليف مارسيل بازين.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر هارتمان في باريس.

مذكرات على هامش فلسطين وغزة والضفة الغربية، تأليف دانيال سالوناف، صدر عن دار نشر ستوك.

النيران المستعرة، (دراسة كتبت أصلاً باللغة الإيطالية عن حياة الشاعر الروسي بوشكين» تأليف سيرينا فتيال، ترجمها إلى الفرنسية ميشو باتريو، وصدرت عن دار نشر بلون.

إسبانيا

مؤسسة الثقافات المتوسطية

صدرت موافقة السلطات المختصة على إنشاء مؤسسة ثقافية بجنوب إسبانيا تحت مسمى «مؤسسة الثقافات المتوسطية الثلاث: الإسلام، اليهودية، المسيحية».

تهدف المؤسسة كما جاء في وثيقة إشهارها إلى إقامة حوار دائم يقوم على التسامح بين الثقافات المتوسطية، وجعل حوض البحر المتوسط منطقة سلام واستقرار.

ألمانيا

وفاة شيخ الصحافيين العراقيين

توفي في برلين - مؤخرًا - شيخ الصحافة العراقية الكاتب الصحفي محمد حسن الصوري، إثر نوبة قلبية عن عمر يناهز ٩٠ عامًا.

ويعد الصوري من رواد الصحافة العراقية حيث أصدر في الثلاثينيات الميلادية جريدة «الحضارة» في النجف. كما أغنى المكتبة الأدبية العربية ببحوثه ودراساته المتنوعة.

بيع الكتب بالإنترنت

بدأت مجموعة برتلسمان للإذاعة المسموعة والمرئية في عملية لبيع الكتب على الإنترنت في أوربا والولايات المتحدة تحت مسمى «بوكس لون لاين».

وخصصت المجموعة ملايين من الماركات الألمانية لهذا الغرض، بهدف أن تتمكن من منافسة مؤسسة أمازون الأمريكية في هذا المجال.

من أحدث الكتب

الإرهاب الشيوعي في أوربا الشرقية، تأليف هرمان فير وأولريش مالرت، صدر عن دار نشر شونينج في مدينة باد بورن.

بولندا

وفاة الشاعر زبيجنوي هربرت

توفي الشاعر والأديب زبيجنوي هربرت، الذي يعد أحد أهم أدباء بولندا منذ الحرب العالمية الأولى.

وزبيجنوي شاعر وكاتب مسرحي وناقد أدبي، قدم أولى رواياته عام ١٩٥٦م، بعنوان «حبل الضوء» وتناول في أولى مسرحياته «كهف الفلاسفة» قصة وفاة الفيلسوف الإغريقي سقراط. ومن أشهر مؤلفاته ديوانه «السيد كوجيتو» و«مختارات من الشعر البولندي».

سر صعوبة إملاء اللغة الإنجليزية

د. محمد قاسم هرموش

تذكرت من خلال مطالعاتي عن موضوع الخطأ الإملائي باللغة الإنجليزية، مشهدًا ما زال عالقًا في ذاكرتي من الزيارة التي قمت بها في الثمانينيات إلى قسم اللغة الإنجليزية في جامعة لستر، حيث كنت آنذاك أحضر لنيل الدكتوراه، وهذا المشهد كان لسكرتيرة قسم اللغة الإنجليزية في تلك الجامعة، حيث إنني كنت أجلس بالقرب منها منتظرًا مقابلة شخص ما، وكانت هذه السكرتيرة التي بدت لي في الأربعين من عمرها تعكف على طباعة صفحة مكتوبة باللغة الإنجليزية عندما دخلت إلى هذا المكان، وكانت تستعمل آلة كاتبة عادية، ربما كهربائية، ولكني أذكر تمامًا بأنها لم تكن جهاز كمبيوتر، والذي لفت نظري هو أن هذه السكرتيرة الإنجليزية الأصل، كانت تعيد تدقيق كل كلمة تنتهي من ضربها على الآلة الكاتبة، وذلك من خلال قاموس ضخم كان تحت يدها اليسرى. جال في خاطري في تلك اللحظة سؤال وحيد: « هل الإنجليز لا يجيدون الكتابة في لغتهم»؟ أوبكلمة أخرى، هل هناك صعوبة بالغة في إتقان إملاء اللغة الإنجليزية حتى عند المثقفين الإنجليز أنفسهم، ولكن من خلال خبرتي التي اكتسبتها من خلال تدريس مادة الإنشاء باللغة الإنجليزية في جامعات مختلفة توصلت إلى قناعة بأن إملاء اللغة الإنجليزية ليس سهلاً، أو بكلمة أخرى ربما لا نجد شخصًا أجنبيًا عن اللغة أو صاحب اللغة نفسها يكتب أو يستعمل اللغة الإنجليزية من دون الوقوع في خطأ إملائي من نوع ما.

وتبين البحوث والدراسات المتعددة التي أجريت في هذا المجال بأن نسبة الأخطاء الإملائية في كتابات الطلاب المؤهلين للدخول إلى جامعة كامبردج عام ١٩٧٦م بلغت ١,٥٪(١) وفي عام ١٩٦٦م قامت مجموعة من الباحثين بإدخال ٣٠٠ قاعدة إملائية بالكمبيوتر بهدف إيجاد برنامج متطورللكتابة، ولكن التجربة أخفقت عندما فشل الكومبيوتر بكتابة نصف الكلمات التي أدخلت فيه بعد البرمجة(٢) فهذه الأمثلة وسواها لا تدع مجالاً للشك في صعوبة إملاء اللغة الإنجليزية، ولدى البحث عن الأسباب تبين، بالإضافة إلى العوامل الشخصية، أن هناك عوامل أساسية ناتجة عن طبيعة تركيب اللغة الإنجليزية تقود الكاتب أو مستعمل هذه اللغة، إلى منزلق يؤدي للوقوع بالخطأ. فقد توصل الباحثون الذين تصفحوا تاريخ هذه اللغة إلى قناعة مفادها أن إملاء الإنجليزية غير منطقي(٣)، ولا يرتكز على أسس وقواعد شاملة يعتمد عليها المتعلم لهذه اللغة وذلك للوصول إلى كتابة إنجليزية خالية من الأخطاء الإملائية، فلو نظرنا إلى الوراء قليلاً لأدركنا بأن اللغة الإنجليزية هي بالأصل ليست من شريحة واحدة، أو لبنة واحدة، بل هي خليط من لغات مختلفة في التركيب ومتنوعة بالنطق والمفهوم، أوجدتها الظروف الاجتماعية والسياسية على مدى مراحل زمنية طويلة ومتعاقبة كان من أبرزها الاحتلال النورماندي للجزيرة عام ١٠٦٦م. من أهم اللغات التي شاركت أو أثرت في بناء اللغة الإنجليزية التي نعرفها الآن:

- الإنجليزية القديمة التي تعرف الآن باللغة الساكسونية والتي تحوي مفردات من اللغات الجرمانية «الألمانية، والإسكندنافية، والهولندية»، وأيضًا اللغة الفرنسية القديمة.
- الفرنسية التي حملها إلى الجزيزة النورمانديون إبان الاحتلال.
- اللاتينية المعدلة التي دخلت إلى الجزيرة من خلال بعض المفردات الفرنسية.
- اللاتينية الأصلية والرومانية الأصلية.
- الإغريقية «اليونانية» المعدلة.
- الفرنسية الحديثة.
- لغات مختلفة أخرى(٤).

ومن الواضح في اللغة الإنجليزية التي نتعلمها في الوقت الحاضر، أن كثيرًا من مفردات هذه اللغات الأجنبية التي شاركت في هذا الخليط تحدت الزمن وحافظت على أصالتها وانتمائها إلى اللغة الأم، ومثال ذلك اللغة اللاتينية التي ما زالت حية في جذور اللغة الإنجليزية المعاصرة من خلال مفرداتها التي ما زالت تكتب كما لو كانت في اللغة الأم، هناك أيضًا مفردات كثيرة من هذه اللغات استطاع الإنجليز إخضاعها لسيطرتهم فأصبحت إنجليزية في النطق وأجنبية في الكتابة تتمثل في جزء من مفردات فرنسية مكتسبة. هناك أيضًا جزء كبير من مفردات اللغة الفرنسية المكتسبة والتي تؤلف الآن ركنًا أساسيًا من أركان اللغة الإنجليزية، حافظت على أصالتها وما زالت فرنسية في النطق والكتابة. يكفي القول: إن أكثر من عشرة آلاف مفردة فرنسية دخلت قاموس اللغة الإنجليزية في الفترة من ١١٥٠ إلى ١٥٠٠م، وإن ٧٠٪ من هذه المفردات ما زالت تستعمل في اللغة الإنجليزية المعاصرة(٥) يجب علينا ألا ننسى أن هناك مفردات إنجليزية أصلية استطاعت أن تتسلل إلينا وهي ما زالت بثوبها القديم خارج نطاق سيطرة القواعد الإملائية المعروفة.

وهكذا رأينا من خلال هذا العرض السريع الموجز أن كثيرًا من المفردات التي ساهمت أو شاركت في بناء ما يسمى الآن اللغة الإنجليزية بقيت خارج القواعد الإملائية وما زالت تعدّ مصدرًا من مصادر الإزعاج لكل من يتعلم هذه اللغة.

المراجع

1-ALAN M. WING AND ALAN D. BADDELEY, "SPELLING ERRORS IN HANDWRITING A CORPUS A DISTRIBUTIONAL ANALYSIS" IN COGNITIVE PROCESSES IN SPELLING, ED. UT A FRITH, LONDON: ACADEMIC PRESS, 1980, P.285.
2- A. FJORM THE PSYCHOLOGY OF READING AND SPELLING, LONDON, 1983, P.96.
3- EDNA L. FURNESS, GUIDE TO BETTER ENGLISH SPELLING, U.S.A, 1990. P.24.
4- W. A. CRAIGIE, ENGLISH SPELLING ITS RULES AND REASONS, NEW YORK 1927. PREFACE.
5- ALBERT C. BAUGH, THOMAS CABLE, A HISTORY OF THE ENGLISH LANGUAGE, LONDON: ROUTLEDGE & KEGAN PAUL, 1981. P.178.

www.alhaitareekh.com



الأمثال عند العرب طبيعتها ومنهج دراستها

بحث لتيسير أمر قراءة المثل، بوصف الأمثال دالة على الوعي الحضاري للشعوب، لأنها تحمل صورة حية للأحوال الحضارية «التي يحياها الناس». وقد وقف الباحث الدكتور عبدالكريم محمد حسين، خلال معالجته لموضوع البحث، عند المعنى اللغوي والاصطلاحي للأمثال، كما درس نتائج أقوال العلماء بما يوضح طبيعة الأمثال وخصائصها مسترشداً بما سلف، وبيّن الفرق بين المثل وكل من الحكمة والنادرة والمماثلة، وعمود الشعر.

كما وقف الباحث عند مورد المثل ونصه ومضربه، وهو ما يوسم بأركان المثل، وأعقب ذلك بحديث عن أنواع المثل، ووظائفه، وهو يقول: «إذا كانت دراسة خصائص المثل تعني الدخول في ماهيته أو جوهره مما يُعد واجباً علمياً لابد منه، فإن دراسة منهج الأمثال محاولة لتيسير أمر قراءة المثل لمن كان راغباً في ذلك من طلاب العلم»، ومن هذا المنطلق يلج في الكشف عن منهج دراسة الأمثال وتذوقها وفقاً لأربعة أسس، الأول: مورد المثل وفيه مناسبة المثل وقائله، ونصه، وتوثيقه، الثاني: خصائص المثل، في لغة المثل وفي معانيه، وفي انفعاله، وفي صوره، الثالث: مضرب المثل، الرابع: مغزى المثل وعلاقته بحياتنا المعاصرة.

وأتبع البحث بملحقين من الأمثال، وقد تخير الأول من كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي، وتخير الثاني من كتاب حياة الحيوان الكبرى، للدميري.

الكتاب يقع في ١٣٩ صفحة من القطع المتوسط وهو الإصدار رقم ٥٤ من منشورات مركز المخطوطات والتراث الثقافي بالكويت.



العلاقة بين العلماء والناس

موضوع هذا الكتاب بحث من بحوث قضايا الرأي العام، فقد قام الدكتور سيد محمد ساداتي الشنقيطي بدراسة العلاقة بين العلماء وعامة الناس في أطوارها المختلفة، وعرض لما ينبغي أن تكون عليه هذه العلاقة في حالتها السوية. كما عرض للحالة التي عليها تلك العلاقة في الوقت الراهن، من حيث كونها لم تعد بالحالة السوية التي كانت عليها في أيام السلف الصالح.

وقام الباحث بتشخيص الحالة، أي الخلل الذي اعتور العلاقة بين العلماء والناس، من خلال بيان أسبابها، وتقديم شواهد من المظاهر التي تدل عليها، والآثار التي ترتبت على الخلل.

وخلص البحث إلى نتائج للتوصل بها إلى ما يمكن أن يكون سبيلاً لعلاج الخلل في العلاقة بين العلماء والعامة، وهو يرى أن علاج هذا الأمر يبنى على خمسة أسس، الأول: بناء الثقة بين العلماء، والحكومات في العالم الإسلامي، الثاني: بناء الثقة بين العلماء والناس، الثالث: إتاحة الفرصة للعلماء للقيام بدورهم في إصلاح الحياة، الرابع: إشراك العلماء في المسائل العامة، والاهتمام برأيهم في إدارة شؤون الحياة، الخامس: تطهير وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، وإصلاحها حتى تصبح أدوات حقيقية في إشاعة العلم الصحيح والفكر النير والسلوك المستقيم.

الكتاب يقع في ١٤٢ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ضمن سلسلة الكتاب الإسلامي.



التصوير بالكلمات

عرضت المؤلفة ناديا سلطان، رؤية، «مشروع دراسة»، للصورة الفنية في القرآن الكريم، من خلال تسليط الضوء على جملة من الآيات القرآنية، وتقديم قراءة متأنية للسياق القرآني ومضامين الآيات والرؤية الفنية لمعالجة كل موقف بالتوظيف المناسب والمتطابق للكلمات والعبارات.

استحضرت المؤلفة خلفيتها العلمية، لكونها مهندسة معمارية وفنانة تشكيلية، في استخراج أبعاد «التصوير بالكلمات» ومقاصده ودلالاته، وعالجت موضوع الكتاب في أحد عشر فصلاً. ففي مقدمة الكتاب «أفكار مسموعة» عرضت تجربتها في التوصل إلى تحقيق الانسجام مع المنهج الإسلامي، وناقشت كيفية تولد رؤية جديدة لديها للكون، ولما أبدعه الله فيه من مخلوقات.

في الفصل الأول من الكتاب عرضت المؤلفة رؤية شاملة للكون بوصفه معرضاً ربانياً، وفي الفصلين الثاني والثالث ناقشت عناصر الصورة الفنية في القرآن: توظيف الشكل، والظل، واللون، واستخدام المعنى بوصفه العنصر الرابع.

وفي الفصول من الرابع إلى التاسع، تناولت أساليب تصوير المعاني في القرآن الكريم وصنفتها إلى خمسة أساليب: الأسلوب الساخر، وأسلوب تصوير الوجوه، والأسلوب الرمزي، والأسلوب الواقعي، وفيها أوردت أمثلة ونماذج من قصة البشرية، وقصة أهل الكهف، وقصة بني إسرائيل، أما الأسلوب الخامس فهو الأسلوب فوق الواقعي «السريالي»، استنبطت المؤلفة نماذج هذا الأسلوب من القصص الواردة في القرآن حول: الكون، والنوم والطعام، والخلق..

وفي الفصل العاشر أشارت إلى جملة من الاستنتاجات توصلت إليها بشأن مكونات الصورة الفنية في القرآن الكريم، وذكرت أن ثمة ثلاثة عناصر إضافية تفصح عنها الصورة القرآنية، وهي عنصر الحركة، وعنصر الموسيقى، وعنصر الإضاءة، وأوردت أمثلة واستشهادات لكل عنصر من هذه العناصر. وجاء الفصل الحادي عشر مشتملاً على إيجاز لرؤية المؤلفة التي اختتمت بحثها بإيراد ثبت المصادر والمراجع.

الكتاب يقع في ٢٤٤ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع في دمشق.

أطلس تاريخ الأنبياء والرسل

يرمي هذا الإصدار إلى التعريف بالحضارات القديمة، وبالأنبياء والرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم، وذلك بالاستناد إلى الأساليب التربوية المعاصرة، وباستخدام الوسائل التعليمية من خرائط وصور ورسومات وجداول وشروح. يقول المؤلف سامي بن عبدالله ابن أحمد المغلوث: إن ما دعاه لإعداد هذا الأطلس هو ما لمسه خلال تدريسه مناهج التاريخ في المرحلتين المتوسطة والثانوية من استصعاب كثير من الطلاب فهم مادة التاريخ على وجه الخصوص، لاندثار دولها، وصعوبة مسمياتها، إضافة إلى ندرة الوسائل التعليمية المتعلقة بتلك الأزمان.

وقصد المؤلف من عرض المادة العلمية للأطلس تبسيط الموضوعات وتقريب المادة العلمية للأذهان. وجعل الأطلس في خمسة أبواب، كتب في الباب الأول مدخلاً عن تطور الخريطة. وتناول في الباب الثاني حقيقة الكون والإنسان في الكتاب والسنة، مكان هبوط آدم وزوجه، ذرية آدم، خصائص جزيرة العرب. وخصص الباب الثالث للتعريف بالأنبياء والرسل، قوم نوح عليه السلام، وذرية نوح، أنبياء جزيرة العرب. بينما جاء الباب الرابع عن المسجد الأقصى والأرض المقدسة في عهد أنبياء بني إسرائيل. وضم الباب الخامس جدولاً زمنياً تقريبياً لأهم الأحداث الكبرى التي عاصرت الأنبياء والرسل صلوت الله وسلامه عليهم. كما ضم هذا الباب بعض الشواهد المادية التي عاصرت الأنبياء والرسل، والأوضاع العامة قبل الرسالة الخاتمة، وفصلاً عن محمد صلى الله عليه وسلم. وألحق بالأطلس فهرساً للموضوعات، وآخر للمصادر والخرائط والجداول التي وردت فيه.

يقع الأطلس في ١٧٦ صفحة من القطع الكبير، وقد صدر عن مكتبة العبيكان في الرياض.

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٦٤
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ

أي إن ما وقع سيزول، فتقشُّعُ السّحاب يعني تفرقه وزواله.

والمعروف أن سحاب الشتاء بطيء لأنه مملوء بالمطر، بعكس سحاب الصيف، فهو خفيف، سريع التفرق، سريع الزوال، لهذا اعتادت العرب أن تقول توقعًا لزوال حدث أو أمر ما.. سحابة صيف عن قليل تقشع.

حكيم

يحكى أن أحد الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرًا فلم يصل إليه، فكتب أربعة أسطر في ورقة ودفعها للحاجب، فكتب في السطر الأول:

العديم ـ أي المعدم ـ لا يكون معه صبر على المطالبة.

وفي السطر الثاني: الضرورة والأمل أقدماني عليك.

وفي السطر الثالث: الانصراف من غير فائدة شماتة الأعداء!

وفي السطر الرابع: أما نعم فمثمرة، وأما لا فمريحة!

فلما قرأها كسرى، قال هذا حكيم، أحضروه! ودفع له في كل سطر ألف دينار. وأصدر إلى حراس قصره بإدخاله عليه في أي وقت يشاء!!

ظننتك ساهرًا

يروى أن امرأة عجوزًا دخلت على السلطان سليمان القانوني وشكت له جنوده الذين سرقوا منها ماشيتها بينما كانت نائمة بمنزلها. فقال لها السلطان مؤنبًا: كان عليك أن تسهري على مواشيك لا تنامي! فرمقته العجوز وأجابت على تأنيبه: ظننتك ساهرًا علينا يا مولاي فنمت مطمئنة البال. فقال السلطان: معك حق! وسأعمل على رد ما سرق منك!

قالوا

يا بني إياك ومصادقة الكذاب، فإنه كسراب، يقرب إليك البعيد، ويبعد عنك القريب. «الإمام علي» كرّم الله وجهه.

إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من وخز الإبر، وأمر من الصبر، وأحر من الجمر. «لقمان الحكيم»

المال يستر رذيلة الأغنياء، والفقر يغطي فضيلة الفقراء.

«الإمام علي» رضي الله عنه.

الطريق المفروش بالرياحين لا يؤدي إلى المجد. «لافونتين»

من يبحث عن المساواة فليذهب إلى المقبرة. «مثل ألماني»

خير الخلال حفظ اللسان. «مثل عربي»

على الباغي تدور الدوائر. «مثل عربي»

أفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره. «الجاحظ»

عندما يتكلم المال، يصمت الصدق. «مثل روسي»

علامة الإيمان

قيل لرجل صالح: ما علامة الإيمان؟ قال: حسن الخلائق، واتباع الحقائق، وبذل المرافق، وحفظ العهود والمواثق، والتسليم للقدر السابق.

فقيل له: وما علامة المنافق؟ قال: نقض العهد، وخلف الوعد، ومنع الرفد، والكذب في الهزل والجد.

فقيل له: ففيم النجاة؟ قال: عمل مبرور، وقلب صبور، ولسان شكور، وإدخال السرور، والرضى بالمقدور. قيل: ففيم الهلكة؟ قال: كثرة الفجور، واقتحام الشرور، ومطاوعة الغرور، وعصيان الغفور.

السمعة وحسن الخلق

قيل للكاتب والمفكر الإنجليزي «توماس بين» يومًا، صف لنا الفرق بين السمعة وحسن الخلق، فقال: هذا حسن والسؤال جيد!... أما عن السمعة، فهي ما يعتقده الرجال والنساء فينا!.. أما الخلق، فهو ما يعرفه الله والملائكة عنا!!

طلبنا.. فوجدنا

قال شفيق البلخي لعدد من مستمعيه أثناء وعظه لهم: طلبنا خمسًا فوجدناها في خمس

طلبنا النور في القبر فوجدناه في قيام الليل

وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن الكريم.

وطلبنا الريّ يوم القيامة، فوجدناه في صيام النهار.

وطلبنا الجواز على الصراط فوجدناه في الصدقة.

وطلبنا البركة في الرزق، فوجدناه في صلاة الضحى.

لا تفعل مثلهم

يروى أن أعرابيًا ذهب إلى وهب بن منبه وقال له: إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه من دسيسة فما المخرج؟ فقال وهب: لا تفعل مثلهم!، فإنك تحتاج إلى الناس، والناس يحتاجون إليك.. ولكن كن فيهم أصم سميعًا، وأعمى بصيرًا، وسكوتًا نطوقًا!! وعندئذ يمكن لك أن تقضي حوائجك منهم، وأن يقضوا حوائجهم منك، وأنت بعيد عن الدس والشر!

رجل مجهول

يروى أن رجلاً كان يأتي في ظلام الليل، إلى بيت امرأة مسلمة فقيرة، ويطرق الباب، وما إن تفتح حتى« يقدم لها شيئًا ويبتعد مسرعًا.. وقد تكرر ذلك عدة مرات! وذات ليلة، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يمر في شوارع المدينة، وشاهد ما يحدث، وكان وقتها مهاجرًا ـ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فسأل المرأة قائلاً: من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة، فتخرجين إليه، فيعطيك شيئًا لا أدري ما هو؟ فقالت: إنه رجل من المسلمين، قد علم أنني وحيدة، فهو يخرج كل ليلة في المساء، ويحطم أصنام قومه الكفرة المصنوعة من الخشب.. ثم يأتي بحطامها كي استخدمها وقودا لصناعة الخبز!!

عند الله تجتمع الخصوم

يروى أن هارون الرشيد غضب يوما على أبي العتاهية ـ وهو شاعر كبير ـ فحبسه وجعل عليه ما يتنصت عليه ويكتب إليه بما يقول، فكتب الرجل إلى الرشيد بأنه سمعه يقول:

أما واللهِ إن الظلم لوم
وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديّانِ يومِ الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم!

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....

مسابقة مجلة

الفيصل

١- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٦١

ج١: ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في «الوليد بن عقبة بن أبي معيط» حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق، منها:

ما رواه الإمام أحمد عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله أرجع إليهم، فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، وترسل إليَّ يا رسول الله رسولاً إبّان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبّان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول، ولم يأته، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله، فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقّت لي وقتًا يرسل إليَّ رسوله، ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخُلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا بنا نأت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليدَ بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِق - أي خاف - فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه، وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بُعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال رضي الله عنه: لا، والذي بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته بتة، ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟» قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني. وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، خشيت أن يكون سخطة من الله تعالى ورسوله. قال: فنزلت الحجرات: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا - إلى قوله - حكيم. ج٢: هو تشارلز ديكنز (١٨١٢-١٨٧٠م): روائي إنجليزي، ومن أعظم الكتاب الإنجليز. من أشهر رواياته: «أوراق بكويك» ١٨٣٦-١٨٣٧م، و«أوليفر تويست» ١٨٥٠م، و«الأوقات العصيبة» ١٨٥٤م، و«قصة مدينتين» ١٨٥٩م، وقد تُرجمت إلى العربية. كما كتب ديكنز القصص القصيرة أيضًا. تتميز رواياته بالوصف الدقيق للشخصيات، وللحياة الاجتماعية، كما تتميز بما فيها من نزعة عاطفية، وانتقاد للشرور الاجتماعية.

نتائج مسابقة العدد ٢٦١

أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، يوسف كايد زحيمان، النبك، سورية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، سناء ناصر سليمان العريفان، الجهراء، الكويت.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، أحمد زاهر قفص، أنقرة، تركيا.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- محمد أحمد أحمد الشرعبي، صنعاء، اليمن.

٢- سلمان عايض الشاهين، العيون، المملكة العربية السعودية.

٣- مصطفى حبيلين بن فؤاد، دمشق، سورية.

٤- بخيتة علي الشيخ محمد، كرري، السودان.

٥- هدى بنت المنوبي إسحيق، بنزرت، تونس.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- عبدالرحمن صالح خضر، رام الله، فلسطين.

٢- خالد نور الدين، بو زريعة، الجزائر.

٣- هناء مسعد خليل، بور سعيد، مصر.

٤- ست الحسن محمد الحريري، دبي، دولة الإمارات العربية.

٥- إبراهيم الركوني، العرائس، المغرب.

٦- محمد شفيق عبدالله حيمور، عمّان، الأردن.

٧- حسن إبراهيم حمدنا، كسلا، السودان.

٨- منذر محمد محمود عللوه، أبها، المملكة العربية السعودية.

٩- حواء صالح عبدالكريم، الحد، البحرين.

١٠- أحمد ولد أمحمد السالك ولد أمعييف، نواكشوط، موريتانيا.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- فاطمة جابر جاسم سالم، الدوحة، قطر.

٢- عبدالعزيز محمد عبدالله ميغا، باماكو، مالي.

٣- أبو الخير أحمد عبدالله مزيد، سوهاج، مصر.

٤- ليلى علي محاسنة، عمّان، الأردن.

٥- عبدالمنعم الشبري، القنيطرة، المغرب.

أسئلة مسابقة العدد ٢٦٤

س١: آية الكرسي لها شأن عظيم، وقد صحَّ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل آية في كتاب الله عز وجل. اذكر ثلاثة أحاديث في فضلها.

س٢: أحد أمراء المرابطين. أسس مدينة مراكش واتخذها عاصمة له. انتصر على الإسبان في موقعة «الزلاقة». فمن هو؟

ويأتيك بالأمثال

سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ

أي إن ما وقع سيزول، فتقشُّع السَحاب يعني تفرقه وزواله.

والمعروف أن سحاب الشتاء بطيء لأنه مملوء بالمطر، بعكس سحاب الصيف، فهو خفيف، سريع التفرق، سريع الزوال، لهذا اعتادت العرب أن تقول توقعًا لزوال حدث أو أمر ما.. سحابة صيف عن قليل تقشع.

حكيم

يحكى أن أحد الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرًا فلم يصل إليه، فكتب أربعة أسطر في ورقة ودفعها للحاجب، فكتب في السطر الأول:

العديم - أي المعدم - لا يكون معه صبر على المطالبة.

وفي السطر الثاني: الضرورة والأمل أقدماني عليك.

وفي السطر الثالث: الانصراف من غير فائدة شماتة الأعداء!

وفي السطر الرابع: أما نعم فمثمرة، وأما لا فمريحة!

فلما قرأها كسرى، قال هذا حكيم، أحضروه! ودفع له في كل سطر ألف دينار. وأصدر إلى حراس قصره بإدخاله عليه في أي وقت يشاء!!

ظننتك ساهرًا

يروى أن امرأة عجوزًا دخلت على السلطان سليمان القانوني وشكت له جنوده الذين سرقوا منها ماشيتها بينما كانت نائمة بمنزلها. فقال لها السلطان مؤنبًا: كان عليك أن تسهري على مواشيك لا تنامي! فرمقته العجوز وأجابت على تأنيبه: ظننتك ساهرًا علينا يا مولاي فنمت مطمئنة البال. فقال السلطان: معك حق! وسأعمل على رد ما سرق منك!

قالوا

يا بني إياك ومصادقة الكذاب، فإنه كسراب، يقرب إليك البعيد، ويبعد عنك القريب. «الإمام علي» كرّم الله وجهه.

إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من وخز الإبر، وأمر من الصبر، وأحر من الجمر. «لقمان الحكيم»

المال يستر رذيلة الأغنياء، والفقر يغطي فضيلة الفقراء.

«الإمام علي» رضي الله عنه.

الطريق المفروش بالرياحين لا يؤدي إلى المجد. «لافونتين»

من يبحث عن المساواة فليذهب إلى المقبرة. «مثل ألماني»

خير الخلال حفظ اللسان. «مثل عربي»

على الباغي تدور الدوائر. «مثل عربي»

أفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره. «الجاحظ»

عندما يتكلم المال، يصمت الصدق. «مثل روسي»

علامة الإيمان

قيل لرجل صالح: ما علامة الإيمان؟ قال: حسن الخلائق، واتباع الحقائق، وبذل المرافق، وحفظ العهود والمواثق، والتسليم للقدر السابق.

فقيل له: وما علامة المنافق؟ قال: نقض العهد، وخلف الوعد، ومنع الرفد، والكذب في الهزل والجد.

فقيل له: ففيم النجاة؟ قال: عمل مبرور، وقلب صبور، ولسان شكور، وإدخال السرور، والرضى بالمقدور. قيل: ففيم الهلكة؟ قال: كثرة الفجور، واقتحام الشرور، ومطاوعة الغرور، وعصيان الغفور.

السمعة وحسن الخلق

قيل للكاتب والمفكر الإنجليزي «توماس بين» يومًا، صف لنا الفرق بين السمعة وحسن الخلق، فقال: هذا حسن والسؤال جيد!... أما عن السمعة، فهي ما يعتقده الرجال والنساء فينا!.. أما الخلق، فهو ما يعرفه الله والملائكة عنا!!

طلبنا.. فوجدنا

قال شفيق البلخي لعدد من مستمعيه أثناء وعظه لهم: طلبنا خمسًا فوجدناها في خمس

طلبنا النور في القبر فوجدناه في قيام الليل

وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن الكريم.

وطلبنا الريّ يوم القيامة، فوجدناه في صيام النهار.

وطلبنا الجواز على الصراط فوجدناه في الصدقة.

وطلبنا البركة في الرزق، فوجدناه في صلاة الضحى.

لا تفعل مثلهم

يروى أن أعرابيًا ذهب إلى وهب بن منبه وقال له: إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه من دسيسة فما المخرج؟ فقال وهب: لا تفعل مثلهم!، فإنك تحتاج إلى الناس، والناس يحتاجون إليك.. ولكن كن فيهم أصم سميعًا، وأعمى بصيرًا، وسَكُوتًا نَطُوقًا!! وعندئذ يمكن لك أن تقضي حوائجك منهم، وأن يقضوا حوائجهم منك، وأنت بعيد عن الدس والشر!

رجل مجهول

يروى أن رجلاً كان يأتي في ظلام الليل، إلى بيت امرأة مسلمة فقيرة، ويطرق الباب، وما إن تفتح حتى« يقدم لها شيئًا ويبتعد مسرعًا.. وقد تكرر ذلك عدة مرات! وذات ليلة، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يمر في شوارع المدينة، وشاهد ما يحدث، وكان وقتها مهاجراً - بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فسأل المرأة قائلاً: من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة، فتخرجين إليه، فيعطيك شيئًا لا أدري ما هو؟ فقالت: إنه رجل من المسلمين، قد علم أنني وحيدة، فهو يخرج كل ليلة في المساء، ويحطم أصنام قومه الكفرة المصنوعة من الخشب.. ثم يأتي بحطامها كي استخدمها وقودا لصناعة الخبز!!

عند الله تجتمع الخصوم

يروى أن هارون الرشيد غضب يوما على أبي العتاهية - وهو شاعر كبير - فحبسه وجعل عليه ما يتنصت عليه ويكتب إليه بما يقول، فكتب الرجل إلى الرشيد بأنه سمعه يقول:

أما واللهِ إن الظلم لوم
وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديّانِ يومِ الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم!

استراحة العدد

فلما قرأها الرشيد بكى وأمر بإطلاق سراح أبي العتاهية فورًا ومنحه بعض المال، ولم يكفه ذلك، بل أحضره وقال له: أرى أنك (مسامح) كريم يا أبا العتاهية؟ وكان رد أبي العتاهية: ومن ذا الذي لا يسامح أمير المؤمنين هارون الرشيد الذي فاق كرمه كل حد؟! فقال الرشيد: كفى يا أبا العتاهية. لقد أسأت إليك ولكنك أحسنت!!!

الله

قيل للعالم داروين يومًا: هل تؤمن بوجود الله؟ فقال: إنني كلما ازددت بحثا في ظواهر هذا الوجود، أستطيع أن أؤكد استحالة أن يكون العالم ونفوسنا قد ظهرت عن طريق المصادفة كما يقول البعض، وبهذا أستطيع أن أؤكد حتمية وجود الله. وأنه وحده الذي يسيّر هذا الكون حسب إرادته ومشيئته.

لا جماعة لمَن اختُلف عليه

جاء قوم إلى أكثم بن صيفي - وكان نافذ البصيرة - وسألوه أن يذكر لهم أفضل ما عنده من وصايا الحرب، فقال لهم: أقلوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة.. وتثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين.. وربّ عجلة يعقبها ريث أو حسرة، واصمدوا للحرب وتآزروا كرجل واحد، واهجّموا في الليل فإنه أخفى للويل، واعلموا أنه لا جماعة لمن اختُلِف عليه، فاتحدوا جميعًا على واحد تربحوا!!

عظة

قال الرشيد لابن السماك - وكان عالمًا جليلاً - عظني يا ابن السماك! فقال: هي جملة واحدة لا شيء بعدها:! احذر أن تقدم على جنة عرضها السموات والأرض وليس لك فيها موضع قدم!!

الفقهاء والزهاد

عندما ولي عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - خليفة للمسلمين، جمع كبار القوم من كل فئة، وقال يخاطبهم حول سياسته: من صحبنا فليصحبنا بخمس، وإلاّ فلا يقربنا. يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير جهده، ويدلنا من الخير على ما نهتدي إليه. ولا يغتابن أحدا. ولا يتكلم فيما لا يعنيه. وقال رواة سيرته العطرة كخليفة للمؤمنين: كان زاهداً في كل متاع الدنيا الزائل. ولم تكد تمضي أيام حتى ابتعد الشعراء والخطباء وبطانة السوء عن ساحة الحكم.. وثبت عند الحاكم العادل الفقهاء والزهاد وأرباب الرأي بغير تملق ولا مداهنة.. وهكذا كان الحاكم.. وهكذا كان العلماء.

الأمل في رحمة الله

قال أحد الأعراب لابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - يومًا: سيدنا الإمام الجليل.. من يحاسب الناس يوم القيامة..؟! فقال ابن العباس: يحاسبهم الله تعالى يا أخي.. فصاح الأعرابي بفرح عظيم: نجونا إذاً ورب الكعبة. فقيل له: وكيف ذلك؟! فقال الأعرابي:

إن الله كريم.. والكريم لا يدقق في الحساب، وأنت يا إلهي أكرم من كل كريم.. وأنت الذي تعفو عنا، وتغفر لنا، وتجاوز سيئاتنا.

الراحة

سئل ثابت بن قرة يومًا: ما هي الخصال التي يجد الإنسان راحته فيها بلا عناء؟! فقال: إن هذه الخصال قليلة، فراحة الجسم في قلة الطعام، وراحة النفس في قلة الآثام، وراحة القلب في قلة الاهتمام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

المأمون وولده

دخل المأمون يومًا على ابنه هارون وهو يقرأ في كتاب جيد، فقال له: ما هذا يا هارون؟ فقال هارون: كتاب يشحذ الفطنة ويغني عن العشرة السيئة.

فقال المأمون بارتياح: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسمه!!

ثمار الفضائل

يروى أن شابًا قال لرجل صالح: سيدي، هل يمكن أن تصف لي ثمار الفضائل؟ فقال: أجل يا بني.. إن لكل فضيلة ثمرة تدل عليها، فثمرة الإيمان العمل، وثمرة الحب الخضوع، وثمرة العلم الإيمان مقترنًا بالعمل، وثمرة الأخوة التراحم والتواصل، وثمرة الإخلاص الاستقامة، وثمرة الجهاد التضحية بالنفس والمال، وثمرة الزهد الكرم. وثمرة اليقين التسليم بما قُدِّر لك.. فإن لم تكن مع هذه الفضائل ثمارها.. كانت دعاوى لا ثمرة لها. وهكذا تجد أن كل فضيلة لها ثمارها المرجوة.



لوحة للفنان عبدالله الشلتي



يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.
وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

خاطرة

أحبابي الصغار

أم البنين
الدمام

أمد يدي المتجمدتين من البرد أمامي، وأقول من يدفئهما؟، فيتسارعون جميعًا وأكفهم الصغيرة الدافئة تسبقهم ليضعوها على كفيّ، فما أبرح حتى أشعر بالدفء يسري في عروقي، ونشوة الطفولة تنتقل عبر أكفّهم الطرية إلى قلبي، فيتسارع نبضه ويذوب عنه جليده، وتغمرني سعادة طارئة.

في بعض الليالي يعتريني الحزن، ويطغى على جوانحي الهم، فأغلق على نفسي باب حجرتي، وأطلق العنان لفيض دموعي.. وألبث زمنًا على ذلك، لا يفطن لغيابي في البيت أحدٌ سوى.. سوى أحبائي الصغار.. وما يلبث أن يتناهى إلى سمعي طرق خفيف بأطراف الأنامل على باب حجرتي، وأصوات هي تغريد البلابل، بل نغمات رقيقة تناديني:

يا عمّة.. يا عمّة!، وإن لُذتُ بالصمت مللاً وسأمًا، وأحيانًا رغبةً في اجتذاب جذور حنينهم ومحبتهم، لا أدري. هم يلتصقون بالباب.. صغراهم تمد لي كفيها الصغيرتين من تحت الباب كي تستجدي عطفي، والأكبر يتلصّص من ثقب الباب بحثًا عن

هذه العمة المتغطرسة، أما أوسطهم فيب
بالتغريد: أناشيد وألحان لا أدري لها لغة و
فهمًا.. لعله بذاك ينال رضاي.. حينئذ
تنهار مقاومتي، وأرفع رايةً بيضاء، وأسار
الخطو لاقتلاع ذلك الحاجز الخشبي بي
وبين سعادتي، فأحتضنهم الواحد تلو الآ
وأقدّم لهم الحلوى، وأحقق أمانيـ
بالمكوث في حجرتي زمنًا أرشف فيه
تلك السعادة التي تفيض بها عيونه
وأستمد من ضحكاتهم ولهوهم أنسي.
أصحو من نومي أحيانًا متأخرة، فأسارع
عمل فطيرة صغيرة وكوب من الش
وأجلس لتناول فطوري - على عجل -،
إن أشرع في الأكل حتى يحيط بي هؤ
الصغار «ثلاثتهم» - يأتون من حيث
أدري - أغضب في البدء إذ لا وقت ل
لإطعامهم، ولكن ما إن أرى عيونهم الج
تلتهم فطيرتي في الصحن، وجميع عبار
المسكنة والتذلّل تنسكب متقطعة
ألسنتهم: ذاك لم يتناول فطوره كام
وهذا غضب عليه أبوه فطرده عن م
الإفطار، وتلك تبكي إذ لم يلتفت إليها أ

بكوب من الحليب، فما أستطيع حينئذ وقد حوصرت من ثلاث جهات، وفُرض علي الحظر الاقتصادي إلا التنازل فوراً عن لقيماتي لتأخذ طريقها إلى أفواههم، وحسبي من ذلك دفء هذه اللحظات التي أشعرتني بالشبع النفسي فلا حاجة لي بالزاد.

إنهم أبناء أخي «ثلاث جواهر عزيزة على نفسي، هم لي بياض أيامي إن سوّدتْ، وبدرُ لياليَّ إن ادلهمت.

هم السعادة في زمن غبّرت أيامه الكآبة، وتلبدت سماؤه بالحزن، وإنْ علا ضجيجهم، وإنْ عمت البيت فوضاهم..!

فاللهم لك الحمد،لك الحمد والمنّة، ولكم يا أحبتي الصغار خالص الود من عمتكم..

التعليق: إنّ ما كتبته خاطرة وجدانية جميلة، إنها كما سميتها في رسالتك «محاولة»، جاء أسلوبها جيداً وتمتاز بحسن الصياغة، وتكاد تخلو من الأخطاء الإملائية والنحوية، وتدلّ على أنك اعتدت الكتابة.

أنصح لك بقراءة النصوص القديمة الفصيحة، والإكثار من قراءة القرآن الكريم لتستقيم لك القدرة على التعبير الصحيح والأسلوب العالي والمعرفَة اللغوية التي تجعلك تعدّين الأفعال بحروف الجر المناسبة، وتتفادين بعض الأخطاء النحوية كقولك «... فأسارع في عمل فطيرة...» والصواب «سأسارع لعمل...» وقولك «أمّا أوسطهم فيبدأ بالتغريد: أناشيد وألحان لا أدري لها لغة ولا فهماً...» والصواب «... أناشيد وألحاناً...»، وجمع «جوهرة» هو «جواهر».

وإذا كنت ستتابعين كتابة «المحاولات» فأرجو أن تولي أسلوبك عناية أكثر، وأن تهتمي بالطاقةالتعبيرية للألفاظ، وأن تبتعدي عن المباشرة في التعبير وعن الأساليب الإنشائية التي تجعل النص فضفاضاً، كقولك «لا أدري إلاّ ويلتصقون بالباب...».

وكقولك، «والأكبر يتلصص من ثقب في الباب». إن استخدام حروف العطف وحروف الجر في غير أماكنها ودون أن تكون لها وظيفة سياقية يضخم النص دون أن يكون فهمه بحاجة إلى ذلك التضخم.

أرجو لك التوفيق، بانتظار محاولاتك القادمة.

د. محمد خير البقاعي

الأخ صلاح جيوشي الشناوي، بركة السبع منوفية، مصر:

يبدو أنك ربطت بين كونك مدرساً للغة العربية وضرورة كتابة الشعر.. فهذه الكلمات في قصيدتيك «يا قدس» و«الصمت حياء» لا تزيد على كونها خواطر نثرية مرصوصة جنبًا إلى جنب في شكل أبيات شعرية خالية من الوزن والموسيقى.. نرجو أن يحفزك هذا الكلام لإعادة حساباتك مع نفسك والتوجه إلى لون آخر من ألوان الكتابة ربما يتحقق لك خلاله النجاح والإبداع.

الأخ عماد محمد إبراهيم، كسلا، السودان:

هذه محاولتك الأولى في كتابة الشعر كما ذكرت في رسالتك، ولذا فإن نصيحتنا لك ألا تتعجل النشر، إذ إنه يتعين عليك امتلاك أدوات الشعر والكتابة أولاً، وهي مفتقدة تمامًا في قصيدتك (يا دهر)، ثم السعي بعد ذلك إلى النشر.

الأخ عمر غازي كيفان، الدمام، السعودية:

لا يمكن أن ندرج هذه الخاطرة التي قدمت لها بقصة تشرح خلالها قصتك «نداء السنابل».. لا يمكن أن ندرجها تحت باب القصة أو القريض كما ذكرت في مقدمتك، حيث إنك لم تفرق أيضًا بين القصة والقريض، وفي الواقع هي لا تنتمي إلى أي من الجنسين الأدبيين.. فهي مجموعة من الخواطر والذكريات التي سجّلها قلمك في لحظة من لحظات النكوص والارتداد إلى الماضي الجميل، والعودة إلى تلك الأيام الخوالي التي كثيرًا ما يشتاق إليها الإنسان، خاصة ابن القرية الذي نشأ وتربى بين أحضانها، ثم هجرها إلى ضجيج المدينة.. فالقصة يا أخ عمر لها قواعد وشروط من وجود شخصيات محددة وموضوع بعينه وحبكة درامية وعقدة وحلّ... إلخ، وهو مما لا يتوافر في هذه المقطوعة الشجية.. كما أنك في حاجة ليست قليلة لامتلاك ناصية اللغة وقواعدها.. نحوًا وصرفًا حتى تتخلص من أخطائك الواضحة في مثل (فامتزجة الغربة) وصحتها فامتزجت (خطأ إملائي) (وتصحى الديكة) وصحتها (تصحو) معلنين بدأ وصحتها (بدء) إلخ... عندما تستدرك هذه الأشياء أو تتعود قراءة القصص العظيمة لأدبائنا الكبار يمكنك ساعتها كتابة قصة قصيرة جديرة بالنشر إن شاء الله.

الأخت هالة سليم كايد، بيروت، لبنان:

محاولاتك في قصيدتي «عروس المدائن»، «شعب الانتفاضة وأطفاله» يغلب عليها الحس القومي والحماس الوطني.. ولكن ينقصها الحس الشعري، فهي أقرب إلى النثرية والمباشرة في التعبير. يمكنك تكرار التجربة ولكن بعد مزيد من الاطلاع والتعمق في قراءة الشعر قديمه وحديثه.

الأخ محمود أحمد المصلي، شربين، مصر:

كان من المفترض، وأنت مدرس للغة العربية، أن تكون صلتك بالعروض لا بأس بها، وليس بالضروري دراسة العروض بشكل أكاديمي، ولكن الأذن الموسيقية للشاعر تدرك أي خلل في الوزن، وهذا ما لم نجده لديك في هذه القصيدة (لماذا) كما أن الشعر يا عزيزي لابد أن يعتمد على لغة غير مباشرة في التعبير عما يجيش بخاطر الشاعر. يمكنك استدراك ذلك مستقبلاً ثم مراسلتنا مرة أخرى.

ردود خاصة

د. صبري مسلم ـ باب المشهد ـ الحركة البريدية ـ ص.ب ١١٧ محافظة بابل ـ العراق:

وصلت إلينا رسـالتكم، وعنوان المجلة صحيح كما ذكرتم، والمجلة ترحب بكل الأقلام من جميع أنحاء العالم في إطار ما تختطه لنفسها من سياسة. ونأمل من كل كاتب يراسل المجلة لأول مرة أن يرفق مع سيرته الذاتية صورة شخصية حديثة ملونة.

الإخوة أحمد البرزنجي ـ السويد، فؤاد سعدي، الطارف، سياح محمد ـ قسنطينة، بن حاجي الحربي ـ خرندة ـ تيارت، بشير دشاش ـ سكرة ورملة ـ الجزائر:

لا يوجد شروط للاشتراك في المجلة. فالاشتراك يتم بشيك مالي مقداره مئة وخمسون ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها بالدولار، مع ذكر عنوان المشترك ليتسنى لنا موافاته بأعداد المجلة تباعًا.

الأخوين ونّاس عمارة ـ سوسة ـ تونس، قنانة سالم ـ مدرسة تيزي تانجيت ـ كنديرة، بجاية ـ الجزائر:

نعتذر عن إجابة طلبكما لأن ذلك ليس من اختصاصات المجلة، وقد أوضحنا كثيرًا أن إيجاد باب للتعارف لا يخدم القارئ بقدر ما يكون الحوار من خلال الأفكار التي تطرح في المجلة.

الأخ سلطان محمد صالح السلطان ـ الأحساء. ص.ب ٣٥١٩٦:

رسالتكم غامضة فلم تبينوا فيها نوع المعلومات التي تريدونها من المجلة. وعمومًا يمكن أن تحدد طبيعة المعلومات وإرسالها إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لعلك تجد مبتغاك في مكتبته التي تضم صنوفًا كثيرة من الكتب والدراسات العربية والإسلامية والبحوث، ولا سيما في مجال الحضارة.

الأخ محمد عبدالفتاح على محمد ـ محافظة قنا ـ مصر:

سنعمل على تأمين الأعداد التي طلبتها من مجلة الفيصل، وسنرسلها لك على عنوانك. وأما منشورات مركز الملك فيصل فيمكنك مراسلة المركز مباشرة على عنوانه الوارد في زاوية عناوين.

الأخ ميمو بن عبدالقادر ـ ١٣ شاعر واكد أحمد ـ إشراقة ـ الجزائر:

نشكر لكم إهداءكم الرقيق، والمرفق معه صورة جميلة لأحد المساجد بالجزائر، ونأمل أن نكون عند حسن ظن أمثالكم من القراء.

الأخ علاء سالم مهران سالم ـ أسيوط ـ مصر:

شكرًا لك على إطرائك المجلة، وسنحاول إرسال العدد الذي طلبته، آملين أن نتلقى مشاركاتك ومشاركات الإخوة القراء من كل مكان.

الإخوة إسحق بن هاشم بن عبدالله، خير النظام بن فوتحت، محمد صفري بن وهاب، محمد مجاهد بن ميسران، محمد نظير بن حميد إبراهيم بن حاج عبدالرحمن، كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر، أوجيقة إبراهيم، ٣ شارع بوعمراني محمد ـ الخميس ـ مليانة ٤٤٢٢٥ ـ الجزائر، محمد أبو بكر، ص.ب ٣٣٧٠ «أ» أبو ابوا كوساس ـ غانا ـ غرب إفريقية، أحمد حسن محمد ـ بغداد ـ العراق:

نعتذر عن تلبية طلباتكم لأن هذه الأمور ليست من اختصاص المجلة، ولها جهات خاصة يمكن أن تراسلوها، وسوف تجدون منها إن شاء الله الاستجابة.

الأخ قواسمية فهمي ـ ص.ب مسكن يحيى فارس ـ ١٩ ـ E تبسج / ١٢٠٠٠ الجزائر:

نشكر لك ثناءك على المجلة وإعجابك بها، وسنحاول تأمين بعض الأعداد السابقة ونرسلها إليك على عنوانك، وأما موضوع الاشتراك في المجلة فيمكنك إرسال شيك مالي بمبلغ ١٥٠ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها بالدولار، لنوافيك بها شهريًا على عنوانك.

الأخ محمد نصري صبح ـ بيت لحم ـ شارع الجبل ـ الضفة الغربية ـ فلسطين:

نشكر لك إطراءك المجلة وسنحاول تأمين الأعداد التي طلبتها ومن ثم نرسلها لك. وإن أردت الاشتراك في المجلة فأرسل لنا شيكًا ماليًا بمبلغ ١٥٠ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها بالدولار على عنوان المجلة مع عنوانك وسنرسلها إليك على عنوانك عند صدورها. ولك تحياتنا.

بين القارئ والقارئ

أود الحصول على بعض مؤلفات كل من الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فهل هناك من الإخوة القراء من يستطيع تلبية رغبتي؟

حميدي جمال بن أحمد
شارع أول نوفمبر ٥٤- دائرة الرقاصة
ولاية البيض - ٣٢٢٤٠ - الجزائر

أرغب في تبادل المعارف والمعلومات المرتبطة بالخط العربي، وأعتزم عمل سجل (أرشيف) خاص لهذا الفن العربي الجميل والعريق، فأتمنى أن أجد بين الإخوة القراء من يشاركني هذا الاهتمام.

محمد عبدالغني محمود
ص.ب ٨٥٤٥، - عمان ١١٢١ - الأردن.

أرغب في الحصول على المصحف المرتل بصوت الشيخ عبدالودود مقبول، أو بصوت الشيخ سعود الشريم.
وكذلك آمل الحصول على كتاب الأعلام للزركلي، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فأتمنى أن أجد استجابة من الإخوة القراء ممن لديهم القدرة على تلبية هذه الرغبات. مع شكري الجزيل لهم.

عبدالسلام صديق محمد
ولاية كسلا - ص.ب ١٤١ - السودان

أقوم حاليًا بإعداد رسالة الماجستير في الاقتصاد والعلوم المالية تحت عنوان: «التعليم بين المجانية والخصخصة في مصر» فرجائي أن أجد من بين القراء من يستطيع مدي بأي كتاب أو دراسة حول هذا الموضوع .

الخضري عبدالمنهم علي السيد
محافظة الشرقية - مركز ههيا - شرشيمة
شارع الدكتور محمد القاض - مصر.

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الإخوة الذين طلبوا عنوان مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:

عنوان المركز ص.ب ٥١٠٤٩ - الرياض ١١٥٤٣- هاتف ٤٦٥٢٢٥٥ - فاكس: ٤٦٥٩٩٩٣.

عنوان مكتب الرياض:
ص.ب ٦٢٤٩٧/ الرياض١١٥٨٥/ هاتف ٤٦٤٦٣٦٥ - فاكس: ٤٦٥٩٨١٤

الأخ إبراهيم عبدالعزيز عبدالرحمن - الرياض

عنوان مجلة الشقائق - ص.ب ١٣/٥٥٩٢ - بيروت - لبنان - هاتف ٣١٨٣٤٦ - فاكس ٤٩٧١٠٤

عنوان الدكتور عبدالرحمن السميط
لجنة مسلمي إفريقية - ص.ب ١٤١٤ - الصفاة ١٣٠١٥ - الكويت - هاتف ٢٥٢٨٣٥٥ - فاكس ٢٥٢٨٣٩٩.

كلية الشريعة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
ص.ب ٧٥٦١ - الرياض - هاتف ٤٠٥١٩٠٠.

عنوان مجلة الأسرة الأسلامية، تصدر في هولندا عن:
مؤسسة الوقف الإسلامي
Pistorius Str- 14, 5701 N.C
Helmond - Holand
Fax Tel (0031) 4920 - 46374

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

أزمة المحاكمة



إذا تساءلنا: لماذا يوجد نسوة سيئات؟ فهل نقبل أن يكون الجواب: لأن الرجال فاشلون.

تبينت صدق تلك المقولة عند قراءتي للقصة القصيرة «المحاكمة» المنشورة في مجلة الفيصل العدد ٢٦٠، وملخصها مشهد محاكمة لامرأة، بعد حادث شجار كانت طرفًا فيه لم يوضح المؤلف أسبابه أو تفاصيله، بل كان همه التمهيد للمحاكمة حيث كان المؤلف البطل الرئيسي الوحيد، منتزعًا الإعجاب لدور الشاهد الذي أتقنه ببراعة خدع بها قاضي المحكمة (وهو بالمناسبة امرأة أيضًا، ولا ندري إن كان ذلك مصادفة أيضًا) إذ تظاهر بتعثره باللغة الإنجليزية، مع كونه الشاهد الوحيد الذي تم استدعاؤه للمحكمة ليشهد بالواقعة، من بين جمهرة الناس الموجودة حينها، وقد استطاع المؤلف البطل بمهارة يُحسد عليها أن ينتصر على المرأة البدينة الضخمة ذات الوجه المسطح الشديد الاحمرار بطريقة غير مباشرة، مما جعلها تذرف الدموع والدم، كما انصبّت عليها الضحكات الساخرة من النظارة بوساطة تعليقاته (الذكية) التي جمعت البراءة الظاهرية والغمزمن الداخل.

وقد نلتمس العذر لخيال المؤلف بما أورده من قفزات في السياق، ولن نجادله فيما حدث من تجاوزات، ولكن مشهد المحاكمة استوقفني طويلاً وطفقت أفتش عن هدف أو معنى من خلاله، أهو مشهد هزلي هدفه إثارة البهجة في النفوس المكتئبة.. ربما ونحن نواجه حالة المؤلف - بطل ينتصر ويوقع الهزيمة في ضحايا القصة الذين رماهم القدر في طريقه، كما اختلطت مشاعر القسوة والعنف إلى حد لم ينجح فيه المؤلف في تقدير مشاعره الإنسانية وإقناعنا بالثأر لبني جنسه الرجال من الزوجة (المرأة البائسة) كما وصفها. وقد وقع في تناقض عجيب حين أدانها من البداية بقسوة شديدة وقد ضُربت حتى نزف الدم من أنفها، ثم تعرضت للسخرية المرّة من الحاضرين، أما اعتذاره لها فكأنه كان خناجر غرسها في قلبها، وضحكات زوجها كضربة السوط اللاذع يفرقع على ظهرها.

هذه المشاعر الإنسانية تعبر عن خبيئة المؤلف تجاه الجنس الآخر، ولعلها تظهر موقفًا (ذكوريًا).. حادًا. فالأولى الضحية تعرضت لألم عميق مكتوم الأنفاس، وتلمظت جرعات الذل الخارقة، وإنّ ضحكات المشاهدين التي لن تنساها بقية عمرها ترن في سراديب روحها.

أما الثانية (قاضي المحكمة) فيمكن خداعها بسهولة من قبل الرجل المتفوق الذكي الذي يتقن الإنجليزية ببراعة، ويتقن كذلك التعثر فيها حين يريد.

ولو استعرضنا الصفات والألقاب التي أغدقها المؤلف على المرأة فهي:

البدينة - النمرة الضخمة المزمجرة - الحمراء الوجه - السمينة - المتسلطة - قالت في بذاءة .. في وقاحة - البائس - الوجه الأحمر).

كما أن الزوج بدا كظل باهت ممسوخ لا يتردد في مشاركة الآخرين ضحكات السخرية من زوجته وقد وصفه المؤلف بالتالي: (المسكين - الظامئ - القطة المتوددة).

ونؤكد أن القارئ لا يقدم على القراءة بذهن خال تمامًا..بل يتعامل مع أي نص من خلال بنية فكرية سياسية تعتمد على الثقافة والتعليم.

وهمسة للأخ المؤلف: من الصعب أن تدرك وأن تسلم بأنك فى أزمة، في الوقت الذي ترى فيه عملك منشورًا على صفحات المجلة.

د. محمد فؤاد الذاكري.
الطائف - ص.ب/١٢٨٤.

أعضاء جسم الإنسان بين الزيادة والنقصان



قرأت بعناية - كعادتي مع هذه المجلة - العدد ٢٤٨ من مجلة الفيصل التي تتمتع بموسوعية العطاء الفكري، ووقفت على الزاوية، بل الباب المفيد: دائرة المعارف، وقد سرّني الموضوع الجيد الذي قدّمه الأستاذ موسى إبراهيم عطية أبو رياش حول «أعضاء جسم

الإنسان في القرآن الكريم»، أسأل الله أن يُحسن إليه بسعيه في طرح ما يخدم موضوعات القرآن والدراسات المتعلقة به.

إلا أنني لاحظت قُصورًا لا يفلت منه أي عمل بشري - مهما تعاظم - ووددتُ المشاركة في إصلاحه وإكماله بجهدي المتواضع رغم انشغالي في هذه الفترة ببحوث بعيدة نوعًا عن هذا الميدان.

- فهناك مسميات أدخلها المفهرس في أعضاء جسم الإنسان على الرغم من أنها لا تمثل في الحقيقة أعضاءً، بقدر ما تُمثّل وظائف، ومن ذلك كلمة «أحلام»، وهي العقول، والعقل والحلم ليسا عضوين محدّدين في الجسم، وإنما العقل وظيفة للقلب، أو بالتعبير الطبي للمخ، وهو مصدر من الفعل «عقَل» يعني قيّد الشيء ولم يطلقه، وكذلك «النُهى»، وهي أيضًا العقول - التي هي وظائف التمييز والوَزْع في الإنسان إذ ليس هناك من - الناحية التشريحية - عضو ذو كيان محسّ في الجسم يسمى النُهى أو النُّهية فالعقل من القلب بمنزلة الرؤية من العين، والشّمّ من الأنف.

- سقط سهوًا بعض الأعضاء، فلم تذكر في المعجم، مثل:

الأزْرُ: وهو الظّهر، صرّح به الجوهري في الصّحاح، قال: «اشدُد به أزري» طه:٣١ أي ظهري، وابن الأعرابي، ونقله ابن منظور في اللسان.

التّرقُوَة: وجمعها تراقي، قال تعالى: حتّى إذا بَلَغت التّراقي، وقيل مَنْ راق.القيامة:٢٦ - ٢٧.

قال في القاموس: «والترقوة مقدّم الحلق من أعلى الصدر، حيثما يترقّى فيه النفس».

الدّمع: وهو جزء من الجسم، لأنه يتكوّن فيه، ويخرج منه، وقد قال تعالى: تَوَلّوا وأعينُهُم تفيضُ من الدّمْع. التوبة:٩٢.

النّجْد، وهو الثدي: ومُثناه النّجدان، ذكر صاحب القاموس، وقال في اللسان، وفي التنزيل:

وهَدَيْناه النَّجْدين. البلد:١٠.

ثم قال: وقيل: النجدان الثديان.

قلت: رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس - كما في تفسير ابن كثير.

- هناك استدلالات في غير موضعها، مثل الاستدلال على اللحم بقوله:

وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزُها ثُم نكسوها لحمًا.

فالثابت أن اللحم هنا هو لحم الحمار، وليس لحم الإنسان، ومع ذلك فيجوز أن يُقصد السّعة فيطلق على كل لحم، لكن هنا يلزم المفهرس أن يسير على هذا المنهج، فيُدخل:

الدّم، وهو أحقُّ، لأنه ورد عامًّا في قوله تعالى:

حُرِّمت عليكم الميتةُ والدّمُ. المائدة:٣.

الظُفُر: وفيه عموم ما، كقوله تعالى:

وعلى الذين هادوا حرّمنا كُلَّ ذي ظُفُرٍ. الأنعام:١٤٦.

العجُز: وقد وَرَد في معرض التشبيه، فقال تعالى: كأنّهُم أعجاز نخلٍ مُنقعِرٍ. القمر:٢٠.

والمشهور بالعجز هو الإنسان، وقد يكون استُعير هنا للنخل.

وما سبق كله لا يقلّل من قيمة هذا الموضوع، وبحسبه من الخير أنّه دراسة في القرآن الكريم، وأنّه لفت مثلي للنظر فيه وفي كتاب الله تعالى. وأرجو أن يتقبل الأخ الباحث هذه الملاحظات بصدر رحب إغناء للبحث العلمي، كما أتمنى أن يكون المعجم الذي عمله الباحث الكريم نواة لمعاجم متنوّعة حول القرآن والسنة، فمثلاً: الطب النبوي يحتاج إلى معجم، وقد أوشك صاحب هذه السطور على إنجازه، والعلوم المختلفة المستنبطة من القرآن تحتاج إلى معجم مبسّط، والأبواب الفقهية المهمة كالأحوال الشخصية والفقه الجنائي .. إلخ يحتاج إلى معاجم مبسّطة تعرّف القراء ما فيها من كنوز علمية بصور ميسّرة.

والله من وراء القصد

محمد عبدالحكيم القاضي
مصر - المنيا - صفط الخمار

ناقشات وتعليقات ناقشات وتعليقات ناقشات

أكاذيب داروين



أقدم إليكم جزيل الشكر على جهودكم في إخراج مجلتنا المحبوبة «الفيصل» في هذه الحلة القشيبة والمضمون الرائع، فجزاكم الله خيرًا وسدّد خطاكم وبارك مسعاكم.

من على صفحات مجلتكم أُحيّي الأخ الكريم حسن حسين المهنا لأجل المقالات القيمة التي يُتحفنا بها بين الحين والآخر في ثنايا أعداد متفرقة، وأشدُ على يديه مُكبرًا مقاله الأخير بعنوان: «نظرية داروين: جاهلية العلم» المنشور في العدد ٢٦٢، وأسأل الباري عز وجلّ أن يفتح من فتوح رحماته وبركاته على كل مسلم واعٍ يُحارب الضلال بأسلحة العلم والفكر والثقافة مع الأسلحة التقليدية «الأساس من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وإني رأيت الأخ حسنًا ممن استجابوا - مشكورين مأجورين - إلى دعوتي التي وجهتها إلى أرباب الفكر أن يقدموا للقرّاء عبر مجلة الفيصل تبيانًا لدور الصهيونية العالمية وأبنائها أدعياء العلم أمثال داروين وماركس وأنجلز وغيرهم في بث نظريات الفساد العلمي، والترويج لها في الأوساط العلمية والثقافية العالمية بغية تقويض الأركان العقلية العلمية لصروح الإيمان الغيبي الذي غرسته الأديان السماوية في نفوس أتباعها، والسير بهم إلى هاوية الإلحاد، والهويّ بهم في نار جهنم وبئس المهاد، وتلك - أي الدعوة - في تعليق أرسلته من مهجري في أقاصي الجزيرة السورية إلى مجلتكم الغرّاء نُشر في العدد ٢٥٠ ناقشت فيه تأثر أحد كُتّاب المجلة - عفا الله عنه - باللوثة الداروينية.

وقد وجه الأخ حسن بن حسين المهنا - بارك الله فيه - في مقاله القيم ذاك قذائف علمية إلى صميم تلك النظرية اليهودية التي تُعدّ من أخطر الفخاخ المهلكة التي نصبتها الماسونية العالمية لإهلاك أكبر عدد من خلق الله الهلاك الأبدي. فقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون: «إياكم أن تعتقدوا ولو للحظة واحدة أنّ ما نقول من الكلام قليل الجدوى، فما عليكم إلا أن تتفكروا في ما صنعنا لإنجاح النظريات الدراوينية والماركسية والنيتشية»(١) وما ذلك منهم إلا تنفيذ لغرس (اللادين) في شعوب العالم كي يسهل على الماسونية سوقها كقطيع من الغنم: «إنّه من المحتم علينا أن ننسف الدين كلّه، لنمزق من أذهان الغوييم المبدأ القائل بأن هناك إلهًا ربًا، وروحًا، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية، ولكي لا نعطي الغوييم وقتًا للتفكير والرويّة، فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة والتجارة، وبهذا نبتلع جميع الأمم وهي مشغولة بالانسياق وراء الكسب والغُنم»(٢).

وها أنذا أشارك الأخ المهنا - بمعونة الله في تسليط بعض الأنوار العلمية على الهرطقة الداروينية، فاضحًا بعض سوءاتها، وكاشفًا بعض عُوارها، لعلّ الله ينفع بما أقول عيونًا عُميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا لبعض أدعياء الثقافة الذي يردّدون الإفك ترداد الببغاء في غباء النَّعَم.

- إن داروين باعترافه هو واعتراف جميع أتباعه وأشياعه إنما جاء «بنظرية»، وينبغي ألاّ تُعطى - بغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها - أكبر من حجمها فيتعامل معها على أنها «حقائق علمية»، وهذه فكرة شديدة الأهمية تنسف الطريقة العلمية التي يتعامل بها من يردّون قطعي الثبوت نقلاً وعقلاً من قرآن وسنة، بنظرية لا ترقى إلى مستوى الثبوت الظني، بل هي مجرّد فرضيات وضعت ثم أخذ أهلوها يبحثون لها عما يعضدها ويُثبتها من أدلة وبراهين.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: «أما حديث داروين، فهو ليس أكثر من نظرية باعترافه هو وباتفاق سائر العلماء الآخرين، سواء منهم من أيّده أم خالفه، وليست نظريته عن أصل الأنواع إلا حلقة في سلسلة نظريات متلاحقة مختلفة، كلُّها تفرض أنّ الحياة تطوّرت على وجه هذه الأرض تطورًا آليًا، ثم تفترق عن بعضها في طرائق مختلفة لتفسير هذا التطور وتحليله»(٣).

- لم يستطع داروين ولا أحد من شيعته أن يعثر على أحافير تثبت وجود الحلقات المفقودة فيما بين كل مخلوق والمخلوق الذي ارتقى عنه، مثلاً كمابين السمكة والتمساح، والتمساح والثدييات والقرود، والقرود والبشر، وهذه الحلقات المفقودة ينبغي أن تكون هائلة العدد للفروق الضخمة بين المخلوق وسلفه الذي ارتقى عنه حسب السلسلة الداروينية، يقول البروفيسور مايكل دينتون: «إنه على مقتضى كلام داروين يلزم أن يكون هناك البلايين من المخلوقات»(٤).

- إنّ زعم داروين ببقاء الأصلح مردود بالواقع المرئي في الطبيعة من الأعداد الهائلة من الأنواع غير الصالحة من الكائنات الأحادية الخليّة والجراثيم والمخلوقات البسيطة الخلق. فإذا كانت هذه المخلوقات أُصولاً ترقّت عنها الكائنات الأعقد خلقًا والأصلح للبقاء، فلمَ بقيت هذه إلى جنب تلك، ولم تنقرض مفسحة الكون للمخلوقات الأصلح؟!

يقول داروين نفسه: «طالما تساءل بعض الباحثين: كيف أنّ أثر الانتخاب الطبيعي، مادام بالغًا إلى الحدود البعيدة القصيّة لم يستحدث في أنواع معينة تراكيب إن استحدثت فيها كانت ذات فائدة كبيرة لها؟ غير أنه مما يضاد بديهة العقل أن نحاول الإجابة عن هذا السؤال وأمثاله إجابة بينة، إذا قدّرنا مبلغ جهلنا بتاريخ كل نوع من الأنواع»(٥).

- إنّ كل ما قام به داروين هو أنه لاحظ أوجه التشابه بين المخلوقات وأوجه الاختلاف بينها، فرتب هذه المخلوقات في سلسلة تطورية تصاعدية على أساس اشتراكها تصاعديًا في الصفات، وادّعى أن هذا التسلسل هو الذي حدث في الكون. وإن أحد الأدلة المنطقية التي تدحض أفكار داروين أنّ المقدمات التي انطلق منها هو وغيره من أصحاب فكرة التطور لم تُؤدِّ إلى نتائج متطابقة من سلسلة تطورية واحدة، فعلى سبيل المثال «أعلن الدكتور لويجيني أميندولا الإيطالي أنه قد اكتشف نظرية حديثة في التطور يقول فيها: «إن الإنسان والدُّب ينحدران من أصل واحد ليس هو القرد. ويدّعي أنّ شجرة السلالات للأنواع الحية تكشف عن فرق رئيسي ومهم بين الإنسان والدب وآكلي اللحوم من الحيوانات التي تميل للحياة فوق الأرض من ناحية، والقرود التي تعيش فوق الأشجار من ناحية أخرى، وفي رأيه أن تركيب عظام الأرجل عند الإنسان والدببة تكاد تكون متشابهة وهي تختلف كثيرًا عن تركيب العظام عند القردة»(٦).

- إن قوانين علم الوراثة وما بيّنته من طرائق انتقال الصفات الوراثية لتتصادم أشدّ التصادم مع نظرية داروين، حتى إنها لتقف منها موقف النقيض تمامًا، فهي تؤكد أنّ هناك جمودًا - إذا صح التعبير - يتحكم بالصفات التي يتصف بها كل مخلوق تنتقل معه من جيل إلى جيل، ولا تتغير إلا بطفرات نادرة في أفراد قليلين جدًا لا بمجمل النوع. فنحن نشاهد أنّ «الرجال لا تنمو لحاهم أقصر من قبل لأنهم يحلقونها»(٧). هذا على سبيل المثال في بني الإنسان كغيرهم من المخلوقات التي تتحكم الجينات الوراثية بصفاتها

الخلقية تحكمًا منظمًا من أصغر خليّة في جسد كائن ما إلى أعقد ما يمكن أن يكون من خلق هذا الكائن.

- إنّ مسألة الطفرة أو المصادفة التي يعتمد عليها داروين وأبناؤه من أصحاب الداروينية الجديدة لأضحوكة كبرى ومهزلة يسخرون بها من عقول أصحاب العقول الساذجة، فليس للمصادفة وجود في هذا الكون، لا في بدء الخليقة ولا في مراحلها الأخرى.

تقول الأرقام .. البروتينات هي المادة الأساسية التي تتكون منها الخلية، وهي مكونة من خمسة عناصر هي الكبريت(S) والأوكسجين (O) والفحم (C) والهيدروجين (H) والآزوت(N) ولنفترض جدلاً أنّ أحد الخبراء الكيميائيين استطاع تكوين جُزيء بروتيني واحد، وهذا الجزيء طبعًا - كما يقول الكيميائيون - يتكون من ذرات عددها (٤٠٠٠٠) ذرة في هذا الجزيء الواحد. فماذا نعتبر هذا الإنسان؟ سنعتبره عالمًا بارعًا عظيمًا يستحق كل تبجيل ، حسنًا لنفكر بما يلي:حسب تشارلز يوجين جاي العالم السويسري إمكان تشكل جزيء بروتيني واحد عن طريق المصادفة فكانت: (١) إلى (١٠)^{١٦٠}، أي (١) وتقابله (١٠) وأمامها (١٦٠) صفرًا، فهل للمصادفة فرصة؟ وحسب أيضًا الزمن اللازم لحدوث هذا التفاعل إذا تمّ عن طريق المصادفة، فكان الزمن اللازم لحدوث هذا التفاعل مصادفة (١٠)^{٢٤٣}، سنة أي (١٠) وأمامها (٢٤٣) صفر، وقد مرّ معنا عمر الأرض فقارنه بهذا الرقم «عمر الأرض قدر بـ ٣٠٠٠ مليون سنة» وإن الكمية اللازمة لحدوث هذا التصادف من مواد الكرة الأرضية هو بحجم كرة ضخمة يحتاج الضوء لكي يقطع نصف قطرها (١٠)^{٨٢} سنة ضوئية أي (١٠) وأمامها (٨٢) صفرًا من السنين الضوئية، وهذا الحجم يفوق حجم الكون بأجمعه بما فيه أبعد النجوم التي يستغرق ضوؤها ٢×(١٠)^{٦} سنة ضوئية ليصل إلينا»(٨).

«حسب العالم الإنجليزي ج .ب ليتز عدد الطرق التي يمكن أن تتحد بها ذرات البروتين بعضها مع بعض لتشكيل جزيء بروتيني فكان عدد الطرق (١٠)^{٤٨} أي (١٠) وأمامها ٤٨ صفرًا، ولو تألّفت وتجمعت بغير الطريقة الوحيدة الحالية لأصبحت سمومًا، فأين حظ المصادفة»(٩).

«إنه حسب الإحصاءات فإن المدة التي يحتاج إليها البشر ليتضاعف عددهم هي (١٦١.٢٥) من السنين مع احتمال زيادة، أو نقصان عشرين سنة، وآخذين بالحسبان الولادة والوفاة والحروب. وإن داروين ادّعى أنّ الإنسان ظهر على الأرض قبل مليوني سنة، فيلزم من كلام داروين أن يكون عدد سكان الأرض هذه الأيام (٢)^{١٢٤٠}أي (١٨٩٣٢١٣٩٧) وإلى جانبها (٣٦٥) رقمًا إلى اليمين»(١٠).

- هذا قبس من نار وبصيص من نور مما سلطه العلماء غير المسلمين في الجامعات وهيئات البحوث غير المسلمة في البلاد غير الإسلامية على سفسطات داروين وثُلته، فتوصلوا إلى هذا الغيض من ذلك الفيض من الخلل العلمي في هذه الأكذوبة الكبرى التي أصبحت أضحوكة في بلاد الغرب «حتى إن حكومة ولاية تنسي الأمريكية منعت تدريسها في جميع مدارسها وكلياتها»(١١).

وإني أضيف إلى معلومات القارئ المسلم الكريم أن هناك المئات من العلماء المتخصصين في الطب والتاريخ والرياضيات والفيزياء والكيمياء والوراثة والجيولوجيا والمنطق وغيرها من العلوم المادية، كلُّهم من أصحاب الشهادات العلمية العالية من رتبة الدكتور والبروفسور وغير ذلك، قد ألّفوا عددًا كبيرًا من الكتب التي تدحض نظرية داروين، وهاكم بعض الأسماءعلى سبيل المثال:

- نظرية التطور والنشوء والارتقاء نظرية في محنة: م. دينتون.
- نظرية تطور ونشوء وارتقاء الإنسان مفنّدة في خمسين حجة: و. ويليامز.
- الإنسان لا يقوم وحده: ك. موريسون.
- النظرة العلمية: ب. راسل.
- العلم مقابل نظرية التطور والنشوء والارتقاء: م. بودين.
- القضية ضد التطور والنشوء والارتقاء: ج. توول.
- الإنسان في فجر حياته: د. ديفدس.
- دراسة الإنسان: ر. لينتون.
- معالم تاريخ الإنسانية: هـ. ويلز.
- النباتات المنقرضة وعيوب نظرية التطور والنشوء والارتقاء: د. سكوت.
- العالم الذكي: ف.هويل.
- دحض المذهب الدارويني: ف. باير.

وأحسب أن في هذا القدر كفاية، والقائمة أضعاف مضاعفة من هذا العدد الذي سقته من الكتب التي تفند الداروينية التي لا تزال نصًا مقدّمًا في بلادنا التي يتناسى مستغربوها الإسلام الذي يرفعهم إلى العلياء في الزمان الغابر،وانحطوا إلى الحضيض بتخليهم عنه في الزمان الحاضر، ناسين أننا معشر أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله. حقيقة رآها بعض غير المسلمين كالمستشرق جورج سارطون الذي يقول: «إن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية، وإلى زعامة العالم السياسية والعلمية كما كانوا من قبل إذا عادوا إلى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعلوم التي حثّ الإسلام على الأخذ بها»(١٢).

فإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحواشي:

١- عجاج نويهض: برتوكولات حكماء صهيون: البروتوكول الثاني: ج١، ص١٩٠، ط دار طلاس دمشق.
٢- عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون: البروتوكول الرابع: ج١، ص٢٠١، ط دار الطلاس، دمشق.
٣- د. محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية: ص٢٥٤.
٤- م. دينتون: التطور والنشوء والارتقاء نظرية في محنة. ص٣١٠.
٥- تشارلز داروين: أصل الأنواع، ص٤٤٧.
٦- قيس القرطاس: نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها، ص١٤٠.
٧- كريسي موريسون: العلم يدعو إلى الإيمان، ص١٤٧.
٨- د. شوقي أبو خليل: الإنسان بين العلم والدين، ص٢٣٣.
٩- د. شوقي أبو خليل: الإنسان بين العلم والدين، ص٢٣٤.
١٠- د. ويليامز: نظرية تطور ونشوء وارتقاء الإنسان مفندة في خمسين حجة، ص١٠.
١١- هـ.ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ج١، ص٦٣.
١٢- د. شوقي أبو خليل: الإنسان بين العلم والدين، ص٢٤٩.

أبو عبدالرحمن علي محمد زينو
مدينة سلمية - محافظة حماه - سورية

التسيب آفة المجتمع



طرح الأخ سعد البواردي في مجلتنا الغراء الفيصل العدد ٢٥٤ رؤية بسطور قليلة عن التسيّب، ومما لا شك فيه أن التسيّب آفة المجتمع العربي خاصة، والبلدان النامية عامة.

ففي المجتمعات المتقدمة أوالصناعية، تتمحور السياسات حول الجدية والالتزام وحب العمل..إلخ وبالعكس في حركة البلدان النامية أو العربية نتج عن التسيب غياب البعد الحضاري، ضعف التربية، وضعف العمل، وهبطت المعنويات، وضعفت مقومات الحركة، وفي مواقع الإنتاج العربية دور الالتزام مفقود وفيها اعتداد كاذب وإسراف وعدم صدق في الأرقام.

وفي مجال الأسرة فقد بعض الآباء دورهم في متابعة أبنائهم من حيث الرقابة والتوجيه والمتابعة بهدف التحلي بالفضائل والأمانة والصدق وتحمل المسؤولية.

وحينما نرصد لماذا تشكلت في المحاور العربية سمة التسيّب نجد:

- عدم الاهتمام بمحاور التعليم العربي، والتعليم يجسّد هوية أمة وشريان حياة لتدفق الوعي للعقل العربي. ومن دون الالتزام التعليمي البناء لا يتشكل للمجتمعات نهضة بناءة. قال تعالى:

قُلْ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب. الزمر:٩.ومن الحق أن نسأل أليس بالأمية تنتشر محاور التسيب.

٢ـ عدم تفعيل الدور الاجتماعي أدى لحدوث خلل في الفكر السلوكي والبعد الاجتماعي الإسلامي يمتلك الأخلاقيات، والإخلاص في العمل، والصدق في القول، والوفاء بالعهد والرحمة والتعاون والقوة على الحق والعزيمة والصبر ،حيث لا غش ولا تدليس ولا سلبية ولااستهتار .

٣ـ فقدان القدوة الصالحة، وينتج عنه عدم تواصل الأجيال بسمة الاعتدال والإنتاج. والقدوة في حركة المجتمع هي التي تمتلك نماء شخصية ومهارات، وتوظيف أفكار، لكي تؤدي القدوة ثمارها بأقل تكلفة مادية. والقدوة تحقق عطاءً أفضل للمجموع، تكشف عن وعي حضاري.

٤ـ والتسيّب نما من إعلام عربي يهتم بقضايا مزيفة وملء ساعات الإرسال ببرامج لا طائل من ورائها سوى إبراز الثقافة الهشة. ومع ظاهرة الإنسان العربي الاستهلاكي بات العقل العربي بحاجة إلى ضوابط تعيد له الاتزان الفكري. قال تعالى: *والله يعلمُ المفسد من المُصلح*.**البقرة:٢٢٠**.

والله عز وجل لم يمنع الإنسان من مُتع الحياة الطبيعية، لكنه عز وجل نهى عن الفتن والشرور والانحلال الشائن.

٥ـ والتسيّب ينمو في مخالطة بعض الناس بالأكاذيب. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة».رواه البخاري.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «لا تصحب إلامؤمنًا». رواه أحمد. والصحبة الصالحة تردُّ جماح الهوى وتنبه عقل الغافل؛ والصحبة السيئة تلوث الفكر الإنساني بأخطار متعددة. ولذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمان لحماية العقل المسلم من التلوث الفكري والثقافي والأخلاقي. قال تعالى: إنّ الذين آمنُوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا. مريم:٩٦.

٦ـ والتسيّب نما من ردود الأفعال العربية وعدم الاستماع إلى الرأي الآخر والاستجابة له، في ظل ضغوط ترهق النفس الإنسانية، على الرغم من أنّ سنن الله عز وجل امتلاك النفوس للالتزام والوعي لكي تؤدي الأفعال ثمارها وحينما يتحرك العقل الإنساني بهداية من الله عز وجل يكون أهلاً لتحمل المسؤولية، ويكون قادرًا على تحمل مسؤولياته. قال تعالى: لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها. البقرة:٢٨٦. كما أن الإسلام يمقت الانفصام بل والتناقض بين القول والفعل، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لاتفعلون كبُر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. الصف:٢و٣.

من تلك النقاط يُطرح التساؤل: ما علاج التسيّب؟ فأقول البدء من الأسرة، والأسرة عليها واجبات جسام نحو تربية أبنائها من أجل التنشئة القويمة.

ومن التعليم بتطوير المناهج التعليمية، والتعليم الجاد يفرز تنشئة تتسم بالفهم والإدراك العقلي لمعطيات الأمور كافة.تفعيل نظام الثواب والعقاب، فالمجيد يستحق الاهتمام والرعاية والمخطئ يستحق العقاب، بل من الكلمات العامية في مصر إن أخطأ إنسان في أي عمل يجيء من يدافع عن الخطأ بكلمة (معلش) ولا أعرف مثيلاً لها في بلداننا العربية الأخرى، فهل معلش التي تشكل مسوّغًا لموقف ما تحقّق صحوة؟ بالطبع لا، ولذلك فصحوة العقل العربي تعد ضرورة ملحة. وفي الوقت ذاته صحوة القطاعات التنفيذية العربية بعيدًا عن المزايدة والتضخيم آلية تفرضها مستجدات الأحداث العالمية، ولأنه كم من أحداث تتغير وتتبدل في السياسة والاجتماع والتربية والثقافة والاقتصاد والاستهلاك، إلخ. وكل الآراء تجمع على أن التسيب لا يتفق مع خصوصية المجتمع العربي والإسلامي، لأنه يعيق الحركة. والتسيّب آفة خطيرة لا بد من استئصال جذورها، لكي يتحمل العقل العربي مسؤولياته التاريخية وذلك بالتفاعل مع الزمن بمفهوم حركي بناء، وبالانفتاح على كل حوار، وبالاحتكام إلى العقل والتروي في معالجة الأمور. وفكر التسيب كسلوك المتطرف كلاهما خطر على حاضر الأمة، لأن الأفكار الهدامة والمغلوطة دائمًا لا تستند إلى حقائق، والحقائق دائمًا أمام الأعين والتطرف والتسيب يؤديان إلى الدمار وخلل الأداء. ولنا نظرة

بناءة في أن المنهج النبوي للرسول صلى الله عليه وسلم امتلك الحركة والوعي الروحي والعقلي والسلوكي، وتحقق من خلالهما نجاحات مرجوة. وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن» رواه الترمذي.

وحينما يتحرك الإنسان بإيجابية، سوف تحل آليات التعاون بدلاً من التشتت، وحاضر أي مجتمع يعكس سلوك أبنائه في شتى مجالات الحياة، والإيجابية تحقق التقدم والارتقاء المتوازن بحيث لا تطغى الماديات على المعنويات وبالعكس.

وقوة المجتمع العربي تقاس بقوة ثقافية والعقل العربي واقتصاده وإنتاجه ونموه. والسياسات المرتجلة للإنسان ذاته تفقده التوازن والانسجام والتواصل والقوة والقدرة على الاستمرارية، بل وتفسخ العلاقات الاجتماعية، ولذلك فإن التاريخ الإنساني يرفض التسيّب بسماته كافة، ولكي يصبح الإنسان مشاركًا مشاركة بناءة في بناء ذاته ومجتمعه. والتاريخ الإنساني حركة لا تتوقف بقدرة الله عز وجل. وما دامت العقول العربية تتحمل المسؤولية فسوف تختفي السلبية وعدم المبالاة. ونستخلص في النهاية العبرة والطريق السليم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع «لِيُبلِّغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يُبلّغ من هو أوعى منه» رواه البخاري. فهل نعي ذلك؟؟

يحيى السيد النجار
شارع الخزاوي - خلف دوران البدري
الرمز البريدي ٣٤١١١ - دمياط - مصر

اللغة العربية ليست كالعاميات في شيء



قرأت بعناية شديدة المقال الذي عنوانه: «وسائل الإعلام وأياديها البيضاء على اللغة العربية» للدكتور جابر قميحة، المنشور في العدد ٢٥٦ من مجلة الفيصل الرائدة، فرأيت من واجبي، بوصفي رجلاً صحفيًا، مناقشته والتعليق عليه.

لقد استهل الدكتور النقاد موضوعه بطرح سؤال عن وظيفة اللغة، بيد أن دراسته كانت تدور أساسًا حول أثر وسائل الإعلام في اللغة، وبذلك سعى إلى مقصده من أبعد نقطة انطلاق، وهو الذي يقر في صلب المقال بأن اللغة الإعلامية تتجنب المقدمات الطويلة دون التقدمات المسهبة.

كما نقل عن بعض كتب الإعلام كلامًا كان يقتضي منه أن يناقشهم فيه، لا أن يستشهد به كمسلمات، وأعلق هنا على مسألة واحدة فقط قال فيها: «وتخففت هذه اللغة إلى درجة التخلص أحيانًا من الصور البيانية، فأحلت التعبيرات المباشرة السهلة محل العبارات البيانية. ثم يستشهد بأمثلة وردت في كتاب «المدخل إلى وسائل الإعلام» الذي ألفه الدكتور عبدالعزيز شرف والذي يقول فيه: وتستخدم: انتهت الحرب، بدلاً من وضعت الحرب أوزارها.

إنني، كإعلامي، قد استخدم عبارة «انتهت الحرب» في الخبر العام الموجب للنشر على نطاق واسع، أي للجهور العريض، لكنني أكتب عبارة «وضعت الحرب أوزارها» عندما أقصد النشر بمجلة راقية كالفيصل مثلاً.

ففي الحالة الأولى أنا مطالب بأن تتسم لغتي الإعلامية، استجابةً لأصول الكتابة الإعلامية الواعية، بالبساطة والوضوح والإيجاز، لكنني إذا طرقت أنواعًا صحفية أخرى كالاستطلاع والتحقيق الصحفي، والحديث الصحفي، والمقال فقد أكيّف أسلوبي مع مقتضيات الحال. وإن قاعدتي في ذلك: إن اللغة التي ننقل بها المعلومة من المخبر العلمي تختلف عن لغة رصد تجمع شعبي، وتختلف عن تصوير مأساة إنسانية، وكذلك عن متابعة صراع فكري أو اختلاف عقدي أو وصف إنسان في لحظة تعبد وخشوع.

إذن اللغة الإعلامية مطالبة بالاضطلاع بتلك الوظائف التي تمتد من البسيط الممتنع إلى الأشد تعقيدًا، ومن أجل ذلك فأدواتها التعبيرية والفنية ينبغي أن تواكب هذه التنوعات الشديدة في الأشكال والمضامين.

ويتحدث صاحب المقال أيضًا عن فضل وسائل الإعلام في محو الفوارق بين اللهجات المحلية المصرية الأمر الذي جعله ينأى ثانية عن صلب الموضوع، لأن ما ينطبق على اللغة العربية لا ينطبق بالضرورة على اللهجات المحلية ذات الأصول العربية التي، مهما اجتهد أصحابها بها، فلن ترتقي إلى مستوى لغة القرآن.

إن قول دكتور جابر: «بأن المتلقي لم يعد في حاجة إلى المقدمات الطويلة لعدة أسباب من أهمها: تقدم الوعي وارتفاع نسبة التعليم، وتعوده التعامل الإعلامي»، أعتقد أن هذه الأمور تصب خارج السياق التاريخي للغة الإعلامية، لأن التحسينات التي أدخلت على أسلوب الأجناس الإعلامية فرضتها التطورات المذهلة لتقنيات الاتصال، وكذلك اتسام الأزمنة الأخيرة بالسرعة وكثرة مشاغل الناس، كما استقام عود اللغة الإعلامية من جراء الاختبارات التي كانت تتم على مستوى النصوص الإعلامية المعروضة وصداها في أوساط الجمهور المتلقي، علاوة على أثر القيم الإخبارية».

وباختصار فإن نص الدكتور جابر قميحة هو مزيج من الموضوعات غير المتجانسة. وظيفة اللغة - وسائل الإعلام واللغة - دور اللغة الإعلامية في محو الفوارق بين اللهجات المحلية - دور وسائل الإعلام في مد اللغة العربية بكثير من الألفاظ والعبارات الجديدة، لكن ما يقتضيه النص الإعلامي الحديث أن يطرق مسألة واحدة ويعطيها حقها من البحث والتحليل.

نور الدين بليبل
حي ساقية سيدي يوسف
عمارة ١٤٢ رقم ٩٢٧ - قسنطينة - الجزائر

خير الخير .. وشر الشر

خالد عبدالكريم البكر

إبراهيم حمد بن باز» عالم أندلسي جليل من أهل القرن الثالث الهجري (ت: ٢٧٤هـ) كتب إليه سلطان الأندلس في زمنه - وهو على الأرجح الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم الأموي ٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م - يسأله: «ما خير الخير؟ وما شر الشر؟ فأجابه العالم الجليل بقوله: «خير الخير: الصبر، وشر الشر: شرب الخمر»هـ. أعجبتني هذه الإجابة الموجزة التي تشبه في أسلوبها لغة «البرقيات»، وهي تدل على علم وفضل ومنطق وحكمة، كما أعجبني ذلك السؤال العميق الذكي الذي يتسم بالتواضع والتقدير، للعلم والعلماء.

والواقع أن الشيخ الأندلسي قد لخص حضارة الإسلام في وقته بهاتين الكلمتين الجميلتين، فما من شك أن الصبر قد ارتبط بالحضارة الإسلامية ارتباطًا عضويًا، إذ لم يكن المسلمون بقادرين على مجالدة الأعداء وافتتاح البلدان والأقاليم، وأخطر من ذلك وأهم اقتلاع مفاهيم راسخة ومعتقدات متجذرة في النفوس واستبدال آيات من الذكر الحكيم فيها الحق وفيها الخير وفيها الجمال بها، لم يكونوا ليستطيعوا عمل ذلك لولا امتثالهم للتوجيه الإلهي الذي أرشدهم إلى الاعتصام بالصبر في كل شأن من شؤون حياتهم دقَّ أوجلَّ. لقد صبروا على الأذى والاضطهاد في فجر الإسلام، حتى إن أحدهم لتوضع الصخرة العظيمة على صدره في حمّارة القيظ وفوق الرمضاء الملتهبة بمكة ليتحول عن دينه فيصبر لذلك صبرًا جميلاً ويحتمله بنفس راضية مطمئنة. لقد صبروا على أشكال الحروب كافة، النفسية والاقتصادية والاجتماعية فالعسكرية، وحين فتح الله عليهم البلاد واستقبلتهم الدنيا شعروا بحاجتهم إلى الصبر أكثر من أي وقت مضى.

إنه الصبر على العبادة، إنه ضبط النفس وترويضها لئلا تساق خلف شهواتها وتنجرف وراء زخرف الحياة الدنيا وزينتها.

إذن فالصبر في مفهوم أسلافنا من صالحي المؤمنين ليس له معنى واحد محدد يتم استحضاره بشكل آلي متى دعت الحاجة إليه، عند وقوع المصائب ونحوها، بل كان ميدانه أرحب بكثير من تلك النظرة الضيقة.

لقد وجدوا في الصبر وسيلة لتهذيب نفوسهم وأخلاقهم، ووجدوه خير معين في تربية أبنائهم وتنشئتهم النشأة الصالحة.

ووجدوه سلاحًا فاتكًا في ساحات الوغى بين صليل السيوف وصهيل الخيول.

ووجدوه أسلوبًا راقيًا للتفاهم مع مخالفيهم في الملة والعقيدة واستصلاحهم.

ووجدوا فيه منهجًا بالغ الدقة في التعلم والتعليم، ألم تر كيف كان أهل العلم منهم يضربون أكباد الإبل، ويتجشمون مشاق السفر من مكان لآخر في أرجاء الدولة الإسلامية الفسيحة، طلبًا لشيوخ العصر، وابتغاءً للمادة العلمية الموجودة لديهم!!. لقد وجد المسلمون في الصبر طريقًا تسلكه القوافل المتحضرة.

وأما شرب الخمر، فهو شكل من أشكال الهروب من الواقع وتغييب الوعي والشعور، إنه عمل مناف لسنن التطور، ولا تحسبن هذا الإنتاج العلمي الغزير الذي نفخر به في تراثنا الإسلامي قد ابتدعته عقول المخمورين أو شاركت في شيء منه، كلا لم تخطه أياديهم، كما لم تكتب هذه الفصول العلمية بين جدران الحانات، ولذا فالحضارة الإسلامية تبرأ إلى الله تعالى من انتسابهم إليها. إن الإنسان حين استخلفه الله على عمارة الأرض لم يكن يملك شيئًا من الأسلحة التي يستطيع بها أن يدفع الخطر عن نفسه ويجلب لها الأمن والطمأنينة والسعادة، غير أنه كان يملك سلاحًا واحدًا أمضى من كل سلاح، ذلكم هو «العقل»، وعلى هذا النحو كان لزامًا على الإنسان أن يستفيد من عقله فيفكر ويبدع كيما تسير «قبيلة آدم» خطوة إلى الأمام. ومتى استقام هذا المنطق في النفوس واستقر في الأذهان فإن البشر جميعًا مطالبون بالاستفادة من مواهبهم التي منحها الله إياهم واستثمارها فيما يعود بالخير والنفع على الناس أجمعين، وبذلك يعمل دولاب الحضارة التي هي في الأصل عملية تراكمية مستمرة. وأما طمس العقل وتعطيل القدرة على التفكير المنظم فتلك جريمة في حق الفرد أولاً، ثم المجتمع ثانيًا، وإن شئت فقل «البشرية»، إنه تحجيم للنمو الحضاري، إنه «شر الشر» كما أحب أن يسميه ذلك الشيخ الجليل. وإني لأتوهم أن الحضارة الغربية المعاصرة - في طور نشأتها - قد نظرت في إجابة هذا العالم الأندلسي بتمعن وإدراك، فقررت أن تجرب وتتذوق طعم الصبر، فوجدته مرًا في أوله حلوًا في آخره، فكان أن اغترفت منه بكلتا يديها غرفة بعد غرفة، فاتخذته خليلاً، وأقرّته منهجًا للعمل وشرطًا للنجاح، ووفقت في ذلك كل التوفيق فأصابت من ورائه خيرًا وفيرًا. إلا أنها أعرضت عن الشق الثاني من الإجابة ولم تنظر إليه النظرة نفسها التي نظرت بها إلى الشق الأول، فظلت لذلك حضارة عرجاء غير متوازنة الخطى في مسيرتها. تلبي الحاجات المادية وترفض الروحانيات، وهيهات أن تستقيم الحياة بهذا المعنى للإنسان، فهو جسد ونفس، ومادة وروح ولكلٍّ مطالبه ورغباته. ومن أجل ذلك فإن أرباب هذه الحضارة يشعرون الآن بأن هذا البناء الحضاري الشامخ تحدق به أخطار عديدة وتتربص به عوامل الفناء، فهم دائمًا مشفقون وجلون من هذا المصير المشؤوم.